الجزء الأول | المجلد الثالث والعشرون

مجلة المجمع العلمي العربي

أنشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة سنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة كل جزء في ١٦٠ صفحة

١ كانون الثاني سنة ١٩٤٨ م

١٩ صفر سنة ١٣٦٧ هـ

دمشق

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي في سورية ولبنان ٨٠٠ قرش سوري
الدفع مقدماً وفي جميع الاقطار ١٠٠٠ « «

مطبعة الترقي بدمشق

كتاب الشهداء الحميريين

رغب الينا الصديقان الجليلان العلامتان السيدان محمد كرد علي رئيس المجمع، وسليم الجندي أحد أعضائه، ان نكتب مقالة نصف فيها «كتاب الشهداء الحميريين السرياني» الذي نشر بقاياه بالطبع، المستشرق السويدي السيد اكسل موبرغ، فأجبنا الى رغبتهما العزيزة عندنا، وطوينا مقالتنا على سبعة فصول وهي:

الأول : في النصرانية في بلاد الحميريين

الثاني : في الشهداء الحميريين واستيلاء الحبشة على اليمن

الثالث : في مؤلف كتاب الحميريين

الرابع : في وصف الكتاب السرياني

الخامس : في خلاصة مضمونه

السادس : في اسماء الشهداء والشهيدات العربية

السابع : في فوائد هذا الكتاب

واذا يسّر الله فاننا سننقل الكتاب الى العربية وننشره نفعاً للتاريخ

الفصل الأول

النصرانية في بلاد الحميريين

اثبت اثنان من عليّة علماء السريان الثقات أن النصرانية دخلت اليمن التي كانت تعرف ببلاد سبأ وبلاد الحِمْيَريين، وموقعها في جنوبي بلاد العرب، في فجر النصرانية، أي في العصر الرسولي نفسه، وان وزير قنداقة ملكة سبأ كان أول من تنصّر وعمّده فيلبس المبشر، ويُرجّح ان مار برتلماوس احد الرسل الحواريين أيضاً نادى ثمّ بالنصرانية، وعلى غراره سار القس بنتانوس استاذ

المدرسة الاسكندرية اللاهوتية سنة ١٨٩ للميلاد ، وأنشئ في تلك البلاد بعض ولايات اسقفية منها اسقفية في قَطَرَ تشمل نجران واليمامة عام ٢٢٥ م [١] .

ونحو سنة ٣٥٤ بعث القيصر البيزنطي قسطنطيوس الى بلاد سبأ ، وفداً برئاسة تيوفيلس السيلاني الهندي فأنذر في بعض بلاد اليمن ، ونصر ملكها (الهدهاد) [٢]، وبنى ثلاث بيع احداها في مدينة ظفار [٣] ، وفي الوقت نفسه مهّد الوفد للرومان فيها طريقاً تجارية بحرية ، وقد ثبتت المعاهدة التجارية المبرمة بين الرومان والعرب ، ذلك ان القيصر تاودوسيوس الكبير سنّ قانوناً لتنظيم أمور الوفود الراحلين الى الحميريين والحبشة والاسكندرية [٤] ، وكان ملوك الفرس أيضاً يسعون في محالفة ملوك اليمن ، وكذلك يفعل هؤلاء وملوك الحبشة [٥] .

على أن التبع اسعد ابا كرب تهوّد حوالي سلخ المئة الرابعة فأصاب المسيحيين شدة . وفي تلك الأثناء قصد القسطنطينية في بعض مصالحه شيخ شريف من نجران اسمه حيّان ويعرف بالكبير ، فتنصر واتبع المذهب الارثوذكسي القويم وعاد الى وطنه ، فنصَّر أهله وأتباعه ، وعني بنشر الدين المسيحي في بلاد الحميريين [٦] ، وآمنت قبيلة الحارث بن كعب اليمنية الكبيرة التي تنتسب الى مذحج الى كهلان واحتلت مدينة نجران ، فأزهر الدين المسيحي في القرن التالي في نجران التي اهتدت على بكرة أبيها [٧] وشيدت كنائس فيها وفي مدينتي

(١) الدرر النفيسة في مختصر تاريخ الكنيسة للمؤلف ، طبعة حمص سنة ١٩٤٠ ص ٢١١ و ٢١٢ و ٣٩٠ (٢) وقيل ان ذلك كان في أيام الملكة بلقيس وأخيها الهدهاد (٣) مكتبة فوتيوس البطريرك القسطنطيني الرومي نقلاً عن فيلوستورج المؤرخ الاريوسي من كتبة المئة الرابعة (٤) الدستور التيودوسي ٤ ص ١٦٦ (٥) الشذرات السريانية التي نشرها لند ونحلها القصص ج ٢ ص ٧٩ الخ . (٦) رواية السيدة حبصة الشهيدة المتحدرة من أسرته ، عن كتاب الحميريين السرياني ص ٣١ و ٣٢ (٧) ذكر الطبري في مج ١ ص ٩١٨ ، وياقوت في معجم البلدان ٤ : ٧٥٢ ، وابن هشام في سيرة الرسول ص ٢٠ وابن خلدون في كتاب العبر ٢:٥٩ ان رجلاً صالحاً سموه فيميون هدى أهل نجران الى النصرانية ، والصواب انه حيان .

مأرب والهجران (هجرين)[1]، وأخذ أهل حمير يكتبون بالقلم السرياني بدلاً من الخط المسند الشائع عندهم[2].

وأما انتشار النصرانية في العرب فبلغ أوجه في المئتين الخامسة والسادسة، وقد صرّح بهذا مؤرخو العرب الثقات، وكتابهم المسلمون الاقدمون، فقالوا: ان النصرانية كانت فاشية في العرب وعليهم غالبة[3].

الفصل الثاني

في الشهداء الحميريين واستيلاء الحبشة على اليمن

لما تولى اليمن الملك المسمى ذو نؤاس عند العرب، ودومنوس أو داميانس عند الروم، ومسروق عند السريان (٥١٥ — ٥٢٤)، وكانت امه النصيبينية الأصل قد ربته على اليهودية فنشأ متعصباً لها وزاد ذلك في خبث طينته، دعا أهل نجران المسيحيين اليها فأبوا اتباعه في ضلاله، وكان يرأسهم شيخ جليل مدرَّه اسمه الحارث، ونهضوا يذبون عن ذمارهم ويحمون حمى ديارهم، غير أن الملك الطاغيه راوغهم وخاتلهم بعهدٍ سقيم ووعدٍ كاذب، فلما سلموا له واثقين، مكر بهم وغدر وتنمر لهم وأرادهم على الكفر بدينهم، فلما جاهروا بالثبات على نصرانيتهم، أعمل فيهم السيوف والسهام، ثم حفر أخاديد أضرمها ناراً وألقى فيها جمهوراً منهم، فاستشهد الحارث الشهم وبضع مئات من الرجال والنساء والأطفال وذلك في غضون ٥١٩ — ٥٢٣ م[4].

وجاء النبأ يوستينس قيصر الروم فأشار الى الملك كالب نجاشي الحبشة[5] بمحاربة اليهودي ففعل وأرسل جيشاً بقيادة زاونس وتوجه الملك نفسه الى اليمن

(١) الدرر النفيسة ص ٣٩٣ و ٤٩١ و ٤٩٢ (٢) المكتبة الشرقية للسمعاني ٣: ٦٠٣

(٣) الدرر ٤٩٦ (٤) ان عدد الشهداء المعروفين بحسب هذه السيرة بلغ ٤٢٧ شهيداً ولكن ضاع منهم كثير، وأما رواية ابن اسحق أنهم بلغوا العشرين الفاً، فنراها مبالغاً فيها؟

(٥) ورد هذا الاسم بحسب التقليد، وأما بعض الكتاب فسموه إلصبان.

فحاربوا الغادر الذي مات غرقاً ، وفتحوا بلاده ، وملّكوا على البلاد رجلاً من بيت الملك تنصر واعتمد وأحاطوه بجيش يحرسه هذا ما ورد في الكتاب المبحوث فيه — وأما التواريخ الشائعة بين العرب فروت ان اليمن ملَّكوا الحبشة أكثر من نصف قرن وملوكهم أربعة وهم ارياط ، وابرهة الأشرم ، وأبناه يكسوم ومسروق من نحو سنة (٥٢٥ — حتى ٥٧٥) ولعلهم فعلوا هذا بعد عهد الزعيم اليمني الذي ملكوه ؟

ثم ان الزعيم سيف بن ذي يزن استعان بالفرس على اخراج الحبشة من اليمن وملك مدة يسيرة ففتك الحبشة به ، وخلفه ابنه معدي كرب ، ثم تسلط الفرس على البلاد ، وأول عمالهم (وهرز) سنة ٥٩٧ وآخرهم (باذان) وفي زمنه فتح المسلمون اليمن .

وكيفما كان الحال فان الاحباش استبدلوا ما أصاب نجران وأهلها من الهوان بعزّ باذخ ، اذ أنشأوا فيها مزاراً تفننوا في زخرفته وتزيينه بصنوف الحليّ وبذلوا دونه ما لا يحصى من الأموال الجليلة ، وسماه العرب كعبة نجران ، وضربوا بحسنه المثل ، واليه أشار الأعشى في قصيدة له ، قرظ بها يزيد وعبد المسيح وقيساً بني عبد المدان من أعيان بني الحارث بن كعب .

وبنوا أيضاً في حاضرة ملكهم صنعاء كنيسة عظيمة جمعوا فيها ضروب المحاسن وهي المعروفة عند العرب بالقُلَّيس : أخذاً من اسم الكنيسة باليونانية ، وبيعة جليلة في مدينة ظفار كانت آية في الحسن والجمال — وعلى هذه الطريقة ضربوا في العمران بالسهم الأوفى ورفعوا لمعالم النصرانية في تلك البلاد اعلاماً باسقة —

الفصل الثالث

مؤلف كتاب الحميريين

ألف هذا الكتاب باللغة السريانية بإنشاء متين ، قسيس همام نجهل اسمه كان معاصراً للأحداث وموجوداً في العقد الرابع من المئة السادسة للميلاد

نحو سنة ٥٣٥ م[١] ؟ نقلاً عن حديث شهود حميريين عاينوا شهادة مواطنيهم ، والمعروف عنه انه كان يوماً في بيعة حيرة النعمان حيث عمّد فتىً عربياً من أشراف نجران ، اسمه عبد الله ابن الشيخ الجليل أفعو أو أفعى ، وانه رحل بعد ذلك الى بلاد اليمن ، وحادث زوجة أفعى شقيقة الشهيدة حبصة ، قال المؤلف في الفصل الأخير من كتابه «لقد أنبأنا بجهاد الشهداء رجال مؤمنون حميريون ثقات كانوا معاينين للأحداث التي اخبرونا بها ، وسمعنا أخبار قدوم الحبشة الأولى من رجال صلحاء كانوا معهم ، وأخبار رحلتهم الثانية ، حينما حاربوا اليهود من رجال أخيار» اهـ .

الفصل الرابع

في وصف الكتاب السرياني

هو كتاب بالقطع الوسط تقدر أنه كان في أصله زهاء مئة وعشر صفحات ، وصل الينا منه نحو النصف مخروماً (مبتوراً) زهاء ٥٣ صفحة في نسخة فريدة قديمة حسنة الخط مضبوطة اللغة ، أنجزها القس اسطيفان بن متى لنفسه في هيكل مار توما بالقريتين من قرى حمص يوم الثلاثاء ١٠ نيسان سنة ١٢٤٣ يونانية الموافقة لسنة ٩٣٢ م ، ورد اسمه بالاسطرنجيلية في بعض صفحاته : (كتاب الحميريين) نشره مستشرق سويدي نبيه الخاطر اسمه اكسل موبرغ Axel Moberg سنة ١٩٣٤ م مظهراً في اخراجه من ظلمة النسيان الى الوجود مهارةً وهمةً تستوجبان الشكران . ذلك ان بعض النساخ الجهلة أو أصحاب الكتب الغفل في أواخر القرن الخامس عشر استجهل موضوعه واستهان بقيمته فاتخذ منه بإلصاق أوراقه بعضها ببعض جلداً لكتاب مخروم من اوله وآخره يحوي سبع عشرة ليتورجية[٢] سريانية ، بعضها مؤرخ سنة ١٤٧٠ م ونبذة جميلة من تأليف جد لي

(١) يظن بعض المستشرقين ان مؤلف هذا الكتاب هو سرجيس اوباروجيس اسقف الرصافة؟

(٢) الليتورجية هي كتاب القداس .

لمار طيمثاوس الثاني بطريرك الاسكندرية (٤٧٧ +)[١] ·

ثم حاز الكتاب رجل سويدي من ستوكسند اسمه (ا · ج · وبرن) وأوقعه الاتفاق الطريف بيد من فطن لما اشتمل عليه جلده ، فأرسله صاحبه في ربيع سنة ١٩٢٠ الى السيد اكسل ، واستعان هذا على تفكيك الجلد ومعالجته برجل يحذق العمل فجمع منه بقايا كتاب الحميريين ، فنشره بالطبع بنصه وفصه السريانيين بخطنا المعروف بالغربي الذي لا نزال نكتب به ، وأضاف اليه ثماني صفحات مصورة ونقله الى الانكليزية بعد أن قدّم عليه مقدمة مسهبة جاءت في تسعين صفحة ، وختم ترجمته الانكليزية بتعاليق لغوية وغيرها ، وذلك في مدينة ليبسيك سنة ١٩٢٤ م ·

ودونك فهرس فصول هذا الكتاب الجليل لتحيط علماً بما اشتمل عليه من الفوائد ، وان ما ضاع منه كان يتضمن فوائد أخرى لو أبقى عليها الدهر لكشفت بعض النواحي الغامضة في تاريخ بلاد اليمن ·

فهرس السير :

١ : فصل في اليهود وفساد معتقدهم

٢ : خبر في الحميريين ومن أين وقعت لهم اليهودية

٣ : بيان في بدء نشر النصرانية في بلاد الحميريين

٤ : في كيفية رحلة الاسقف توما الى الحبشة واخبارهم باضطهاد الحميريين للمسيحيين

٥ : في قدوم حيونا Hywn والحبشان لأول مرة لبلاد اليمن

٦ : قصة تروي المعجزة التي أظهرها الله للحميريين في صفوف الحبشة

٧ : في نزوح الحبشة الأول من بلاد الحميريين

٨ : في الشدة الأولى التي أثارها مسروق وفي حرق بيعة مدينة ظفار ، واهلاك الحبشة الذين فيها

---

(١) الأصل مصون في المتحف البريطاني تحت رقم ١٢،١٥٦

(١) ملك هذا في الحيرة سنة ٥١٤ ومات سنة ٥٦٣

والباقي من الكتاب :

أحد عشر فصلاً كاملاً ونبذ كبيرة أو وسطى أو يسيرة من ثلاثة عشر فصلاً وهي : مقدمة الكتاب والفصول السابع والعاشر ، والثالث عشر ، والسادس عشر ، والسابع عشر ، والثامن عشر ، والثالث والعشرون ، والسابع والعشرون ، والثاني والاربعون ، والثالث والاربعون والخامس والاربعون ، والسادس والاربعون ، فيكون المفقود من أصل الكتاب خمسة وعشرين فصلاً أهمها الفصل الثاني في أصل الحميريين وتهودهم ، والثالث في دخول النصرانية الى بلادهم ، والرابع في أخبار اسقفهم توما الحبشة باضطهادهم للمسيحيين ، والخامس في قدوم الحبشة الاول الى بلادهم ، والثاني عشر في تقدم رجال الاكليروس الى مسروق الملك الغاشم . والتاسع عشر في جهاد الشريفين الحارث وعربي ، والتاسع والعشرون والثلاثون ، والحادي والثاني والثلاثون في حرق بيعة حضرموت ، وجهاد شهدائها وشهداء مدينتي مرأب وهجرين والثامن والتاسع والثلاثون والاربعون والحادي والاربعون في استنجاد الحميريين بملك الحبشة وقدوم هذا واجتياحه البلاد .

الفصل الخامس

في خلاصة مضمونه

افتتح المؤلف كتابه بثلاثة فصول في اليهود وفساد معتقدهم وفي الحميريين ومن أين جاءتهم اليهودية وكيف نشرت النصرانية فيهم ، ثم أورد في أربعة فصول خبر اضطهاد الحميريين للمسيحيين وتوجه توما أسقف نجران على الأرجح الى بلاد حمير لأول مرة وقصة آية أظهرها الله لهم ثم رحيلهم من بلاد حمير الى بلادهم — وهذه الفصول السبعة مخرومة حاشا نبذة من آخر الفصل السابع وهي :

لما رأى مسروق انه بالمحاربة لا يقوى على الحبشة الذين كانوا يناوشونه القتال في مدينة ظفار ، أوفد اليهم كهنة ويهودا من طبرية ورجلين مسيحيين اسماً من

مدينة حيرة النعمان ، يحملون كتاباً يشتمل على أغلظ الأيمان بادوني وتابوت العهد والتوراة ، يعدهم فيه : انهم ان سلموا اليه مدينة ظفر لن يؤذيهم بل يعيدهم الى ملكهم سالمين ، فوثق الحبشان بأيمانه وخرجوا اليه وكانوا ثلثمائة محارب برأسهم القائد (ابابوت) فقبلهم قبولاً عادياً ثم غدر بهم فقتلهم على أيدي اليهود ، وأرسل فحرق بيعة ظفر بمن كان فيها من الحبشان وعددهم مائتان وثمانون رجلاً ، وكتب الى بلاد الحميريين آمراً بقتل المسيحيين قاطبة ان لم يكفروا بالمسيح ويتهودوا ، وسلت السيوف على النصارى ، وكتب الى الحارث من أشراف مدينة نجران لجمع له خلقاً من المسيحيين رجال الحرب ، زعماً منه أنه بحاجة اليهم لبعض حروبه ، ولما دنوا من ظفر ، وأنبئوا بما فعله الغاشم الماكر باخوانهم وما ينوي لهم من الشر ، عادوا أدراجهم ، أما اليهود فمثلوا بأحد المسيحيين بقطع يده اليمنى ، فاليسرى ، فساقيه كما جاهر بنصرانيته .

وحوصرت مدينة نجران . ولما تعسر فتحها قدم اليها مسروق فلم يفز من حصارها بطائل ، فاستعان بمراسلة أهلها مخاتلاً مهدداً فأذعن أهلها وخرج اليه منهم مئة وخمسون رجلاً فعاقبهم يسيراً ، ثم تغير عليهم وصادرهم على ذهبهم وفضتهم ، ثم عرض على نخبة من اكليروسيهم الكفر بالسيد المسيح فأبوا معتصمين بدينهم اعتصاماً شديداً ، فأحرق بيعتهم وأحرقهم وخلقاً آخرين فيهم نساء ، وكان بعض قسوسهم وشمامستهم من حيرة النعمان وبلاد الروم والفرس والحبشة .

ثم استشهدت بالنار أيضاً سيدة متحمسة لدينها اسمها ظربية بعد اعترافها بدينها أمام الطاغية ، فان الكفرة ألقوها فوق عظام الشهداء في البيعة المحترقة في لهيب نار أججوها ، وتبعها في طريق الشهادة فتى ابيل اسمه ابرهيم وسيدة نبيلة اسمها تهنة ، وأمة لها اسمها امة وابنة لتهنة اسمها حذية .

ثم استشهدت الشماسة اليصابات وفتاة عذراء اسمها عمي ، وجماعة من أشراف نجران يعدون مائة وسبعة وثمانين شهيداً حفظت أكثر أسمائهم ، منهم الحارث

وعربي وضب ، وكان فتى اسمه عبد الله بن افعو [1] وأبوه شيخ جليل وزعيم معروف ، وعاين هذا الفتى شهادة الشهداء في نجران ونقل هو وغيره أخبارهم الى المؤلف ، ثم قدم الى حيرة النعمان وتنصّر وعمّده المؤلف في بيعتها بحفلة عظيمة ، فتقدم هذا الى الملك مسروق طالباً أن يأذن له بدفن أجساد الشهداء ففعل اكراماً لمنزلة أبيه ، فاستعان بأربعين رجلاً من أبناء عشيرته وأصحابه خرجوا ليلاً ودفنوا الأجساد في حفائر احتفروها ، وعلّم عبد الله لكلٍ من مواضع الأضرحة علامةً يستدل بها عليه .

ثم سرد اسماء الشهداء والشهيدات الذين بلغوا نحواً من مائتين وثمانين ، بعد أن أوفد مسروق الى نجران احد قواد جيشه المسمى دويزان ، فدعا نحواً من مئة وسبع وسبعين امرأة من شريفات نسائها المسيحيات فجئن وكثير منهن يحملن أطفالهن ، وكانت معهن سيدة عظيمة أغنى من جميع نساء بلدها اسمها رومي بنت ازمع . وكتب القائد الى ملكه بأمرهن ، فأمره ان يخلي سبيل السيدة رومي حتى يفكر في أمرها ملياً ، وان يدعو النساء الى الكفر بالمسيح والتهود ، ومن أبت منهن عوقبت بمثل ما عوقب به أزواجهن ، ففعل دويزان ذلك فأغلظن له الجواب وكفرن بملكه وباليهود قاطبة ، وكرن ذلك بمرورهن أمامه واحدة فواحدة ، فأحاطهن بحلقة من فرسان الجند اليهودي وأغلق باب المدينة القريب من موضع اجتماعهن ، وأمر الجند فرشقوهن وأطفالهن بالسهام ، وكانت أولئك العفيفات يرفعن أذرعتهن الى السماء يستنجدن عون المسيح على اتمام شهادتهن ، ووضعت الأمهات أطفالهن على الأرض وغطينهم بثيابهن حتى تمت شهادتهن ساقطات على الأرض كالأشجار التي تقطع أصولها بالأطبار ، ثم أمر أصحابه بتفقدهن فاذا أصابوا بعضاً منهن ومن اطفالهن احياء قضوا عليهم بحد السيف — ثم أمر فحملوا أجساد القتلى خارج المدينة وألقوها في خندق وطمروها بالتراب ،

(١) لعل افعو ، افعى ومنه افعى نجران (ابن دريد مج ٢ - ٢١٨ والطبري ١ : ١٠٠٩)

وكان استشهادهن يوم الاثنين في ٢٦ تشرين الثاني . ثم أورد المؤلف من اسمائهن ثلاثاً وتسعين منهن : حيّة ، وامّة ، وسلمى ، وحمدة ، وحبيبة ، وعوصة ، ودرّة ، واسما ، وماويّة ، وحسنة ، وردّة ، ونملة ، ومحمدة ، وأميّة ، وفاطمة ، وجديدة .

ثم روى استشهاد سيدة نبيلة اسمها حبصة من نسل حيّان بن حيّان الكبير الذي عني بنشر النصرانية في نجران وسائر بلاد اليمن ، فان هذه الفاضلة ساءها ان تحرم صحبة الشهيدات ، فضرعت الى الله ليجعلها أهلاً للسير على غرارهن ، وفي الغد خرجت الى السوق مجاهرة بنصرانيتها ومعها امرأتان عجوز وشابة اسماهما حيّة ، وبعد ان استنطقهن مسروق وجهرن بحماسة عظيمة بايمانهن بالسيد المسيح أمر فربطت سيقانهن بأفخاذهن وحطمت بالركاس كالجمال بشدة قصوى حتى سمع صوت عظامهن التي كانت تخلع ، ومفاصلهن التي كانت تنفصل بعضها من بعض ، ثم لُطمن في وجوههن حتى ضقن عن الكلام ، وجلدوهن على ظهورهن وكان قضاتهن يسخرون منهن قائلين : أتطعن أمر الملك أم تطيب لكن هذه الميتات ؟ فكن وقد تعذر عليهن الكلام يشرن بأيديهن أن الموت أحب اليهن ، وقضت حيّة العجوز فوراً ثم ربطت حبصة وحيّة الفتاة بجملين من الابل الصعاب فجراهما وراءهما حتى فاظتا .

قال المؤلف : نقل لنا هذا الخبر ، الشريف افعو عديل الشهيدة حبصه اي زوج اختها التي شاهدناها وحادثناها ، وأردف افعو قوله أنه خرج وغيره وراء الجملين فوجد جثمان حيّه ساقطاً بعد اثني عشر ميلاً ، وجثمان حبصة بعد خمسة عشر ميلاً ، وقد برك الجمل في الارض ، فأخذوا الجثمان وجزوا شعر الشهيدتين تبركاً به ودفنوهما .

ثم ذكر شهادة الشريفة رومي [1] بنت ازمع وابنتها امّة وحفيدتها رومي ، قال بعدما نكل الطاغية بالشهيدات الثلاث جلداً وضرباً بالعصي الغلاظ ، وجرّاً

(١) وتسمى أيضاً روم .

جاء دور السيدة رومي نسيبة الشيخ الشهيد الحارث فأرسل اليها من يحرضها على التهود ليزوجها رجلاً من أعيان اصحابه، فأعلنت بحماس لا مزيد عليه انها مستمسكة بدينها المبين، وليس لها هوى في الرجال ولو كان مسروق نفسه، ثم رسمت الصليب على وجهها ووجهي ابنتها وحفيدتها وصلّت وخرجت وقد احاط بها نساء يذعنَ ما أسدت اليهن من الأفضال فقالت لهن: لا تبكين علينا فاننا في سبيل ربنا نموت، ولكن ابكين على كل من أنكر أو ينكر ربنا، وما أحسنت اليكن من مالي لكن من مال الله ذلك انه أغدق علي الذهب والفضة وحاطني بعبيد وإماء وقدر عظيم، فلله جلّ ثناؤه احمدْنَ وآزِرْنني بدعواتكن وعلى الدين المسيحي فاثبتن، وبعد جدال عنيف قام بينها وبين الملك الغاشم ذبح حفيدتها وابنتها ثم حزّ رأسها.

ثم سرد المؤلف شهادة نساء نجرانيات أخريات ومئة واثنتين وعشرين امرأة مسيحية من نجران نفسها، معظمهن تحمل أطفالهن.

ويعقب هذا نقصان كثير في النسخة يتناول ثمانية عشر فصلاً مرت بك عناوينها، وخلاصتها ان خلقاً آخرين من نجران استشهدوا وضاعت أسماؤهم، وان مسروق كتب الى المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة يحرضه على قتل النصارى، واستشهدت نجرانية تسمى محسا، وخلق من أهل حضرموت ومرأب ومجرين وأربع نساء اسماؤهن ادعا، وتوملكي، وربيا، وحيّا، وأحرقت بيعة حضرموت، واعتقلت سيدتان ورجلان من نجران فأخلى الأحباش سبيلهم اذ سار الشريف أمية الى الحبشة وأخبر اوبروبيوس مطرانها وكالب ملكها بمظالم مسروق فقدم الملك بجيوشه لتدويخ البلاد، ودوّن المؤلف نص الخطاب الذي فاه به القائد الحبشي أمام الجيش وخطاب الملك لهم بعد النصر الذي أحرزوه في البلاد، ثم يأتي الفصل الرابع والأربعون وما بعده وموضوعه قصة المعترفين الذين أطلق سبيلهم، ولما اجتاز الجيش بقية مدن المملكة وتناولوها نهباً وقتلاً، نجا المسيحيون

من سيوف الأحباش بعلامة صليب كانوا يَسِمون بها أيديهم وكذلك فعل اليهود ، ثم أقبل على الملك كالب قوم من المسيحيين الذين كانوا أنكروا دينهم خوفاً ، فقبلهم وسلَّم أمرهم الى الكهنة ليتوبوا على أيديهم ، وملَّك على البلاد رجلاً من زعماء الحميريين وبيت الملك تنصَّر واعتمد ، وخطب كالب في التائبين وحثهم على الثبات معلناً انه انما قبلهم بمشورة اوبروبيوس اسقف الحبشة الذي أفتى ان تكون مدة توبتهم سنة ، وبعد ان أقام الملك كالب وعساكره في البلاد زهاء سبعة أشهر وبنى فيها عدة بيع وأقام فيها كهنة ممن كان معه ، وفرض الجزية على البلاد وترك فيها خلقاً من الحبشة لحراسة ملك حمير الجديد ، واصطحب معه جالية كبرى من الحميريين الضالين منهم خمسون رجلاً من أكابر البلاد وبيت الملك ، انقلب الى بلاده ٠

وختم المؤلف كتابه ببيان مسهب من الكتاب العزيز مثبتاً ان الله سبحانه لم يغفل شعبه كما انه لم يهمل أمر الأنبياء والآباء الصالحين ٠

الفصل السادس

في اسماء الشهداء العربية

معظم اسماء الشهداء الحميريين عربية وهي : ثلاثة وستون للرجال وستة واربعون للنساء ومجموعها مئة وتسعة اسماء :

الحارث ، حُمامة ، عمر ، تميم ، ادّ ، جبر[1] ، ثعلبة ، غنم[2] ، عبد الله ، ضَبّ[3] ، طربان[4] ، ابو عفر ، ابن حُزيفة ، نعمان ، سَعد ، عَوف ، مُعاوية ، قعبان ، ذُهل ، ذَيب ، سُلَيم ، سَلَمة ، اسد ، عربي ، سمره ، كُريب ، عبد ، هُبيرة ، مَلِك ، جدّان ، هبّ ، يزيد ، جرير ، تِيم ، نوْف ، ازفر ، ازرق ، ابرق ، قَيس ، حبيب ، عامر ، خليل ، عقد ، بُسْر ، هاني ، وائل[5] ، نمره ، آوس ، ربيعة ،

(١) جبر أو جابر أو جبار (٢) غنم أو غنّام (٣) كان هذا قاضياً مضطهداً للمسيحيين ثم تنصر واستشهد (٤) أوظربان (٥) أو وائلة

علا ، مرهب ، علا ، كهف ، جلدي ، ذؤاب ، كرب ، مرثد ، مليك ، حنّة ، حطّان آسوَد (١) ، الحارثة ، علا .

وهذه اسماء الشهيدات :

همامة (٢) ، رُهم (٣) ، تملوك (٤) ، أمّا ، جبرة ، أمّة ، حيّة ، حبّة ، ودّة ، سلمى ، ايلة ، عصّة ، معنة (٥) ، طيبة ، حمدة ، عودا ، امّ يسر ، طبّة (٦) ، حبيبة ، عوصة ، درّة ، عمّا (٧) ، حبّاب ، هند ، اسما ، ام عمر ، ماويّة ، جديدا (٨) ، حسنة ، كبشة ، ردّة ، نملة ، محمّدة ، ميّة ، ضبّة ، أم جبلة ، فاطمة ، ام سلسلة ، حبصة ، ام أقطم (٩) ، سليمة ، ارقش ، جوشن ، حذيّة (١٠) ، ظريبة ، دببة .

وأما الأسماء العبرانية واليونانية واللاتينية ، كابراهيم ، وداود ، وسالومي ، ومرجيس ، ومارية فهي قليلة جداً .

الفصل السابع

في فوائد هذا الكتاب

يطلع هذا الكتاب على الأبحاث التاريخية من وجهتيها الدينية والسياسية ، بأضواء حقائق لا عهد لنا بها حتى اليوم ، ويظهر لك هذا اذا عارضت المصادر التاريخية التي بحثت في هذا الباب وخصوصاً في حملة الحبشة على اليمن ، وهذه المصادر ، صنفان : كنسيّة وعالميّة ، أما الكنسية فهي قصص للحارث الشهيد يونانية وحبشية وارمنية ولاتينية ، ورسالة سريانية كتبها مار شمعون اسقف بيت ارشم السرياني سنة ٥٢٥ (١١) ، وأجلها التاريخ السرياني المنسوب الى زكريا

(١) او سوار وفي الأصل asouar ؛ (٢) او همّة (٣) روهم ، روهيمة
(٤) تملكي (٥) معان ومعن اسما رجل (٦) أو طيبة (٧) أو عمّي
(٨) جديدة أو جديدة (٩) أو أمّ اقدم (١٠) أو هديّة (١١) انظر ترجمته في كتابنا اللؤلؤ المنثور في تاريخ الآداب والعلوم السريانية المطبوع في حمص سنة ١٩٤٣ م ، ص ٢٥٢

اسقف مدالي [1] ، ونشيد كنسي سرياني وضعه يوحنا بساطلس (المرتل) رئيس دير قنسرين المتوفى سنة ٦٠٠ م [2] . وأما العالمية فهي كتاب الحروب الفارسية لبروكوبيوس فصل ١٩ ـ ٢٠ ، والتيبوغرافيا المسيحية للرحالة قزما سنة ٥٣٥ ، وسيرة الرسول لابن هشام ص ٢٠ ـ ٢٦ ، وتاريخ الطبري مج ١ ص ٩٠٧ ـ ٩٣٠

فانك في معارضة هذه المصادر بعضها ببعض تجد فيها تناقضاً بيّناً وترى ان بعض كتّابها رأوا في الحملة الحبشية مغالبة البيزنطيين للفرس ومنافسة بين النصرانية وبين اليهودية ، وان المصادر الاسلامية نسجت عليها شبكة من الخيالات . ويزول التباس كثير من هذه الروايات بما أورده مؤلف هذا الكتاب المنطبق على رسالة شمعون الارشمي وكلاهما معاصر للأحداث ، وهذه أولى الفوائد .

والثانية : اشتماله على اسماء شهداء وشهيدات عربية ، يعلم منها من يتسمّى بها من مسيحيي سورية ولبنان والعراق ومصر وفلسطين ، ان شهداء قديسين تسموا بها ، فيزدادون لها اعتباراً وبها افتخاراً .

ومسك الختام انه ينطبق أيضاً على ما ورد في القرآن الكريم ، في سورة البروج من خبر الشهداء ، وهو :

« ١ والسماءِ ذاتِ البُروج ٢ واليومِ الموعود ٣ وشاهدٍ ومشهود ٤ قُتِلَ أصحابُ الأُخدود النارِ ذاتِ الوَقود ٥ إذ هم عليها قُعود ٦ وهم على ما يَفعلون بالمؤمنينَ شُهود ٧ وما نَقَمُوا منهم إلا أن يُؤمنوا باللهِ العزيزِ الحميد ٨ الذي له مُلكُ السمواتِ والأرض واللهُ على كلِّ شيءٍ شهيد » اه .

(حمص) . اغناطيوس افرام الاول برصوم



(١) انظر ترجمته في كتابنا اللؤلؤ المنثور في تاريخ الآداب والعلوم السريانية المطبوع في حمص ص ٣٥٤ (٢) فيه ص ٣٧٠

كنوز الأجداد[1]

- ٧ -

بديع الزمان الهمذاني

(٣٨٠)

ابو الفضل احمد بن الحسين

نسب الى همذان وسكن غزنة زمناً وتخرج بأبي الحسين احمد بن فارس وأخذ عن غيره وخص بحافظة عجيبة «كان ينشد الشعر لم يسمعه قط وهو أكثر من خمسين بيتاً الا مرة واحدة فيحفظها كلها ويؤديها من أولها الى آخرها لا يخرم حرفاً وينظر في الأربعة والخمسة الأوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهزها عن ظهر قلبه هزاً ويسردها سرداً . وهذا حاله في الكتب الواردة وغيرها وكان يقترح عليه عمل قصيدة وانشاء رسالة في معنى بديع وباب غريب فيفرغ منها في الوقت والساعة . وكان ربما كتب الكتاب المقترح عليه فيبتدئ بآخره ثم هلم جرّاً الى أوله ويخرجه كأحسن شيء وأملحه ويوشح القصيدة الفريدة من قبله بالرسالة الشريفة من انشائه فيقرأ من النظم والنثر ويروي من النثر والنظم ويعطي القوافي الكثيرة فيصل بها الأبيات الرشيقة ويقترح عليه كل عويص وعسير من النظم والنثر فيرتجله اسرع من الطرف ، على ريق لم يبلعه ونفس لا يقطعه ، وكلامه كله عفو الساعة ، وفيض البديهة ، ومسارقة القلم ، ومسابقة اليد للفم ، وكان يترجم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعاني الغريبة بالأبيات العربية فيجمع فيها بين الابداع والاسراع» .

---

(١) نشرنا في المجلد الثاني والعشرين تسع عشرة ترجمة من كنوز الأجداد

قال فيه مترجموه انه كان « متعصباً لأهل الحديث والسنة ما أخرجت همذان بعده مثله » وأوصى « أن يتولى الصلاة عليه أهل الحديث وأهل السنة » وهو جماعي يصرح بمذهبه « وينعى على من ينالون من الشيخين ويقول ولا كل سيرة عدل العمرين ، ومما قال في انتشار الرفض : وهذه الكوفة مما اختط امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وما ظهر الرفض بها دفعة ولا وقع الالحاد فيها وقعة ، انما كان أوله النياحة على الحسين بن علي رضي الله عنهما وذلك ما لم ينكره الأنام ، ثم تناولوا معاوية فأنكر قوم وتساهل آخرون ، فتدحرجوا الى عثمان فنفرت الطباع ، ونبت الاسماع ، وكان القراع والوقاع ، حتى مضى ذلك القرن وخلف من بعدهم خلف لم يحفظوا حدود هذا الأمر فارتقى الشتم الى يفاع وتناول الشيخين رضي الله عنهما » .

كان الهمذاني عربياً مجاهراً بعربيته في أرض فارسية كما كان صريحاً في نحلته في بلاد فيها جماع الأهواء . كتب الى الشيخ الرئيس ابي عامر « نحن أطال الله بقاء الشيخ اذا تكلمنا في فضل العرب على العجم وعلى سائر الأمم أردنا بالفضل ما أحاطت به الجلود ، ولم ننكر ان تكون أمة أحسنَ من العرب ملابس ، وأنعم منها مطاعم ، وأكثر ذخائر ، وأبسط ممالك ، وأعمر مساكن ، ولكنا نقول : العرب اوفى واوفر ، وارقى واوقر ، وانكى وانكر ، وأعلى وأعلم ، واحلى وأحلم ، واقوى واقوم ، وابلى وابلغ ، وأشجى واشجع ، وأسمى واسمح ، واعطى واعطف ، والطى والطف ، واحصى واحصف ، وانقى وأنقى ، ولا ينكر ذلك الا وقح وَقِح ، ولا يجحده الا نَذِل نغِر . وانما قدم الله تعالى ملك العجم ليحتج عليها وانما أخر ملك العرب ليحتج بها وما ملكت العجم حتى تواصلت ، وما ملكت العرب الا حين تصاولت ، وما تواصلت العجم الا بأساً من نفوسها ، ولا تصاولت العرب الا لما في رؤوسها ... »

برّز الهمذاني في الشعر والنثر . ونثره ذو طابع خاص يهتز اهتزاز الغصن

الوريف ، وتسمع له جميل الخفيف والأفيف ، وحفيفه منبعث من نفسه ورفيفه صادر عن قوى في حسه ، وقلّ في الكتاب من أحدث له طريقة كطريقته ، وأملى بها صورته وجسّم صوته ونُعرَته ، وان كتب لك ان تتدبره تدرك في يسر وسهولة ما وصلت اليه الأخلاق في عصره وما حدث من متاعب ومعضلات في البقاع النائية من أرض الشرق وكأن ما كتب في رسائله لوحة نقشت عليها ما كان في زمنه من التزاويق والتهاويل ومن التعمية والتخليط ، فهو يعطيك ما يهمك من الأخبار مما قد تضن به عليك كتب التاريخ والسير . ويرضيك لأنه كان بعيداً عن التقية لا يهاب شيئاً عند ارادته بث شعوره وأفكاره ، صانع بعض الأمراء ، لاعتقاده ان من يخاشنهم يُضرب ويُنكب ، وبالتقرب منهم يجمع من نوالهم وجوائزهم ما يعتقد به العقد وتسجل له به صكاك الضياع ، وهكذا كانت طريقة الناس في عصره وشعراؤه وكتابه هم ألسنته الناطقة الصداحة .

يتجلى روح الشباب في رسائل ابي الفضل تجلي أغراض اهل زمنه وأغراضه هو ، وللشباب وثبات لا يساويهم فيها الشيوخ ولو تكلفوا لها وحشدوا ، ولو اصطنع الشاب وقار الشيوخ والشيخ حماسة الفتيان لظهر للناس أمرهما وانكشفت للمدقق خبيئة نفسهما . وفي كتابة الشباب مطامع وآمال وفي كتابة الشيوخ حكمة وأناة . وفي الأولى ابتسامات وتفاؤل وفي الثانية انقباض وتشاؤم .

وفي المناظرة التي جرت بين الهمذاني وأبي بكر الخوارزمي بمشهد من القضاة والفقهاء والأشراف وغيرهم وما ظهر من آثار بديهة ابي الفضل ودهشة ابي بكر وسرعة خاطر الأول ورزانة الثاني ما أطمع فيه خصمه فنبذه وجعله وراءه في قرض القريض وتحبير الخطب دليل على ان سكرة الشباب احياناً أفضل من وقار الشيوخ . هذا والخوارزمي علم من أعلام الأدب عظيم في عصره ولكنه شيخ يرد دمه أو كاد وصاحبه شاب كله حيوية .

ومع كثرة ما وقع بين المتناظرين ترفع الهمذاني عن الشماتة بخصمه وقت مرضه ووقت موته فقد هنأوه بمرض الخوارزمي فأجاب جواباً دلَّ على عظم نفسه وقال : « فكيف يشمت بالمحنة من لا يأمنها على نفسه ، ولا يعدمها في جنسه . والشامت ان افلت فليس يفوت ، وان لم يمت فسيموت ، وما أقبح الشماتة بمن أمِن الاماتة ، فكيف بمن يتوقعها بعد كل لحظة ، وعقب كل لفظة ، والدهر غرثان طعمه الخيار ، وظمآن شربه الأحرار ، فهل يشمت المرء بأنياب آكله ، أم يُسرُّ العاقل بسلاح قاتله ، وهذا الفاضل شفاه الله ، وان ظاهر بالعداوة قليلاً ، فقد باطناه وداً جميلاً ، والحرُّ عند الحمية لا يَصطاد ، ولكنه عند الكرم ينقاد ، وعند الشدائد تذهب الأحقاد ، فلا تتصور حالي الا بصورتها من التوجع لعلته ، والتحزن لمرضته ، ووقاه الله المكروه ووقاني سماع السوء فيه بحوله ولطفه » ومعنى هذا ان الهمذاني وان ألهب للخوارزمي نار هجاء ونال منه وهو مغتاظ منه فأسقطه في بديهته وشعره ونثره لم تجد الشماتة بمرضه الى قلمه سبيلاً وأبى ان يكون من النذالة وسفساف الخلق ما قد يكون على مثله بعض المتباغضين المتلاعنين والمتنافسين المختصمين .

أملى الهمذاني اربعمائة مقامة ما عُرف الا بعضها ، فهو واضع طريقة المقامات وان قالوا انه نقلها من غيره ، وغيره لم تؤثر له ولا مقامة . ومع ان مقاماته نسق واحد في صنعتها يتحدث بها عن عيسى بن هشام وينسبها الى بطلها ابي الفتح الاسكندري فان مقاماته على طرافتها كانت دون رسائله في الابانة عن حالة العصر

وهذا الضرب من الأدب لم يُفلح كثيراً عند العرب وهو نوع من القصة المخنوقة تبتدئ وتنتهي على نسق واحد لا يقصد بها التعليم أكثر مما يقصد بها بهرجة الألفاظ والاستكثار من زخارف البديع والترصيع والتجنيس ولا يقال فيها الا انها ابنة التطبع لا الطبع . ومقاماته ورسائله تُشعرك بسعة محفوظة في المنظوم والمنثور ومعظم ما وعت حافظته من متن اللغة وآدابها .

ونثره متساوق متناسب ، موجز الفقرات بادي القسمات تكاد تحمل كل فقرة منه معنى بذاته كقوله : هذا سوس لا يقع الا في صوف الأيتام ، وجراد لا يسقط الا على الزرع الحرام ، ولص لا ينقب الا خزانة الأوقاف ، وكردي لا يغير الا على الضعاف ، وذئب لا يفترس عباد الله الا بين الركوع والسجود ، ومحارب لا ينهب مال الله الا بين العهود والشهود ·

ولو ادعى مدع ان الكتابة ماختمت بابن العميد كما قالوا بل بالهمذاني لكان حقاً ومذهباً · الهمذاني لا يستغني شادٍ في الأدب عن الأخذ عنه ومثل ابن العميد كثار غير قلائل ، وبعضهم أكتب منه وأشعر ، أخملهم تخلف الدنيا عنهم وللشهرة أسباب قد تخطئ أعظم مستحق لها ·

* * *

بقي أن نلمع الى مكانة بديع الزمان في الجد ومكانته في الهزل ولا أحسن في الدلالة على ذلك من نقل نموذجين جميلين في هذين الموضوعين فانه في المقامة المضيرية كان من وراء الغاية في هزله كما جوّد كل التجويد في رسالته الى وزير محمود بن سبكتكين ·

واليك المقامة المضيرية بنصها الرائق : حدثنا عيسى بن هشام قال : كنت بالبصرة ومعي ابو الفتح الاسكندري رجل الفصاحة يدعوها فتجيبه والبلاغة يأمرها فتطيعه وحضرنا معه دعوة بعض التجار فقدمت الينا مضيرة تثني على الحضارة ، وتترجرج في الغضارة ، وتؤذن بالسلامة ، وتشهد لمعاوية رحمه الله بالامامة ، في قصعة يزل عنها الطرف ، ويموج فيها الظرف ، فلما أخذت من الخوان مكانها ، ومن القلوب أوطانها ، قام ابو الفتح الاسكندري يلعنها وصاحبها ، ويمقتها وآكلها ، ويثلبها وطابخها ، وظنناه يمزح فاذا الأمر بالضد ، واذا المزاح عين الجد ، وتنحى عن الخوان ، وترك مساعدة الاخوان ، ورفعناها فارتفعت معها القلوب ، وسافرت خلفها العيون ، وتحلبت لها الأفواه ، وتلمظت لها الشفاه ، واتقدت لها الأكباد ،

ومضى في إثرها الفؤاد ، ولكنا ساعدناه على هجرها ، وسألناه عن أمرها فقال : قصتي معها أطول من مصيبتي فيها ، ولو حدثتكم بها لم آمن المقت ، واضاعة الوقت . قلنا : هات . قال : دعاني بعض التجار الى مضيرة وأنا ببغداذ ولزمني ملازمة الغريم ، والكلب لأصحاب الرقيم ، الى ان أجبته اليها وقمنا ، فجعل طول الطريق يثني على زوجته ، ويفديها بمهجته ، ويصف حذقها في صنعتها ، وتأنقها في طبخها . ويقول : يا مولاي لو رأيتها ، والخرقة في وسطها ، وهي تدور في الدور ، من التنور الى القدور ، ومن القدور الى التنور ، تنفث بفيها النار ، وتدق بيديها الأبزار ، ولو رأيت الدخان وقد غبّر في ذلك الوجه الجميل ، وأثر في ذلك الخد الصقيل ، لرأيت منظراً تحار فيه العيون ، وأنا اعشقها لأنها تعشقني ، ومن سعادة المرء ان يرزق المساعدة من حليلته ، وان يسعد بظعينته ، ولا سيما اذا كانت من طينته ، وهي ابنة عمي لحًا ، طينتها طينتي ، ومدينتها مدينتي ، وعمومتها عمومتي ، وأرومتها ارومتي ، لكنها أوسع مني خُلقاً ، وأحسن خَلقاً . وصدعني بصفات زوجته ، حتى انتهينا الى محلته . ثم قال : يا مولاي ترى هذه المحلة هي أشرف محال بغداذ يتنافس الأخيار في نزولها ، ويتغاير الكبار في حلولها ، ثم لا يسكنها غير التجار ، وانما المرء بالجار ، وداري في السطة من قلادتها ، والنقطة من دائرتها ، كم تقدر يا مولاي أنفق على كل دار منها ، قله تخميناً ان لم تعرفه يقيناً ، قلت : الكثير ، فقال يا سبحان الله ما اكبر هذا الغلط ، تقول الكثير فقط . وتنفس الصُّعَداء وقال : سبحان من يعلم الاشياء ، وانتهينا الى باب داره ، فقال : هذه داري ، كم تقدر يا مولاي انفقت على هذه الطاقة ، انفقت والله عليها فوق الطاقة ، ووراء الفاقة . كيف ترى صنعها وشكلها أرأيت بالله مثلها ، انظر الى دقائق الصنعة فيها ، وتأمل حسن تعريجها فكأنما خط بالبركار . وانظر الى حذق النجار في صنعة هذا الباب ، اتخذه من كم . قل : ومن أين اعلم . هو ساج من قطعة واحدة لا مأروضٌ ولا عفن . اذا حرّك أنّ ، واذا نقر طنّ ، من اتخذه ياسيدي ؟ اتخذه ابو اسحق بن

محمد البصري ، وهو والله رجل نظيف الاثواب ، بصير بصنعة الابواب ، خفيف اليد في العمل ، لله در ذلك الرجل ، بحياتي لا استعنت الا به على مثله ، وهذه الحلقة التي تراها اشتريتها من سوق الطرائف من عمران الطرائفي بثلاثة دنانير معزّية ، وكم فيها ياسيدي من الشبه ، فيها ستة ارطال وهي تدور بلولب في الباب ، بالله دوّرها ، ثم انقرها وابصُرها ، وبحياتي عليك لا اشتريت الحلق الا منه ، فليس يبيع الا الاعلاق . ثم قرع الباب ودخلنا الدهليز وقال : عمرك الله يا دار ، ولا خرّبك يا جدار ، فما أمتن حيطانك ، وأوثق بنيانك ، واقوى أساسك ، تأمل بالله معارجها ، وتبين مداخلها وخوارجها ، وسلني كيف حصّلتها ، وكم من حيلة احتلتها ، حتى عقدتها . كان لي جار يُكنى أبا سليمان يسكن هذه المحلة وله من المال ما لا يسعه الخزن ، ومن الصامت ما لا يحصره الوزن . مات رحمه الله وخلّف خلفاً أتلفه بين الخمر والزمر ، ومزقه بين النرد والقمر ، واشفقت ان يسوقه قائد الاضطرار ، الى بيع الدار ، فيبيعها في أثناء الضجر ، او يجعلها عرضة للخطر ، ثم أراها وقد فاتني شراها ، فأتقطع عليها حسرات ، الى يوم الممات ، فعمدت الى أثواب لا تنضُ تجارتها فحملتها اليه ، وعرضتها عليه ، وساومته على ان يشتريها نسية ، والمدبر يحسب النسية عطية ، والمتخلف يعتدها هدية ، وسألته وثيقة بأصل المال ففعل وعقدها لي ، ثم تغافلت عن اقتضائه ، حتى كادت حاشية حاله ترق ، فأتيته فاقتضيته ، واستمهلني فأنظرته ، والتمس غيرها من الثياب فأحضرته ، وسألته ان يجعل داره رهينة لديّ ، ووثيقة في يديّ ففعل ، ثم درجته بالمعاملات الى بيعها حتى حصلت لي بجَدّ صاعد ، وبخت مساعد ، وقوة ساعد ، ورب ساع لقاعد ، وانا بحمد الله مجدود ، وفي مثل هذه الأحوال محمود ، وحسبك يا مولاي اني كنت منذ ليال نائماً في البيت مع من فيه إذ قُرع علينا الباب فقلت : من الطارق المنتاب ، فاذا امرأة معها عقد لآل ، في جلدة ماء ورقة آل ، تعرضه للبيع فأخذته منها إخذة خلس ،

وأشتريته بثمن بخس ، وسيكون له نفع ظاهر ، وربح وافر ، بعون الله تعالى ودولتك ، وانما حدثتك بهذا الحديث لتعلم سعادة جدي في التجارة ، والسعادة تنبط الماء من الحجارة ، الله أكبر لا ينبئك أصدق من نفسك ، ولا أقرب من أمسك ، اشتريت هذا الحصير في المناداة ، وقد أخرج من دور آل الفرات ، وقت المصادرات وزمن المخاطرات . وكنت أطلب مثله منذ الزمن الأطول فلا أجد ، والدهر حبلى ليس يدرى ما يلد . ثم اتفق اني حضرت باب الطاق ، وهذا يعرض في الأسواق ، فوزنت به كذا وكذا ديناراً ، تأمل بالله دقته ولينه وصنعته ولونه فهو عظيم القدر ، ولا يقع مثله الا في الندر ، واذا كنت سمعت بأبي عمران الحصيري فهو عمله وله ابن يخلفه الآن في حانوته ، لا يوجد أعلاق الحصر الا عنده ، فبحياتي لا اشتريت الحصر الا من دكانه ، فالمؤمن ناصح لإخوانه ، لا سيما من تحرم بخوانه .

ونعود الى حديث المضيرة ، فقد حان وقت الظهيرة . ياغلام الطست والماء . فقلت الله أكبر ربما قرب الفرج ، وسهل المخرج ، وتقدم الغلام ، فقال : ترى هذا الغلام ، انه رومي الأصل عراقي النشء ، تقدم ياغلام واحسر عن رأسك وشمر عن ساقك ، وانض عن ذراعك ، وأفتر عن اسنانك ، وأقبل وأدبر ، ففعل الغلام ذلك . وقال التاجر : بالله من اشتراه ؟ اشتراه والله ابو العباس من النخاس ، ضع الطست وهات الابريق ، فوضعه الغلام واخذه التاجر وقلبه وأدار فيه النظر ثم نقره فقال : انظر الى هذا الشبه كأنه جذوة اللهب ، او قطعة من الذهب : شبه الشام ، وصنعة العراق ، ليس من خلقان الأعلاق ، قد عرف دور الملوك ودارها . تأمل حسنه وسلني متى اشتريته ؟ اشتريته والله عام المجاعة ، وادخرته لهذه الساعة ، ياغلام الابريق ، فقدمه ، وأخذه التاجر فقلّبه . ثم قال : وانبوبه منه . لا يصلح هذا الابريق الا لهذا الطست ، ولا يصلح هذا الطست الا مع هذا الدست ، ولا يحسن هذا الدست الا في هذا البيت ، ولا يجمل

هذا البيت الا مع هذا الضيف ، ارسل الماء يا غلام ، فقد حان وقت الطعام . بالله ترى هذا الماء ما أصفاه أزرق كعين السنور ، وصاف كقضيب البلور ، استقي من الفرات ، واستعمل بعد البيات ، فجاء كلسان الشمعة ، في صفاء الدمعة ، وليس الشأن في السقاء ، الشأن في الاناء ، لا يدلك على نظافة اسبابه ، أصدق من نظافة شرابه ، وهذا المنديل سلني عن قصته ، فهو نسيج جرجان ، وعمل أرّجان ، وقع اليَّ فاشتريته فاتخذت امرأتي بعضه سراويلاً ، واتخذت بعضه منديلاً ، دخل في سراويلها عشرون ذراعاً ، وانتزعت من يدها هذا القدر انتزاعاً ، وأسلمته الى المطرّز حتى صنعه كما تراه وطرزه ، ثم رددته من السوق ، وخزنته في الصُّندُوق ، وادخرته للظراف ، من الأضياف ، لم تبتذله عرب العامة بأيديها ، ولا النساء لمآقيها ، فلكل علق يوم ، ولكل آلة قوم ، يا غلام الخوان ، فقد طال الزمان ، والقصاع فقد طال المصاع ، والطعام ، فقد كثر الكلام ، فأتى الغلام بالخوان ، وقلبه التاجر على المكان ، ونقره بالبنان ، وعجمه بالأسنان ، وقال : عمَّر الله بغداذ فما اجود متاعها ، وأظرف صُنَّاعها ، تأمل بالله هذا الخوان ، وانظر الى عرض متنه ، وخفة وزنه ، وصلابة عوده وحسن شكله ، فقلت : هذا الشكل ، فمتى الأكل ؟ فقال : الآن ، عجّل يا غلام الطعام ، لكن الخوان قوائمه منه . قال ابو الفتح : فجاشت نفسي وقلت : قد بقي الخبز وآلاته ، والخبز وصفاته ، والحنطة من أين اشتُريت اصلاً ، وكيف اكترى لها حَملاً ، وفي أي رحى طحن ، واجانة عجن ، وأيّ تنور سجر ، وخباز استأجر ، وبقي الحطب من اين احتطب ، ومتى جلب ، وكيف صفف ، ومتى جفف ، وحبس حتى يبس ، وبقي الخباز ووصفه ، والتلميذ ونعته ، والدقيق ومدحه ، والخمير وشرحه ، والملح وملاحته ، وبقيت السُّكُرُّجات من اتخذها ، وكيف انتقدها ، ومن استعملها ، ومن عملها ، والخل كيف انتقي عنبه ، او اشتُري رطبه ، وكيف صُهرجت معصرته ، واستخلص لبه ، وكيف قيّر حُبُّه ، وكم يساوي دنه ، وبقي البقل كيف

احتيل له حتى قطف ، وفي أي مبقلة رُصف ، وكيف ُتوُنّق حتى نظف ، وبقيت المضيرة كيف اشترى لحمها ، ووفّيَ شحمها ، ونصبت قدرها ، وأُججت نارها ، ودقت أبزارها ، حتى أُجيد طبخها وعقّد مرقها ، وهذا خطب يطمُّ ، وأمر لا يتم ، فقمت ، فقال : أين تريد : فقلت حاجة أقضيها . فقال : يا مولاي تريد كنيفاً يزري بربيعي الأمير وخريفي الوزير . قد جصص اعلاه ، وصُهرج أسفله ، وسطّح سقفه وفرشت بالمرمر أرضه ، يزل عن حائطه الذّر فلا يعلق ، ويمشي على ارضه الذباب فيزلق ، عليه باب غير انه من خليطي ساج وعاج ، مزدوجين احسن ازدواج ، يتمنى الضيفُ ان يأكل فيه ، فقلت : كل أنت من هذا الجراب ، لم يكن الكنيف في الحساب ، وخرجت نحو الباب ، وأسرعت في الذهاب ، وجعلت أعدو وهو يتبعني ويصيح : يا أبا الفتح المضيرة ، وظن الصبيان ان المضيرة لقب لي فصاحوا صياحه ، فرميت احدهم بحجر ، من فرط الضجر ، فلقي رجل الحجر بعمامته ، فغاص في هامته ، فأُخذتُ من النعال بما قدُم وحدُث ، ومن الصفع بما طاب وخبث ، وحشرت الى الحبس ، فأقمت عامين في ذلك النحس . فنذرت ان لا آكل مضيرة ما عشت . فهل أنا في ذا يا آل همذان ظالم ؟ قال عيسى بن هشام : فقبلنا عذره ، ونذرنا نذره ، وقلنا قديماً جنت المضيرة على الأحرار ، وقدمت الأرذال على الأخيار . اه .

* * *

وهذه رسالته التي تدل على مبلغه من الجد كتب بها الى الفضل بن احمد الاسفرائيني وهو اول من استوزر لأبي القاسم محمود بن سبكتكين فاتح السند والهند :

ان الله وهو العلي العظيم المعطي ما شاء ، مَنَّ على الانسان ، بهذا اللسان ، خلق ابن آدم وأودع فكيه مضغة لحم يَصرِفها في القرون الماضية ، ويُخبر بها عن الأمم الآتية . يخبر بها عما كان بعد ما خُلق وعما يكون قبل ان يخلق ، ينطق بالتواريخ عما وقع من خطب وجرى من حرب ، وكان من يابس ورطب

وينطق بالوحي عما سيكون بعد ، وصدق عن الله بالوعد ، ولم ينطق التاريخ بما كان ، ولا الوحي بما يكون بأن الله تعالى خص احداً من عباده ليس النبيين بما خص به الأمير السيد يمين الدولة وأمين الملة . ودون الجاحد ان جحد أخبار الدولة العباسية ، والمدة المروانية ، والسنين الحربية ، والبيعة الهاشمية ، والأيام الأموية ، والامارة العدوية ، والخلافة التيمية ، وعهد الرسالة وزمان الفترة . ولولا الاطالة لعددنا الى عاد وثمود بطناً بطناً ، والى نوح وآدم قرناً قرناً ، ثم لم يجد قائل مقالاً ان ملكاً وان علا امره ، وعظم قدره وكبر سلطانه وهبت ريحه طرق الهند فأسر طاغيتها بسطة ملك ثم خلاه ، وعرض الأرض قوة قلب وصبح سجستان وهي المدينة العذراء ، والخطة العوراء ، والطية الغراء ، فأخذ ملكها إخذة عز وعنف ، ثم خلاه تخلية فضل ولطف ، ثم لم يلبث ان خاض البحر الى بهاضية والسيل والليل جنودها ، والشوك والشجر سلاحها ، والضح والريح طريقها ، والبر والبحر حصارها ، والجن والانس أنصارها ، فقتل رجالها وغنم أموالها وساق افيالها وكسر أصنامها وهدم اعلامها . كل ذلك في فسحة شتوة قبل أن يتطرقها الصيف ، توسطها السيف ، وهو الله مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء . ثم حكمت علماء الأمة ، واتفق قول الأئمة ان سيوف الحق أربعة وسائرها للنار : سيف رسول الله في المشركين ، وسيف ابي بكر في المرتدين ، وسيف علي في الباغين ، وسيف القصاص بين المسلمين . وسيوف الأمير وفقه الله في مواقفه لاتخرج عن هذه الاقسام فسيفه بظاهر هراة فيمن عطل الحد ، واتهم بانه ارتد ، وسيفه بظاهر غزنة سد في وجه العقوق ، نوعاً من الكفر والفسوق ، وسيفه بظاهر مرو في من نقض العهد بعد تغليظه ، ونبذ اليمين بعد تأكيده ، وسيفه بظاهر سجستان في من نبه الحرب بعد رقودها ، وخلع الطاعة بعد قبولها ، وسيفه الآن في ديار الهند قرنت به الفتوح ، واثنت عليه الملائكة والروح ، وذلت به الاصنام ، وعز به الاسلام ، والنبي عليه السلام ، واختص بفضله الامام ، واشترك في خيره الانام ، وأرخت

بذكره الايام ، وأحفيت بشرحه الاقلام . وسنذكر من حديث الهند وبلادها ، وغلظ اكبادها ، وشدة احقادها ، وقوة اعتقادها ، وصدق جلادها ، وكثرة اجنادها نبذاً ليعلم السامع ايَّ غزوة غزاها الأمير السيد ، انها بلاد لو لم تحيها السحاب بدرها ، لأهلكتها الشمس بحرها ، فهي دولة بين الماء والنار ، ونوبة بين الشمس والأمطار ، تقدمها صعاب الجبال ، وتحجبها رحاب القفار ، وبعصمها ملتفّ الغياض ، وتحفها طواغي الأنهار حتى اذا خرقت هذه الحجب تخلص الى عدد الرمل والحصى رجالاً ، وشبه الجبال افيالاً ، وانزاع الخاص جلاداً ، ومسناف الجمال طعاناً واركان الجبال ثباتاً ثم لا يعرفون غدراً ولا بياتاً ، ولا يخافون موتاً ولا حياة ، ولا يبالون على اي جنبيه وقع الأمر ، وبنامون وتحتهم الجمر ، وربما عمد احدهم لغير ضرورة داعية ولا حمية باعثة فاتخذ لرأسه من الطين اكليلاً ، ثم قوَّر قحفه فحشاه فتيلا ، ثم اضرم في الفتيل ناراً ولم يتأوه ، والنار تحطمه عضواً فعضواً ، وتأكله جزءاً فجزءاً . فأما محرق نفسه ومغرقها وآكل لحمه ومفصل عظمه والرامي بها من شاهق فأكثر من ان يعد ، وأقلهم من يموت حتف أنفه فاذا مات هذه الميتة احدهم سُبَّ بها أعقابه وعظم عندهم عقابه . بلاد هذه حالها ، وفيلة تلك اهوالها وجبال في السماء قلالها ، وفلاة يلمع آلها ، وغياض ضيق مجالها ، وأنهار كثيرة اوحالها ، وطريق طويل مطالها ، ثم الهند ورجالها والهنداونية واستعمالها . زحم الأمير السيد ادام الله ظله هذه الأهوال بمنكبه محتسباً نفسه معتمداً نصر الله وعونه فركض اليهم بعون من الله لا يخذل ، ومدد من التوفيق لا يفتر ، وقلب من الأهوال لا يجبن ، وحث على المطلوب لا يقصر ، وسيف على الضريبة لا ينكل . فسهل الله له الصعب ، وكشف به الخطب . ورجع ثانياً من عنانه بالأسارى تنظمهم الأغلال ، والسبايا تنقلهم الجمال ، والفيلة كأنها الجبال ، والأموال ولا الرمال ، فتح ذخره الله عن الملوك السالفة الخالية ، الكفرة الطاغية ، الجبابرة العاتية ، حتى وسمه بناره ، وجعله بعض آثاره . والحمد لله معز الدين وأهله ومذلّ الشرك وحزبه وصلى الله على محمد وآله .

الخوارزمي

(٣٨٣)

ابو بكر محمد بن العباس الخوارزمي

أصله من طبرستان ومولده ومنشؤه خوارزم وكان يتسم بالطبري ويعرف بالخوارزمي ويلقب بالطبرخزمي وهو ابن اخت ابن جرير الطبري ، ادعى انه معتزلي وفي الواقع انه شيعي من نوع لم نعرفه وخاله الطبري شيخ السنة وعلم أعلام الأمة ، فارق وطنه في ريعان عمره وهو قوي المعرفة قويم الأدب وكان قوياً في حفظ اللغة والشعر « وكانت قريحته تقصر عن حفظه » وكان يحاضر بأخبار العرب وأيامها ورواياتها ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر وشعره في جزالته لا يقل عن نثره وطلاوة نثره آتية من كثرة ما كتب في المقاصد المختلفة . ولم يزل يتقلب في البلاد ويدخل كور العراق والشام ويأخذ عن العلماء ويقتبس من الشعراء وقد لقي سيف الدولة في حلب وخدمه وورد بخارى وصحب اباعلي البلعمي ثم هجاه واتصل بالأمير ابي نصر الميكالي واستكثر من مدحه وداخل ابا الحسن القزويني وابا المنصور البغوي وابا الحسن الحكمي فارتفق بهم وارتفق من الأمير احمد ومدحه ونادم كثير بن احمد ثم قصد سجستان وتمكن من واليها طاهر بن محمد ومدحه واخذ صلته ثم هجاه واوحشه حتى اطال سجنه ثم نهض الى غرشستان وكانت حاله مع صاحبها كهي مع طاهر بن شاد ثم انه عاود نيسابور وأقام بها الى ان وفق بقصد حضرة الصاحب بن عباد ومدحه فضمه الى ندمائه ووصله بعضد الدولة بشيراز فارتاش وأيسر ولم يخل الصاحب أيضاً من هجائه ثم عاد الى نيسابور واستوطنها واقتنى بها ضياعاً وعقاراً ولما عاد الى شيراز أجري له رسم يصل اليه في كل سنة بنيسابور مع المال الذي كان يحمل من فارس الى خراسان . وكان يتعصب لآل بويه تعصباً شديداً ويبغض من

سلطان خراسان فأطلق لسانه فيه حتى أخذ وحبس وقيد وصودر واخذ خطه بمائتي الف درهم ثم اطلق سراحه ورد اليه ما أخذ منه فطاب عيشه وارتفع مقداره الى ان بلي بمساجلة البديع الهمذاني فانخزل انخزالاً شديداً ونفذ قضاء الله فيه .

هذه خلاصة ما ترجم له الثعالبي في اليتيمة وقد عرفه عياناً ، وسيرته كما رأيت سيرة الشعراء المستجدين يمدح على الهوى ويذم على الهوى ويعلو ويسفل بحسب الحال ، وكان الى ذلك لما استقرت به الحال يدرس ويُملي من محفوظاته وينظم ويكتب في الأغراض التي تنبعث لها نفسه وشعره شعر أهل الطبقة الثانية من الشعراء ويجيد في المقطعات اذا كان الموضوع مما تأثر به ، ونثره فيه البديع ، وفيه المتكلف لالتزامه السجع . جاء أكثره مصنوعاً وما أجاد الا عندما صدر عن عاطفته . وقد بلغ من الغلو مبلغاً قل ان وصل الى أكثر منه معظم الشعراء والكتاب فضاعت لذلك صنعته في غمار اغراقه ودل على ان فارسيته شديدة وأن إماميته كانت مشوبة بتعصب وعصبية . نقل له الثعالبي طائفة من حكمه ومنها الجيد وأكثرها ظاهر التكلف وأورد له مقطعات من شعره كانت تخرجه عن اتزانه ورويته أحياناً مع أن المفروض فيه غير ذلك .

وخير ما خطت أنامل الخوارزمي كتابه الى جماعة الشيعة بنيسابور وقد كتبه بعاطفته ، وهل التشيع الا عاطفة وعصبية . واذا قصدت الى ان تعرف مقدار الصدق في رسائله البديعة تسقط على ترهات لا يدونها في القرطاس من يأخذ نفسه للحق . معظم الكتاب كالشعراء يتعذر الركون اليهم في تقرير الصدق وخاصة اذا كانوا من الموتورين واصحاب الغايات والدعوات . وكم في الكتب من اختلاق ، والنقاد هم الذين يخرجون من الحديد خبثه ومن الذهب بهرجه .

ان من يقول « ان بني امية الشجرة الملعونة في القرآن وأتباع الطاغوت والشيطان ! » وفي بني العباس : « وما اصف من قوم هم نطف السكارى في

ارحام القيان وماذا يقال في أهل بيت منهم نبغ البغا وفيهم راح التخنث وغدا وبهم عرف اللواط ! » ان يطمس الغرض على بصره ويقول « وقل في بني العباس فانك ستجد بحمد الله تعالى مقالاً ، وجل في عجائبهم فانك ترى ما شئت مجالا يجبى فيئهم فيفرق على الديلمي والتركي ، ويحمل الى المغربي والفرغاني ، ويموت امام من ائمة الهدى وسيد من سادات بيت المصطفى فلا تتبع جنازته ولا تجصص مقبرته ، ويموت ضراط لهم او لاعب ، او مسخرة او ضارب ، فتحضر جنازته العدول والقضاة ، ويعمر مسجد التعزية عنه القواد والولاة ، ويسلم فيهم من يعرفونه دهرياً او سوفسطائياً ، ولا يتعرضون لمن يدرس كتاباً فلسفياً ومانوياً ، ويقتلون من عرفوه شيعياً ، ويسفكون دم من سمى ابنه علياً ...» ويقول في بني العباس انهم « يولون انباط السواد وزارتهم ، وقلف العجم والطماطم قيادتهم ، ويمنعون آل ابي طالب ميراث امهم وفيء جدهم ، يشتهي العلوي الاكلة فيحرمها ، ويقترح على الأيام الشهوة فلا يطعمها ، وخراج مصر والأهواز ، وصدقات الحرمين والحجاز تصرف الى ابن ابي مريم المديني والى ابراهيم الموصلي وابن جامع السهمي والى زلزل الضارب وبرصوما الزامر . واقطاع بختيشوع النصراني قوت اهل بلد . وجاري بغا التركي والأفشين الاشروسني كفاية أمة ذات عدد ، والمتوكل زعموا يتسرى باثني عشر الف سرية ، والسيد من سادات اهل البيت يتعفف بزنجية اوسندية ، وصفوة مال الخراج مقصور على ارزاق الصفاعنة ، وعلى موائد المخانثة ، وعلى طعمة الكلابين ، ورسوم القرادين وعلى مخارق وعلوية المغني ، وعلى زرزر وعمر بن بانة الملهي ، ويبخلون على الفاطمي بأكلة او شربة ويصارفونه على دانق وحبة ، ويشترون العوادة بالبدر ويجرون لها ما يفي برزق عسكر ....

ان من يقول هذا ويبالغ ويذم الأمويين والعباسيين هذا الذم المقذع ويعمى عن اعمالهم الحسنة التي توازي اضعاف اضعاف ذلك ان صحت كلها مطعون في آرائه ولا يقنع عاقلاً بصحة اقواله ولكن بني العباس عرفوا على الغالب

نفسيته فطردوه عن بلدهم وحرموه عطاياهم فجال في اطراف ملكهم ينزل على ملوك الطوائف يستجديهم ويمدحهم ويهجوهم . فرسائله الى شيعته وشتم الأمويين والعباسيين جاءت من هذا السخف والناقد يرذل من افكارها اكثر ما أورده . وخير الأدب ما صدق قائله ومن دوّن الكذب وقال إنه ادب فهو مغبون الصفقة . أما شعره في هجو من غضب عليه فقد حمل مقابح وافذاعاً لا يليق صدوره عمن يصطنع الوقار والجلال أمثاله .

وبعد فهذا مثال من أدب هذا الأديب ، وهذه صورة من أخلاقه وطمعه ، وهذا وفاؤه لمن آووه وأغنوه ، وهذه مصانعته لجماعته واغواؤه لمن يضلل عقولهم . وقد أُثرت له حكم بعضها جميل وأكثر معانيها مبتذلة مأخوذة عمن سبقه . ونعذر مثل الخوارزمي اذا لم يبرز في حكمه ما دام جماع حكمته في حياته ان يغنى وينعم ويغلو ويغرق ولا يعدم صاحب السخف مهما بلغ من خطئه ان يجد مستمعين لقوله وان كان كلامه الهراء .

صوَّر من ترجموا للخوارزمي هذه الصورة التي نقلناها عنهم ودلتنا بعض رسائله على منازعه ولولا هذه المخزيات الملموسة في كتابته لكان بما اتقنه من علوم الآداب آية في فنه ومع انه جرى طلقاً مع عاطفته فقد كانت رسائله مما يتعلم منه وقليل في حملة الأقلام من جودوا تجويده .

تأمل هذه الظاهرة في أخلاق الخوارزمي تره على كثرة ما جنى من مال واعتقد من ضياع ممن يصعب عليهم أداء مال السلطان فما كتب الى صاحب ديوان الحضرة أنه ورد علية من عمال الخراج من لا أطربه بحرمة ولا أتناوله بطرف ذريعة او وسيلة ، وكأني به وقد حشرني في جملة العامة ، وادخلني في غمار سائر الرعية ، ووقفني على جسر قدّامه الخسران ، وخلفه الهوان ، وفجعني بدريهمات جمعت بتقحم المهالك واختراق المسالك والمالك ، ودنانير قطعت القفار ، وخاضت البحار ، وناطحت الحوادث والأقدار ، فان بذلتها أعززت وفراً طالما كان مخزونا ، وان منعتها ابتذلت عرضاً لم يزل مصونا .

وكتب الى صاحب ديوان الخراج بالحضرة : وان درهماً يؤخذ مني لدرهم ثقيل الوضع على السلطان قبيح الأحدوثة في البلدان ، ولئن كان يعمر به بيت المال ، فانه يخرب بيت الجمال . ولئن كان يزيد به عدد الدراهم ، انه لينقص من عدد المكارم ، ولئن كان يسمى في العامة جباية ، انه يسمى في الخاصة خزاية ، وللبس اكفان الموتى ، وسرق أدوية المرضى ، وقطع الطريق على حجاج بيت الله الحرام ، وزوار قبر النبي عليه السلام ، احسن في الاحدوثة وابعد من العار والنقيصة من الزام مثلي خراجاً ، وسومه غرامة واستخراجاً » .

وكتب في حالة اخرى الى صاحب ديوان الحضرة : « ولقد خصني من بين الأزمان زمن لئيم ، ووقع في قسمي من البخوت بخت ذميم ، حيث صرت ألزم خراجاً » الى ان قال : « فان رأى ان لا يفجع خراسان بلسانها ، ولا يخليها من سيفها وسنانها فعل » وكتب الى بعض حكام الرساتيق « وما ظن سيدي بضيعة الزمتني الجزية بعد ان كنت ألزمها الصغير والكبير ، واستأديها الرعية والأمير ، واخرجتني من عز السلاطين الى ذل الدهاقين ، وجمعت علي فتون الأغنياء وغم المساكين ، وشغلني صداعها عن أشغال الدنيا والدين ، يستغل الناس الغلة ، وأنا استغل القلة والذلة . ويزرعون في الأرض حباً ، فيحصدون حبوباً ، وانا ازرع في قلبي كرباً واحصد كروبا ، وقد صرت من اجلها اخدم قوماً كنت استخدمهم ، وأسلم على اناس كنت اذا كلموني لا أكلمهم ، ويحجبني من لو حضر بابي من قبل حجبته ، ويعرض عني من لو سألني فيما مضى ما اجبته ..

ومن كتاب له الى صاحب ديوان الحضرة : ولقد خصني من بين الأزمان زمن لئيم ، ووقع في قسمي من البخوت بخت ذميم ، حيث صرت الزم خراجاً التزم بنو المدبر أضعافه للبحتري ، واضايق في ضيعة وهب أمثالها محمد بن الهيثم الغنوي لأبي تمام الطائي حيث قال البحتري :

ولم لا أغالي بالضياع وقد دنا   علي مداها واستقام اعوجاجها
اذا كان لي تريعها واغتلالها   وكان عليكم عشرها وخراجها

وقال ابو تمام الطائي :

فدع ذكر الضياع فبي شماس اذا ذكرت وبي عنها نفار
وما لي ضيعة غير المطايا وشعر لا يباع ولا يعار

للخوارزمي مجازفات تعجب وان حادت عن المعقول مثل قوله لأحد الحجاب لما نكبه ابن عباد : وأنت ابدك الله تعلم انك كنت من الذل في مكان يتخطاك فيه الناظر ، ويدوسك الخف والحافر ، لا يشرفك نسب ، ولا يرفعك أدب ، ولا يرجوك صديقك ولا يخافك عدوك ، عن يمينك الخمول ، وعن يسارك الذبول ، وبينهما الفقر الذي لو قسم على الأغنياء لصاروا فقراء ، والضعف الذي لو فرق على الأقوياء لعادوا ضعفاء ، تصبح في قل ، وتمسي في ذل ، وتروح الى انثى وتغدو الى طفل ، فأنصفك الدهر الظالم ، وانتبه لك البخت النائم ، واراد الله تعالى ان يرفع من حكمتك ، ويقوّم من قنبور حدبتك الخ . وهو كلام فاض باللؤم والشماتة .

كتب الى الصاحب يعرض نفسه فقال « فان اذن الوزير في ورود عسكره المحفوف بجناح النصرة ، المكنوف بجوانب الدولة والكرة ، رأى مني بحمد الله تعالى فارساً ملء العين ، كما سمع مني عالماً ملء الأذن ، فيعلم حينئذ ان اقباله خرج له تلميذاً انتظم فيه فروسية اللسان ، وفروسية السيف والسنان ، ويكر في معركة الطعان ، كما يكر في معركة البيان ، ويثبت اسمه في جريدة العلماء والفرسان » وهذا كأكثر ما أثر عنه يفيض منه البأو وتتدفق الدعوى . ومن هذا البحر قوله : « وقد علم الأمير ان والدي رحمه الله تعالى خلف علي ما لو خلفه على اهل بلد لكفاهم ، ولو فرقه على فقراء الدنيا لأغناهم . فما زالت صروف الدهر بخوارزم تقاتلني جهراً ، وتخاتلني سراً ، حتى خرجت منها أعرى من حية ، بعد ما كنت أكسى من بصلة ، وافقر من الحجر ، بعد ما كنت أغنى من الكعبة وأعطل من الحرم . وفي هذا أيضاً من الكذب ما لا يقبله طفل .

في رسائل الخوارزمي صورة من أخلاقه يصانع من يتوقع نفعاً منه ويتجني على من يستضعفه ولا يخاف شره ، تتمثل مصانعة الكبراء من أقواله وتحكم عليه بها انه كان لوناً عجيباً من الوان عصره . اقتدر هو وأمثاله من الكتاب والشعراء ان يصوغوا هذا النفاق السمج نثراً ونظماً على ما لم يصل اليه اهل القرون الثلاثة الأولى . ورسالته الى ابي الحسن المعروف بالبديهي الشاعر زعم تنبئك بانه اراد ان يعبث بمن لا يحب ، فغالى غلواً لم يبلغه أحد قبل عصره حتى ليشمئز تاليه ويضحك مما احتفل له وكد قريحته . وفي هذه الرسالة حاول ابو بكر الخوارزمي ان ينسج على منوال الجاحظ في رسالته لمحمد بن عبد الوهاب فكبا وما أتى الا بالاقذاع ، وما خرج عن السب والشتم المبتذل .

وهو الذي يقول : والشعر ينقلب مع الجو حيث كان ، ويرتاد المعروف والاحسان ، وانما هو مال سارب ، بل سيل زاعب ، اذا سد عليه طريقه خرقه في الأرض خرقاً ، وجعله لنفسه طريقاً بل طرقاً .

قدامة بن جعفر

ابو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد

(٣٣٧)

سكن ابو جعفر البصرة ثم انتقل الى بغداد ، وكان من اهل الأدب والكتابة وله مصنفات ، وتولى بعض الدواوين ، وولد ابنه قدامة في بغداد على الأرجح ، في أول الربع الأخير من القرن الثالث ، ونشأ على النصرانية دين أبيه وتثقف ثقافة اسلامية ، فأحكم اللغة والأدب والفقه والكلام والفلسفة والرياضيات وغلب عليه الأدب واللغة . ثم أسلم على يد الخليفة المكتفي وتولى في سنة ٢٩٧ بعض الأعمال في دواوين الأموال .

وسكتت الأخبار عن أصل ابي جعفر والغالب انه فارسي نزل ابوه او جده العراق ، وتمازج بالمسلمين وتعلم من علومهم ما يستعين به على الكتابة والتصنيف . أما ابنه فلقف علوم الملة الاسلامية شأن كثير من أذكياء العصور ومنهم ابن المقفع وعلي بن ربّن ثم امتلوا ملة الاسلام عن علم وثقافة .

يقول المسعودي ان ابا الفرج قدامة بن جعفر الكاتب كان حسن التأليف ، بارع التصنيف ، موجز الألفاظ ، مقرباً للمعاني ، واذا أردت علم ذلك فانظر الى كتابه في الأخبار المعروف بكتاب زهر الربيع ، وأشرف على كتابه المترجم بكتاب الخراج ، فانك تشاهد بها حقيقة ما ذكرنا ، وصدق ما وصفنا » وقال ياقوت : ان قدامة ادرك زمن ثعلب والمبرد وابي سعيد السكري وابن قتيبة وطبقتهم ، والأدب يومئذ طري ، فقرأ واجتهد وبرع في صناعتي البلاغة والحساب ، ثم قرأ صدراً صالحاً من المنطق ، وهو لائح على ديباجة تصانيفه ، واشتهر في زمانه بالبلاغة ونقد الشعر . وذكر له اسماء كتب كثيرة ألفها . وقال الخطيب البغدادي : هو من مشايخ الكتاب وعلمائهم ، وكان وافر الأدب ، حسن المعرفة ، وله مصنفات في الكتابة وغيرها . وضرب الحريري المثل في مقدمة مقاماته ببلاغة قدامة فقال : وان المتصدي بعده (اي بعد البديع الهمذاني) لانشاء مقامة ، ولو أوتي بلاغة قدامة ، لا يغترف الا من فضالته .

شهادات كلها متفقة على تفرد ابي الفرج ببلاغته ، وشفوف طبعه وغزارة علمه ، عرف بذلك بين الخواص واعترف له بمزاياه النادرة جهابذة النقد ، وأئمة البلاغة وان لم يشتهر كثيراً بين العوام ، وهؤلاء لا تستفيض شهرة احد عندهم ان لم يقرب في تآليفه ودروسه من افكارهم وتصوراتهم .

وأهمّ ما لم يفقد من كتبه كتابه « نقد الشعر » دلّ فيه على نبوغ واحاطة ، ولو لم يكن من جلال الآداب بالمقام الأعلى ما ناقشه في بعض آرائه في البديع أئمة الأدب بعده امثال المرزباني في الموشح ، والعسكري في الصناعتين وابن سنان في سر البلاغة ، والآمدي في الموازنة بين ابي تمام والبحتري .

اما الكتاب الذي سموه « نقد النثر » ونسبوه اليه فهو مما لم يكتبه ، ظاهر انهم نحلوه اياه . ومن يتأمل عباراته يجدها اشبه بعبارات اهل القرن السادس والسابع ، وبلاغته موضع نظر . فقد رأيناه في مقدمة « نقد الشعر » يدخل على موضوعه مباشرة وفي مقدمة « نقد النثر » اسجاع تنادي بأن الكتابين لكاتبين متخالفين في الطريقة والاداء .

وكذلك نشك في نسبة كتاب جواهر الألفاظ الذي عزي اليه . وفي جريدة تآليفه ذكر لكتاب الألفاظ من تأليفه ، وبضعة سطور من مقدمته تحمل الناقد على إلحاق كتاب جواهر الألفاظ بكتاب نقد النثر . قال في كتاب الجواهر وهو « كتاب يشتمل على الفاظ مختلفة تدل على معان متفقة مؤتلفة ، وابواب موضونة بحروف مسجعة مكنونة ، متقاربة الأوزان والمباني ، متناسبة الوجوه والمعاني ، تونق ابصار الناظرين ، وتروق بصائر المتوسمين ، وتتسع بها مذاهب الخطاب ، وينفسح معها بلاغة الكتاب ، لأن مؤلف الكلام البليغ الفصيح ، واللفظ المسجع الصحيح ، كناظم الجوهر المرصع ، ومركب العقد الموشع ، يَعدُّ اكثر اصنافه ، ليسهل عليه اتقان رصفه وائتلافه » .

اما كتابه « الخراج وصنعة الكتابة » وهو مما صنفه بعد نحو من عشرين سنة من اشتغاله في دواوين الاموال فهو نمط آخر من كتابته ليس فيه أثر من آثار السجع ويقل فيه الازدواج . مثال من كتابته في الخراج قوله في ذكر ثغور الاسلام والأمم والاجيال المطيفة : الامم والاجيال المخالفة للاسلام مكتنفة له من جميع أطرافه وغايات أعماله منهم المتقارب من دار مملكته ، ومنهم المتباعد عنها . وكانت ملوك الطوائف الذين يملكهم ذو القرنين يؤدون الاتاوة الى ملك الروم خمس مائة واحدى عشرة سنة الى أن جمع أردشير بن بابك المملكة بعد مشقة وطول مجاهدة فمنع حينئذ الاتاوة التي كانت الفرس تؤديها الى الروم بعد مشقة فينبغي ان لا يكون المسلمون لصنوف اعدائهم أشد حذراً منهم للروم ، وقد جاءت بذلك آيات يظهر بها حقيقة ما قلته والله الموفق للمصلحة بقدرته .

ونتجوز فتنقل جملة اخرى من كلامه من هذا الكتاب أيضاً وهو قوله « ثم نتبع ذلك بوصف احد ايام الغزوات ليكون علم ذلك محصلاً محفوظاً فنقول ان اجهدها مما يعرفه اهل الخبرة من الثغربين ان تقع الغزاة التي تسمى الربيعية لعشرة ايام تخلو من ايار بعد ان يكون الناس قد اربعوا دوابهم وحسنت احوال خيولهم فيقيمون ثلاثين يوماً وهي بقية أيار وعشرة من حزيران فانهم يجدون الكلأ في بلد الروم ممكناً وكأن دوابهم ترتبع ربعاً ثانياً ثم يقفلون فيقيمون الى خمسة وعشرين يوماً وهي بقية حزيران وخمسة من تموز حتى يقوى ويسمن الظهر ، ويجتمع الناس لغزو الصائفة ثم يغزون لعشر تخلو من تموز فيقيمون الى وقت قفولهم ستين يوماً فاما الشواتي فاني رأيتهم جميعاً يقولون : ان كان لا بد منها فليكن مما لا يبعد فيه ولا يوغل وليكن مسيره عشرين ليلة بمقدار ما يحمل الرجل لفرسه ما يكفيه على ظهره وان يكون ذلك في آخر شباط فيقيم الغزاة الى ايام تمضي من آذار فانهم يجدون العدو في ذلك الوقت أضعف ما يكون نفساً ودواب ويجدون مواشيهم كثيرة ثم يرجعون ويربعون دوابهم يتسابقون » .

هذا نمط قدامة في الانشاء وليس فيه أثر من آثار التكلف غير الصناعة وجمال الأداء ولقائل ان يقول ولكن قدامة هنا يقرر حقائق وهناك يكتب أدباً فنقول ان من يدقق يدرك ادراكاً لا تعتوره ريبة أن قائل هذا الكلام لا يرضى لنفسه ذاك التكلف والتعسف .

ان ما أصاب الخزائن من النكبات قضت بان يضيع القسم الأعظم مما كتبه المؤلفون ، وطول الزمن وانتشار الجهل كانا مدعاة الى أن تنسب بعض المصنفات الى غير مصنفيها ولعل الأمة العربية اذا طبعت كل ما في الشرق والغرب من المخطوطات تصل الى كشف حقائق تتعذر اليوم الاحاطة بها .

محمد كرد علي

احياء فصيح اللغة

تشتد المنافسة في هذه الأيام بين ما يسمونه الادب القديم والادب الحديث ، ويكثر النزاع بين الفئتين من أنصار هذين الادبين .

ومن صور هذا النزاع مناقضةُ أحد الفريقين للآخر في جواز استعمال الفاظٍ من فصيح اللغة العربية ، لم يألفها كتّابنا ، ولا محرّروا الصحف من أبنائنا ، ظانّين أنها من الغريب الحُوشي الذي يجب اطّراحه . مع انها لم تصل في الغرابة إلى حدّ التشاؤم بها ، والزراية عليها .

ولم يقف التشاؤم بهذه الالفاظ الفصيحة عند حدّ عامة الكتّاب ، بل تخطّاه إلى خاصتهم . حتى قال أحد هؤلاء : « إن كلمات المعاجم القديمة أصبحت جزءاً من تاريخ اللغة . فيجب أن يُعنى بها حين البحث في هذا التاريخ لا حين النظر في اختيار الفصيح وميزه من غير الفصيح . وان للكتاب والصحفيين الفاظاً وتعابير هي العمدة في الفصاحة ، وهي التي يجب أن تهتم بها مجامعنا اللغوية » اه

ونحن نحمد الله على أن كان هذا التشاؤم بفصيح اللغة مما لا يوافق عليه معظم ادبائنا المفكرين ، وإلا فان تحكيم هؤلاء الناس في نقد الكلمات واختيار الالفاظ : هذا اللفظ يوافق ذوقنا فاقبلوه . وهذا لا يوافق ذوقنا انبذوه . يؤدي حتماً الى موت نصف اللغة او ثلاثة ارباعها ، وفي ذلك تفريط في مصدر عظيم من مصادر تنمية اللغة العربية ، وإخراجها من الدائرة الضيقة التي تعيش فيها .

والرأي المعتدل في اختيار الفاظٍ جديدة للاستعمال ، أن يُرجَع منها ماتوفّرت فيه الشروط التي ذكرها علماء البلاغة لفصاحة الكلمة ، أعني عدم تنافر حروفها، وان لا تكون حُوشيّة ولا مبتذلة . ولا من كلام السفلة . وازيد على ذلك ان

يكون معناها مما يدخل في لغة حياتنا الجديدة، وفي كل ماله علاقة بحضارتنا الحديثة ·

مثال ذلك : أن العرب كانوا يحشدون الجنود للقتال و يضطرون احياناً ان يكون جيشهم مؤلفاً من عدة قبائل ، تحالف وتلتقي العدو ، ويسمون هذا الجيش «البَريم» وقد استعاروا لها هذا الاسم من لغتهم العربية نفسها : فان البريم هو الخيط الثخين المفتول من عدة خيوط مختلفة الالوان · ويقابل الجيش (البريم) الجيش (الجَمْرة) : وهو الذي تكون جنوده من قبيلةٍ واحدة ، لا حلفاء معها · ولا دخيل فيها · فإن المحاربين اذا كانوا من دم واحد ، توقدت حميّتهم فكانوا جَمْرة ملتهبة الايمان بعدالة قضيتهم وحماية وطنهم · وبعض حكومات هذا الزمان تسمي جيشها المؤلف من اجناس مختلفة (الجيش المختلط) فهل يحسن ان نتشاءم بكلمة (البَريم) وبأمثالها من الكلمات التي توفرت فيها شروط الفصاحة ونقول : هي من غريب اللغة فالواجب اطّراحها ؟

اذا اهملنا الكلمات الفصحى ورحّبنا بالكلمات الاجنبية ، وادخلناها مقاصير لغتنا من دون قيد ولا شرط يوشك ان لا يمضي علينا زمن حتى تختل الموازنة وتطغى العجمة ونبقى في معزلٍ عن لغة ثقافتنا القديمة · وفي هذا الصنيع إخلال بالعروبة ، وإضاعة للقومية ·

واللغاتُ تنمو بعدة وسائل ، وأهمها أمران · إحياء الفاظ من اللغة القومية القديمة · والثاني اقتباسُ كلماتٍ من اللغات الأجنبية الحديثة · ولكلٍ من الطريقتين شروط وتحفّظات ، ليس المقام مساعداً على بسطها ·

فكروا في فريق منا يتشاءم بغريب اللغة · أي غير المستعمل من كلماتها · فهو لا يريد ان يستمدّ من لغة المعاجم حياةً للغة نهضتنا الحديثة · وهذا الفريق هم معظم المثقفين ثقافة عصرية من أبنائنا — وفريق آخر يتشاءم بالكلمات الأجنبية · فيحرّم استعمالها · وهذا الفريق هو المثقف ثقافة اسلامية قديمة — ثم أردنا مثلاً ان نرضيَ الفريقين فأهملنا الكلمات اللغوية القديمة والكلمات

الأجنبية الحديثة . فماذا تكون النتيجة سوى أن تصاب لغتنا بالانيميا ، وقلة المادة ، والاقتصار على بقية من كلمات اللغة محدودة المقدار . تسربت الينا من خلال رطانة الأعاجم الذين عاشوا بيننا أحقاباً طويلة ، بينا حياة الحضارة الجديدة . تستدعي الوفا والوفا من الألفاظ والتعابير للدلالة على المسميات المختلفة ، والمصطلحات الحديثة .

هذه اللغة الانكليزية ، كان معجمها من عهد غير بعيد يتضمن عشرين الف كلمة ، أما اليوم فتبلغ كلمات معجمها نيفاً واربعمائة الف كلمة . كما حققه العلامة (بيرون سميث) أحد اساتذة جامعة بيروت الأميركية ، في مقال له نشره في مجلة الجامعة . وقد تتبع هذا الأستاذ الألفاظ العربية ، التي دخلت في اللغة الانجليزية ، فوجدها تبلغ اربعمائة وخمسين كلمة . وقال غيره بل هي تبلغ اكثر من ذلك . وعزا (سميث) السبب في نمو لغة قومه الى المصدرين اللذين ذكرناهما : إحياء الكلمات الانجليزية القديمة ، واقتباس كلمات من اللغات الاخرى . وبفضل هذين المصدرين نمت اللغة الانجليزية واتسعت دائرة استعمالها اتساعاً يكاد يحيط بكرة الأرض . والى هذين المصدرين نفسيهما ، أشار زميلنا المستشرق الانجليزي (المستر جب) . . فقال في احدى خطبه : (ويل للغة مصادرها معجماتها دون الشعور الحيّ للناطقين بها . وويل للغةٍ ينطق ويكتب الناطقون بها طوع أهوائهم ، ويضربون بمعاجمها عُرض الحائط) وما لي حاجة في حديثي هذا ان أنصر الألفاظ المعرّبة من لغة أجنبية ، فقد نصرتها بقوة في كتابي (الاشتقاق والتعريب) ، عدا أن الثقافة الأوروبية والعلوم العصرية التي ملكت عقول أبنائنا وألسنتهم قائمة بوظيفة الدعاية الملحة إلى هذه الألفاظ الأعجمية واستعمالها بنطاق واسع فهي ليست في حاجة الى نصرة ولا دعاية ولا شأن لنا بها الآن وانما الشأن كل الشأن في الفاظ لغتنا القاموسية الفصيحة : فانها بقيت من دون دعاية ولا نصير وقد لزمت مكانها واجمةً سادمةً ، حتى كاد العنكبوت

يخيّم عليها، وحتى كادت تمتد يد البِلى اليها . وحتى رحمها شاعر النيل حافظ ابراهيم وندبها فقال على لسانها :

أيا ويحكم أبلى وتبلى محاسني وفيكم اذا عزّ الدواء أساتي
فلا تكلوني للزمان فإنني أخاف عليكم أن تحين وفاتي
انا البحر في أحشائه الدرّ كامن فهل سألوا الغوّاص عن صدَفاتي

وليس في مقدوري ان أتجاهل الصعوبة التي كانت وما زالت تعترضني وتعترض غيري في إحياء الفصيح من غريب اللغة ، وتسهيل أمره ، وحمل فئة الكتّاب – ولا سيما الصحافيين – على استعماله فشدّ ما قمت استعطف جمهرةَ الكتاب على فصيح اللغة ، وأعرضها عليهم عرضاً ، وهم يرجون مني أن لا أفرض عليهم «لغة المعاجم» فرضاً ، وقد قضينا في ذلك الجدل والحوار زمناً كاد يوقعنا في اليأس من إحياء فصيح لغتنا المحبوبة . ثم بدا لي في آخر الأمر أن أسلك في نشر فصيح اللغة ، وتحبيب الجمهور بغريبها «الطريقة المقاماتية» اعني طريقة الحريري والبديع في مقامتيهما : فأعمد الى مُلَح من أقوال العرب ، يكون قد رواها رواتها بتعابير من الغريب الفصيح وأدخل هذه المُلَح المستظرفة في المحاضرات التي تلقى على الجمهور من وقت الى آخر ، فتعلق الفاظها الفصيحة باذهانهم ، من حيث لا يتوقعون . وقد نجحت هذه الطريقة الى حدٍّ ما . وقد تنجح الى أقصى حد ، اذا ثابرتُ أنا وغيري عليها .

وها كم مثالاً واحداً مما احسب أن الإصغاء اليه مفيد في نشر فصيح اللغة .

وصف رجل رجلا فقال : « هو هلباجة ضُغبوس » . . . – (الضُغبوس) : الضعيف ، ولكن مامعنى « الهلباجة » ؟ لم يرد في كلمات اللغة كلمة تشبه الهلباجة في استجماع صفات القُبح فيها : فترى العلماء يفسرون لك معناها بما يدلّ على أقبح أوصاف الرجال . ولا تراهم مكتفين بما قالوا ، بل يعودون فيسردون في تفسيرها المعنى بعد المعنى ، والوصف تلو الوصف . ومع ذلك يبقون في

شك من وقوعهم على معناها المطابَقي · فهم يقولون ما نصه (الملباجة) هو الأحمق الذي ما فوقه أشد حمقاً منه · (الملباجة) هو الوخم ··· المائق ··· الثقيل ··· القليل النفع ··· ومعنى (الوخم) الكثيف الطبع الذي لا رقة فيه ومعنى (المائق) المتناهي في الحمق والغباوة ·

ويخالفهم في تفسير (الملباجة) غيرهم فيقول : (الملباجة) هو النَّوْوم الكسلان ·· الجافي ·· العُطُل ·· ومعنى (العُطُل) بضمتين الخالي من المال والأدب ·

وكل هذه الأوصاف الخبيثة ، لم يشف قلب شراح اللغة ، في تفسير معنى الملباجة حتى قام الراوية الكبيرة (خَلَف الأحمر) ، ينقّب عن معاني لها غير ما ذكره زملاؤه · فلقي اعرابياً مشهوراً بالنطق بغريب اللغة وهو (ابن القبعثري) فقال له : هات يا فلان ، فسر لي معنى (الملباجة) فقال : هو الأحمق ·· الضَخْم ·· الفَدْم ·· الأكول الشروب ·· (ومعنى الفدْم العيّ عن الكلام القليل الفهم والفطنة) ثم تابع (ابن القبعثري) كلامه في تعديد معاني الملباجة فقال : هو الذي كذا هو الذي كذا ·· وذكر من قبيح النعوت والأوصاف ما شاء وشاءت مقدرته ·

قال الراوية خَلَف : ثم جعل هذا الاعرابي كلما لقيني يتذكر سؤالي له عن معنى الملباجة ، ويزيدني معنىً جديداً من معانيها ، وبعد مدة صادفته فقال لي : أريد ان أخرج من العهدة في تفسير هذه الكلمة الملعونة : (الملباجة) هو الجامع لكل شر ·

اقول : وهل انتهى الأمر عند هذا الحد ؟ كلا : فان خلفاً الأحمر عاد فلقي (ابن القبعثري) وفاتحه حديث (الملباجة) فتردّد في صدره من خبث معناها ما لم يستطيع إدماجه في كلة واحدة تكون كافية في التحديد · فعاد الى التعديد فقال : (الملباحة) هو الضعيف · العاجز ·· الأخرق ·· الجلف ··

الكسلان .. الساقط .. الذي لا معنى له ... ولا غَناء عنده ... ولا كفاية معه .. ولا عمل لديه ..

ثم راجع (ابن القبعثري) نفسه عند قوله (لا عمَلَ لديه) : فتذكر ان الهلباجة أحياناً يمكن أن يعمل فقال : وبَلَى ! سيعمل وعمله ضعيف . وضرسه أشد من عمله . يعني ان أهله اذا أكرهوه على العمل أتى بعمل ، ولكن يكون عمله حقيراً لا يوازي ثمن الطعام الذي أكله .

ويظهر ان راويتنا (خلفاً الأحمر) بقي ينظر في وجه القبعثري نظر المستزيد فقال له القبعثري قولاً فيه نصح . وفيه تدريب على معاشرة الهلباجة : « لا تحاضر به مجلساً للناس » (أي لا تصحبه معك الى مجالسهم) وسكت ابن القبعثري . وبقي خلف ينظر اليه كأنه يقول : إني أحياناً أضطر الى شهود مجالس الاخوان به قال : « فليحضر ولكن لا يتكلم » وأراد الانصراف ، فأخذ خلَف بتلابيبه قائلاً : انا لم اقنع بما قلت . وهبني قنعت فاني لا أكاد أحفظ جميع ما عددت من معاني الهلباجة . اما لديك كلمة تغني عن كلمات ؟ قال نعم : احمل على « الهلباجة » من معاني السوء ما شئت ...

يقول القارئ : حقاً إن كلمة (الهلباجة) على ما يظهر هي أجمع كلمات اللغة لقبيح الأوصاف . فهي بؤرة عذاب وقاموس سباب ... ولكن ألا يوجد في اللغة العربية كلمة على الضد من كلمة (الهلباجة) في استجماع صفات الخير ... وأجيب على ذلك بأنني لا أذكر كلمة خاصة في استجماع كل معاني المدح سوى كلمة (كريم) فان الكريم هو الرجل الجامع لكل صفات الكمال .

المغربي

العمراني وتاريخه

١ — كلمة

أثر عظيم ، في (تاريخ الدولة العباسية) كتب قبل أكثر من ثمانمائة سنة ، يقرر (تاريخها السياسي) ، وكأنه حرره لمن لا يودّ التوغل إلا في هذه الناحية ، أو يريد ان يعرف المطالب المهمة الخاصة بها ، والمشاكل التاريخية لتلك العهود دون تبسط في أمرها .

وهذا التاريخ هو (تاريخ العمراني) . ألفه سنة ٥٦١ هـ — ١١١٥ م فأجمل فيه حياة الرسول ﷺ ، والخلفاء الراشدين ، فالدولة الأموية ليتوصل الى الى البحث المقصود في تاريخ دولة بني العباس ، ويتوسع في خلفائهم ، ويذكر مناقبهم السياسية ، وأعمالهم الذاتية ونفسياتهم ، ومقدار اتصال الخلفاء بالسياسة وبالأمور الشخصية الخاصة ، ودرجة هذه العلاقة ...

فمن هو العمراني ؟ وما هو تاريخه ؟ وما هي مكانته في الأسلوب ، والترتيب والموضوع ، ومقامه بين التواريخ المعاصرة له ؟ الى آخر ما هنالك .

كلّ هذه تحتاج الى بيان وتوضيح وإلا فلا يكفينا ان نقدم الكتاب للقراء الأفاضل ونقف عند ذلك . فربما كان غالبهم لم يسمع باسمه كما ان كاتب هذه السطور كان كذلك .

٢ — التاريخ وصفته

هذا التاريخ — كما يظهر من مطالعته — من أجلّ التواريخ في (سياسة الدولة العباسية) أيام قدرتها وضعفها ، ثم انجلاء حالتها ، وانكشاف سياستها لما طرأ على الدولة السلجوقية من انحلال ، وخذلان في السياسة ، وانحطاط قدرة وظهور

ضعف ، أوضح فيه مؤلفه أيام قدرة الدولة ، ثم أيام التدهور ، وتغلب (الدولة البويهية) ، وهكذا عهود التغلب في (الدولة السلجوقية) في أواخر أيام حكمها ، وركود همتها ، وينقضي الكتاب بانقضائها تقريباً ، وهي مشارفة على الزوال .

رأيت الكتاب غفلاً من اسم المؤلف ، وأول ما تبادر لي أنه (شذور العقود[1]) وكنت لم أره ، فكان التخمين توهماً ، فرجعت الى مظان عديدة ، فلم أظفر ببغية ، ولا وقفت على خبر عن مؤلفه الا أن أصل التاريخ يعين ان إنهاءه كان في سنة ٥٦١ هـ ، وان مؤلفه وقف به عند حياة الخليفة المستنجد بالله العباسي ، وان هذا المؤلف كان في الرحبة خارج العراق ، فاعتذر عن ذكر حياة المستنجد بسبب بعده عن العراق .

كتب كتابه هذا باعتماد وثقة ، لم يشتبه في حادث ، ولا تردد في أمر ، بل قطع في كل ما كتب . ولعله رجع الى مؤلفات كثيرة ، فأخذ عنها المقطوع به ، ولم يهمل أمراً له اتصال بالحوادث ، متخذاً الخلفاء أصل المباحث وان لم يقف عندها وحدها ، والمؤلف لم يقصر في بيان أعمال كل خليفة ، وبيان أوصافه الشخصية بنظرة سريعة .

وهذا ماجاء في مقدمته :

« وبعد فاني ذاكر في كتابي هذا طرفاً من أخبار الدولة القاهرة العباسية فضلاً من مناقب الدعوة الهادية الهاشمية ، وأبتدىء بذكر سيد البشر ، والشفيع المشفع يوم العرض الأكبر ، ثم بعده بالأئمة الأربعة ، ثم من أفضى اليه الأمر بعدهم من بني أمية الى أن عاد الحق الى أهله ورجع إلى من هو أولى به وهم آل النبي وبنو عمه وورثة علمه ، وأمناؤه على وحيه ، القائمون بنصرة السنة ، والمهديون أهل الرأفة والرحمة (الى أن قال) ثم أنزل على الترتيب الى

---

(١) هذا الكتاب مختصر المنتظم لابن الجوزي نفسه ، وفيه زيادات ومنه نسخ في مختلف خزائن الكتب .

أن أختم الكتاب بالأيام المستنجدية أدامها الله تعالى . » اهـ[1]

وهذه النسخة كتبت في ٤ شوال سنة ٦٨٢ هـ .

٣ — العثور على اسم الكتاب واسم مؤلفه

عثرت على (تاريخ ظهير الدين الكازروني) فوجدته لا يقل عن ذلك التاريخ فائدة . فكنت أطالعه ولم أقصد التحري عن ذلك الكتاب فقرأت عن الخليفة الناصر لدين الله :

« ... جمع الله شمل الاسلام والمسلمين ببرّه وجوده . ثم انه عمر المساجد ، وأثّر الآثار الجليلة ثم انه جمع كتاباً في الأحاديث النبوية سماه (روح العارفين) ، ورواه عن شيوخه بالاجازة ، وقد ذكرتهم في (التذييل) على ما ألفه (الشيخ الثقة محمد بن علي بن محمد ابن العمراني) الذي ابتدأت فيه باول (ولاية المستنجد) ، وختمته بآخر امامة الإمام المستعصم بالله قدس الله روحه ، وأجاز لجماعة روايته ورواية غيره مما أجيز له روايته ، وقد ذكرتهم أيضا في ذلك التذييل ... » اهـ

هذا النص قد فتح المغلق ، فعرّف بالكتاب ومؤلفه ، وعرفنا أمراً جديداً وهو ان الظهير الكازروني قد ذيل عليه بكتاب سماه (التذييل) . وكان قد توفي الكازروني سنة ٦٩٧ هـ — ١٢٩٧ م . وبهذا عظمت قيمة الكتاب فالكازروني الذي هو من مشاهير المؤرخين في بغداد قد كتب ذيلاً عليه .

ومن هنا علمنا اسم المؤلف وأدركنا قيمة ما ورد في الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ . ووقفنا على اسم الكتاب . قال :

« وجمع الجمال محمد بن علي العمراني (الأنباء في تاريخ الخلفاء) ، وذيل عليه ولده صديد الدين يوسف بن المطهر . » اهـ[2]

فعلمنا اسم الكتاب أيضاً . ومن الغريب ان يقف السخاوي على هذا الأثر ، ويعرف اسمه واسم مؤلفه ومن ذيّل عليه ولم يعرفه ابن ابي عذيبة . الا ان

(١) تاريخ العمراني ص ٣ . (٢) الاعلان بالتوبيخ ص ٩٦ .

عبارة السخاوي في (الاعلان) جاءت مقتضبة ، وأرى انها مبتور منها سطر ، وظاهرها أو ما يقارب ذلك :

« جمع الجمال . . . والتذييل عليه لظهير الدين الكازروني الى آخر أيام المستعصم بالله ، وذيل عليه ولده سديد الدين يوسف بن الظهير . » اهـ

فيكون صاحب التذييل الكازروني ، وصاحب الذيل على التذييل ولده سديد الدين يوسف بن الظهير لا المطهر والا فلا يأتلف ما ذكره السخاوي لأنه يفيد انّ سديد الدين ابن المؤلف وهو المطهر وليس بصواب لما مرّ من صحيح اسمه . وقد روجعت بعض النسخ المخطوطة في دار الكتب المصرية من الاعلان ، فلم يظهر فيها مايتمّ النقص . وهناك نسخ اخرى لم نتوصل اليها وفي ليدن نسخة منه . ولعل التحري عن نسخة المؤلف أو ما هو منقول منها يكشف عن الصواب .

وعلى كلّ حال توضح لنا اسم الكتاب ، ومؤلفه ، وأن النسخة الموجودة منه في ليدن[1] ربما كانت نسخة السخاوي ، فبعد أن عرفنا ذلك تعينت لنا المباحث ولم يبق غموض بل أن السخاوي قد أشار إلى أمور تدعو الضرورة الى أن نتعقبها .

٤ — ترجمة المؤلف

جاء في كتاب الأنساب للسمعاني ، من نسب للعمراني ، والأقرب من ينسب الى بيت كبير قديم بسرخس ، قال : والذي رأيته منهم أبو الحسن علي بن محمد العمراني السرخسي وبين أنه حظي عند السلطان سنجر شاه بن ملكشاه السلجوقي ، وارتفع أمره ، ثم حبس وقتل بمرو بقرية شيخ ، تغير رأي السلطان عليه في سنة ٥٤٥ هـ — ١١٥٠ م وكان رأيه في تغيير دائم . . .[2]

(١) خزانة كتب جامعة ليدن ج ٣ ص ٤٨ ورقم ٨٩٣ .

(٢) الانساب للسمعاني ، ولباب الأنساب لابن الأثير . والعمرانية قرية في أنحاء الموصل ، وأخرى في اليمن ، وهذه الأخيرة نسب اليها كثيرون .

وفي الوافي بالوفيات جاءت ترجمته أوسع . قال :

« أبو الحسن العمراني : علي بن محمد بن علي بن أحمد الخوارزمي . قرأ الأدب على الزمخشري ، وصار من أكابر أصحابه ، لا يشق له غبار في حسن الخط واللفظ ، سمع من الزمخشري ، والامام عمر الترجماني ، والحسين بن سليمان الخجندي ، وعبد الواحد الباقرجي وغيرهم . وكان ولوعاً بالسماع ، وكان مع العلم الغزير الوافر فيه دين وصلاح وزهادة ، وكان يذهب مذهب الرأي والعدل . ومن تصانيفه (كتاب المواضع والبلدان) ، و (كتاب اشتقاق الاسماء) (وتفسير القرآن) . ومن شعره :

رأيتك تدعي علم العروض   كأنك لست منها في عروض

فلم تزري بشعر مستقيم   صحيح في موازين العروض

كأنك لم تحط مذ كنت علماً   بمجنون الضروب ولا العروض

مات سنة ٥٦٠ هـ . » اهـ [1]

وهذا هو والده كما يظهر من المقابلة ، وهو صاحب (كتاب البلدان) وعندي أوراق منتثرة منه ، ينقل منه صاحب المعجم كثيراً ، وكان من تلامذة الزمخشري . وفي طبقات السبكي أنه توفي سنة ٥٦٠ هـ . ومثله في كشف الظنون ولعل الصواب ماذكره السمعاني فهو معاصر له ، وأقرب لمعرفة تاريخ وفاته .

ولعل المترجم ذهب الى العراق بعد قتلة والده ، ثم مال الى الرحبة ، فاختارها دار اقامته وكتب تاريخه هناك . ومن المحتمل ان يكون هو المعروف هناك بـ (ابن المتقية) كما جاء في معجم البلدان في مادة (الرحبة) ، وورد (ابن المتفنّنة) والاسم واسم الأب والجدّ متماثلة . ولا نتوغل ولعلّ الأيام تكشف عن حياته فلا تزال الذيول على تاريخ الخطيب البغدادي غير مطبوعة . وعلى كلّ حال انه عالم وابن عالم وكفى أن ينبئ عنه أثره ، ويعرّف بغزارة علمه .

(١) الوافي بالوفيات ، مخطوطة خزانة نور عثمانية .

٥ — أسلوب الكتاب ومباحثه في ترتيبها ومادتها العلمية

هذا الكتاب يختلف عن النبراس ، ولا يزال الأسلوب التاريخي في بغداد وأنحائها جارياً في الغالب على الترسل والبساطة في التعبير ، ويشاهد في تاريخ ابن الجوزي ، ومن بعده ، وأول من اختط الأدب الفني المألوف المصطنع على أسلوب الحريري العماد الاصبهاني وقد عرف بالتكلف ، وابن شداد ، والقاضي الفاضل ، وآخرون منهم (ابن دحية) في كتابه النبراس ، وهكذا مضى على ذلك كثيرون منهم ابن حبيب وابن عربشاه ومن مشى على نهجهم .

أما العمراني فانه لم يمل الى ما مال اليه أولئك ، واتخذ البساطة في التبليغ فلم يخرج عليها حتى في مقدمة كتابه . ولكلٍ وجهة .

أما ترتيب الكتاب كما جاء في مقدمته فقد كان على توالي المباحث من أيام الرسول ﷺ الى أيام الخلفاء الراشدين ، الى الأمويين ، فالعباسيين حتى أيام المستنجد بالله . وهذا هو الترتيب المألوف وكان قد خرقه (سنان بن ثابت ابن قره الحراني) ، فانه عكس الآية فلم يأخذ بالترتيب المتوالي وانما ذهب الى الترتيب المعكوس من زمنه فصعد به الى من قبله . قال المسعودي فانه وان أحسن فيه ، ولم يخرجه عن معانيه الا أنه تكلف ، وخرج عن مركز صناعته . وفي الاعلان بالتوبيخ نسب هذا الحادث الى ابن أبي الأزهر . ولعله جاء سهواً ، والصواب ما قاله المسعودي . وهذا الأسلوب يعد تجديداً في التاريخ . وتغييراً لأسلوبه المعتاد مما يدل على قدرة . ومؤرخنا مشى على المألوف ، فلم يخرج عنه . ومباحثه جليلة ، ومريعة الأخذ . أذكر بعض الأمثلة منها :

١ — ان المؤلف تناول الخلفاء واحداً فواحداً ، ونقل قول (سفيان الثوري) أن الخلفاء الراشدين كانوا خمسة لا أربعة ، وعدّ (عمر بن عبد العزيز) منهم ، ويقول المؤلف أجمع الناس في أيام (المهتدي) على أن السادس هو المهتدي بالله . وتمثل فيه بعضهم بقول الأعشى :

حكّمتموه فقضى بينكم أبلج مثل القمر الزاهر
لا يقبل الرشوة في حكمه ولا يبالي غبن الخاسر

ويتوسع في كلّ خليفة في سياسته ، وفي خاصية نفسه لإيجاد العلاقة بينهما دون فك الارتباط ، ويخطأ من فرق بين الحياة العامة والخاصة فمن كان لا يبالي بخاصة نفسه فهو أضيع للأمور العامة وفي هذه الفلسفة ترويج للقبائح وتساهل في الأفعال المنكرة .

٢ – الخليفة المتقي لله :

كان من أعظم أمرائه بجكم ، نفذه الخليفة الى قتال الأكراد والديلم بنواحي واسط فمضى ، وهزمهم ، وفي عوده كان يتصيد ، وعليه غلالة كتان ، فبادره كردي ، ورماه بحربة ، فوقعت في ظهره ، وخرجت من صدره ... وكان لبجكم ترجمان يعرف بمحمد بن ينال المتقي ابي عبد الله ابن البريدي عامل واسط وتزوج ابن الخليفة المتقي أبو منصور بابنة ابي عبد الله ثم استشعر منه المتقي لأنه كان قد جاء من واسط بعشرين الفاً من الديلم فنفذ المتقي واستهم عليه وضمهم الى عسكره ، فانحدر البريدي هارباً الى واسط ... ومنها الى الأهواز وكاتب الديلم بني بويه يهوّن في أعينهم أمر الخلافة ويحسن لهم قصد الحضرة .

استوزر المتقي أبا اسحق القراريطي حتى قال الناس قد اسحقت الخلافة في أيام المتقي ، هو ابو اسحق ، ووزيره ابو اسحق ، وذكروا جماعة من خواصه اسم كل واحد منهم إما اسحق أو ابو اسحق ... فاختار المتقي كورتكيز أحد الديلم الذين أصعدوا مع (ابن البريدي) من واسط وجعله أمير امرائه وخلع المتقي على بدر الخرشني واستحجبه وذلك كله في شوال سنة ٣٢٩ هـ – ٩٤١ م .

ثم ورد الخبر بدوام ابي بكر بن رائق من الشام الى الحضرة ، فاستشعر كورتكيز من أن يوليه المتقي امارة الأمراء مكانه ، لانه كان تسمى بها أيام الراضي ، فاستأذن الخليفة في الخروج اليه ، ودفعه فأذن له قولاً باللسان ،

وقلبه مع ابن رائق ، ونفذ الى ابن رائق يأمره بسرعة القفول ، فدخل ابن رائق بغداد ، وهرب منه كورتكيز .. وجرى ما جرى في بغداد بسبب ذلك من الوقيعة بالديلم .

ومن هذا يفهم أن الخليفة لم ينم لحادث . فرّق بين ابن البريدي والديلم ، ثمّ استشعر من الديلم ومن كورتكيز فقضى على ما أزال حذره وخوفه ...

ثم ان الخليفة خلع على ابن رائق ، وقلده امارة الأمراء ، وعقد له لواءين أحدهما على المشرق ، والآخر على المغرب ، وطوّقه وسوّره ، وأنزله دار مونس المظفر المتضدي . وكان من نتائج المفاوضة بين ابن البريدي وبين الديلم ان أمدّوه بمائة ألف من الديلم خيّالة ورجّالة ، فنفذ ابو عبد الله ابن البريدي العسكر مع أخيه ابي الحسين ابن البريدي للتهجم على الحضرة ، فحين قربوا بغداد هرب المتقي منهم ومعه ابن رائق الى ناحية الموصل ، واستولى أبو الحسين ابن البريدي على بغداد ، ونفذ الى الخليفة يقول له إني عبدك ، ويحلف بالأيمان المغلظة اني لا أريد بك سوءاً ، وانما أريد ان أكون مكان ابن رائق ، ولم ينزل دار الخلافة بل نزل دار مونس التي كان ينزلها ابن رائق .

ولما وصل الخليفة الى الموصل خرج الأمير ناصر الدولة بن حمدان الى مراحل واستقبله وخدمه الخدمة التامة وعرف أن الخليفة محتاج الى بني حمدان ، وأنه لا يمكنه ان يغضبهم وهو على تلك الحالة . ولو فعلوا ما فعلوا ، فبادر وفتك (بابن رائق) لمعاداة كانت بينهم ، ولم يظهر من المتقي إنكار ، وقلد الخليفة ناصر الدولة امارة الأمراء مكان ابن رائق ، وجمع سائر بني حمدان ، وانحدر وهم في جملته الى بغداد ، وكان في جملة ابن البريدي الأمير ابو الوفاء توزون التركي ، فغدر بابن البريدي ، وانضم الى عسكر المتقي لله ..

ودخل المتقي بغداد ، وخلع على توزون التركي ، وطوّقه وسوره ، ولقبه بالمظفر ، فشقّ ذلك على ناصر الدولة ... واستوزر المتقي أبا الحسين ولد الوزير ابي علي

ابن مقلة ، وخرج من دار السلطان وعليه الخلع وذلك في رمضان سنة ٣٣١ هـ وقدم المتقي لله (ابا نصر محمد بن ينال الترجمان) وقوّده ، وأراد ان يوليه امارة الأمراء ، فخاف من ناصر الدولة ، وعلم ناصر الدولة بباطن الحال ، فاستشعر وطلب الإذن له في أن يخرج الى عمله ، فأذن له ، فخرج على وجه جميل .

ثم ان الخليفة قد ضمن له توزون ما يحتاج اليه في كل شهر ، وان يقوم بذلك ، فولاه (امارة الأمراء) ، وطوّقه وسوره ، فقام بما كان ضمن على نفسه الا أنه ضيق على المتقي جداً ، واستشعر المتقي منه لغلبته على الأمر ، واستبداده على الملك ، واستشعر أيضاً توزون ، وانحدر الى واسط باذن المتقي لتقرير أمر البلاد السفلى ، ومحاربة ابن البريدي والديلم ، فحين بعد توزون عن بغداد نفذ المتقي الى بني حمدان يستدعيهم فأجابوه وانحدروا الى بغداد ، وضربوا مضاربهم على باب الشماسية وخرج الخليفة ، وضربَ مضاربه عندهم ، ورحل من فوره ، وترك بغداد ، ونزل الرقة ، وصيّر (محمد بن ينال الترجمان) أمير الأمراء وطوّقه وسوّره .

وحين وصل الخليفة الى الرقة ، وكان واليه على مصر أبو بكر محمد بن طغج سمع بوصوله الى الشام جاء اليه ولقيه بالرقة بالعدة الحسنة والعسكر الكثير ، وأهدى له من تحف مصر ، ولوزيره أبي الحسين ابن مقلة ما ملأ عينهما . ثم أمره الخليفة بالعود الى عمله ، فعاد اليه ، وكان قد قال للمتقي :

يا مولانا قد فسدت أمور العراق باستيلاء بني حمدان على طرف ، وبني بويه على طرف ، وباستشعارك من توزون . فلو جئت الى مصر ، وأقمت بها ، كنت أكفيك ما تريده !

فقال له المتقي :

كيف أقيم في زاوية من الدنيا ، وأترك باقي الدنيا يخرب ! هذا لا يمكنني !

فعاد وتركه في الرقة .

ومن هذا كله يفهم ان الخلفاء كانت لهم آمال ، وأنهم لا يزالون في يقظة وانهم كانوا متأهبين لاستعادة المجد ، وأخذ السيطرة .

ثم ان توزون راسل المتقي لله يستل ما بقي في نفسه ، فما التفت الى رسالته . ونسب ذلك الى بني حمدان أي ان الخليفة لم يترك الفرصة ، ولا سلّم نفسه لواحدٍ من أمرائه .

ثم ان بني حمدان اجتمعوا عند المتقي ، واشتوروا على جمع العساكر وقصد توزون ، ولم يطب لهم ان يكون (الترجمان) مقدماً عليهم ، فدخلوا يوماً على المتقي ، وخرجوا من الدار ، فلما صاروا في بعض الدهاليز غمز ناصر الدولة أخاه سيف الدولة ، فاخترط سيفه ، وضرب به رأس الترجمان فأبانه عن بدنه ، وسمع المتقي الضجة ، فقال ما هذا ؟ قالوا سيف الدوله قتل الترجمان ، فقال كالمغضب أمس ابن رائق ، واليوم الترجمان !

ولم يطل القصة لحاجته الى بني حمدان . ثم ان بني حمدان خدموه بأموالهم وأنفسهم ، وأنسوه الترجمان .

وبعد ذلك وصل الخبر من العراق بأن أحد بني البريدي وهو ابو عبد الله قتل أخاه الآخر أبا يوسف ، وان أمر الديلم قوي بالبلاد السفلى ، وان ابا عبد الله البريدي الذي يقاومهم توفي عقيب قتلة اخيه ، وان الأمير ابا الحسين احمد بن بويه قصد بغداد وبها توزون ، وأظهر ان الخليفة المتقي كاتبني وأمرني بذلك ، وان توزون حاربه وهزمه ، ومرّ الديلمي هارباً ، وقوي أمر توزون .

ثم تواصلت رسل توزون الى الخليفة ، وأحضر الأمير توزون القضاة والعلماء والأشراف وحلف بمحضر من رسول المتقي على كل ما يريده ، ووقع الصلح وانصرف الناس مسرورين وذلك في يوم الاثنين ١١ ذي الحجة سنة ٣٣٢ هـ — ٩٤٤ م .

ولما كان في صفر سنة ٣٣٣ هـ صح عزم المتقي على دخول بغداد ، فركب توزون الى دار الخلافة ، وأمر بتجديد ما يحتاج الى تجديده ، وعمارة ما تشعث

فيها ، وكان يتردد بنفسه كل يوم دفعات الى الدار ، وحين قرب الخليفة من بغداد أمر توزون ان تنصب القباب كما نصبت في المرة الأولى ، ففعل ذلك ، وزينت بغداد ، وهو يتولى ذلك بنفسه ولا يكله الى أحد . وتعين دخول المتقي يوم السبت تاسع عشر صفر سنة ٣٣٣ هـ — ٩٤٤ م . وخرج كل من ببغداد من القضاة والأشراف والعامة والتجار ولم يبق في البلد الا شيخ مقعد أو زمن

ولما وصلو الى السندية أقاموا هناك ينتظرون وصول المتقي وهو على ستة فراسخ من بغداد وركب الأمير توزون في احسن زي وعدة ، وحين توثق الخليفة من توزون صرف جميع عساكر الشام وبقي في خواصه وخدمه ، وحين أشرفت (عمارية) الخليفة عليهم قاموا كلهم ، ودعوا وكبروا . وكان في عمارية مبطنة بسمور أهداها اليه ابو بكر محمد بن طغج أمير مصر ، فلما وقعت عليه عين توزون اكب على الأرض فقبلها دفعات ، فقال المتقي لا تفعل يا ابن الوفاء ، ومشى بين يدي العمارية شوطاً بعيداً ، فقال اركب . فلما قربوا من المضارب ، وكان قد ضرب للخليفة سرادق حمر من ديباج جاء بها معه من الشام أحدق دبلم توزون بعمارية الخليفة ، وعدلوا بها الى مضارب توزون والناس لا يعلمون ما الذي يريدونه الى ان أدخل في العماريه الى سرادق توزون ، وضربت الدبادب والبوقات على باب السرادق ، واصحاب الخليفة كلهم وقوف لا يعلمون أين ذهب به . وكذلك كل من خرج لتلقيه من اهل بغداد .

وبينا هم في ذلك اذ خرج الأمير ابو القاسم عبد الله بن المكتفي من سرادق توزون ، وعليه القباء الأسود ، والمنطقة والعمامة على الرصافية وهو متقلد سيفاً بحمائل ، فركب جنيب (١) من الجنائب التي كانت تنقاد بين يدي المتقي لله . وكان قد احضره توزون وسايره ، وهو يقول للناس ادعوا لخليفتكم ، فنزل القوم كلهم ، وقبلوا الأرض ، وبايعوه . وسمى نفسه (المستكفي بالله) .

---

(١) كذا في الأصل . وصوابها [جنيباً] .

ثم سار في صحراء اسندية ، والأمير توزون على يمينه ، والعساكر تسايره ، ونزل في سرادق المتقي ، وجلس على سريره ، ثم رحل من فوره وركب والأمير توزون يسايره حتى دخل بغداد . والخلائق الذين خرجوا لاستقبال المتقي في صحبته ، واجتاز تحت تلك القباب التي ضربت للمتقي ، ودخل دار الخلافة .

ثم ان الناس سمعوا من بعد ذلك ان عمارية المتقي لما عدلوا بها الى مضارب توزون اعتقد المتقي ان توزون يريد بذلك ان يتشرف بنزول الخليفة عنده في ذلك اليوم ، فحين دخلت العمارية الى المضارب ، وقعت عين المتقي على ابن عمه أبي القاسم بن المكتفي ما فطن أيضاً بالقصة واعتقد انه قد خرج لتلقيه مع من خرج الى ان قال له توزون بايع امير المؤمنين ، فقال المتقي ومن أمير المؤمنين ؟ قال توزون : هذا الذي تراه !

فعلم حينئذ انه قد غدر به . وقال : ما أبايعه ! ولا أخلع نفسي !

فأمسكوه ، وسملوا عينه في الحال .

ومن هذا يفهم ان المتقي لم يكن آلة بيد المتغلبة ، وحاول القضاء على الواحد بعد الآخر ، ولكن الأوضاع لم تسعفه . ولم ينجح في مساعيه ، وكان قد التبس عليه أمر الحمدانيين ، فمال الى توزون لما وثقه به . . . الا أن توزون غدر به ، وحلف كذباً وزوراً . والأمور السياسية في تلك الأيام تنطوي على الكذب والخديعة من جهة ، والموافقة والمسايرة من جهة أخرى . وكان الخليفة في كلّ أحواله صاحب فكرة ، ويرعى الأحوال بعناية ، ولكن الآمال التي يحملها ، وما يكتمه الأمراء من تنازع السلطة قد كادت تودي بالمملكة ، بل أودت بها .

٣ — المستكفي بالله :

وهل كان المستكفي قد سلم القياد لتوزون ؟ وأذعن له في كلّ أموره ، وأودع اليه جميع شؤونه . . . ؟ ام هل كان بنجوة عما جرى او يجري ؟ وهل

كان هم الخليفة أن ينال حظه من لقب خليفة أم كان يحمل عبئاً ثقيلاً ، ويحاول ان يقضي على المتغلبة ، وان تكون الادارة خالصة للدولة ، وبيد الخلفاء امرها ونهيها ... ؟

وعن هذا نستنطق المؤلف ، ونسمع قوله فقد بين صفحة خفية ، وسراً مكنوناً . قال :

« بويع له ساعة كحل في يوم السبت ١٩ صفر سنة ٣٣٣ هـ . وكان السفير له في الخلافة امرأة تعرف بـ « حسن الشيرازية » . وكانت زوجة بعض كتاب الأمير توزون كانت تدخل دار الأمير أبي القاسم ابن المكتفي ، وتختلط بأهله قبل خلافته ، فقالت يوماً لزوجها لو خاطبت الأمير توزون في استعطاف المتقي لله بكل ما يجد اليه سبيلاً حتى يحصل في يده ثم يقبض عليه ويبايع ابن المكتفي ... فوافق ذلك ما في نفس توزون من المتقي ، وانه دفعة كاتب بني حمدان ، ودفعة كاتب بني بويه يؤلبهم عليه .

وكان هذا الرجل قد ألقى الى سمع توزون وثبت في نفسه أنك إن أتممت هذا الأمر كان هذا الرجل خليفة من قبلك ، وكان طوع أمرك ونهيك ، ورأى نفسه من صنائعك .

ولما وصل الخليفة الى صحراء السندية ، ورآه توزون استحيا منه ، وأراد الرجوع عما كان عزم عليه ، أو تأخير الأمر الى ان يستقر في الدار . فقال له ذلك الرجل إن كنت تريد ان تفعل شيئاً فافعله الآن . فهذا وقته قبل أن يدخل الدار ، وتحول بيننا وبينه الحيطان ، وقبل أن ينم اليه شيء من أمرنا فيهلكنا ، فأقدم حينئذ توزون على ما أقدم عليه ، وصير المستكفي هذه المرأة (قهرمانة الدار) ، وغير اسمها وسماها (علماً) ، فصارت تعرف بـ (علم القهرمانة) .

وكان الأمير توزون يركب كل يوم مع المستكفي الى باب الشماسية على الظهر ، ثم يعود في المساء وهو معه حتى يصعد الى الدار .

ثم ان المستكفي خاف ان يجري عليه من توزون ما جرى على المتقي ، وكان قد بقي في بني البريدي ابو الحسين ، وهو الذي جاء الى بغداد ، وهتك حرمة الخلافة ، وهرب منه المتقي الى الموصل ، فأمر المستكفي الأمير توزون باستعطافه ومكاتبته وبذل الأمان له ليحصل في أيديهم ففعل توزون ذلك ، وكتب له الأمان ، وتنفذ اليه الرسل حتى ورد الحضرة ، فلما دخل على المستكفي أمر باحضار النطع والسيف ، وقدم البريدي وأمر بضرب عنقه بين يديه .

واستشعر توزون من المستكفي ، فبادر المستكفي فسمّ توزون ، فمات في ثلاث الأيام ، واستوزر أبا جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد ، ولقبه (أمير الأمراء) ، وزاد في القاب نفسه (أمام الحق) ، وأمر ان يكتب على التراس والطرز والأعلام .

وفي سنة ٣٣٤ هـ عاد الأمير ابو الحسين احمد بن بويه الديلمي الى نواحي العراق وقصد (بغداد) طمعاً في ان يكون مكان الأمير توزون ، فأظهر المستكفي الفرح به والسرور بقدومه وخلع عليه وطوقه وسوّره ، وجعله أمير الأمراء ، ولقبه معز الدولة .

ثم نمّ الخبر الى معز الدولة بأن (علم القهرمانة) تريد ان تتخذ دعوة وتجمع فيها وجوه بغداد من القضاء والأئمة وتدعو في الجملة معز الدولة ووجوه أصحابه ، فاذا حصلوا عندها في الدار دخلت اليهم العامة من باب آخر ، فعلوهم بالسيوف ، فاستشعر معز الدولة من الخليفة ، وقال مثل هذه المرأة تلعب بالدولة ، ودبر أمره بحيث لم يعلم به أحد ، ودخل في يوم الموكب مع العامة الى خدمة المستكفي ، وهو يوم الخميس ١٦ جمادى الأولى سنة ٣٣٤ هـ فحين وقعت عينه قبل الأرض ، ووقف بين يدي السرير ، وأمره فصعد الى درجة السرير ، وأخذ يده فقبلها ، ثم كان بعد ذلك يصعد الاثنان فيقبلان يد المستكفي وينزلان ، ويصعد آخران فانتهت النوبة الى أن صعد ديلميان لتقبيل يده أحدهما اسمه (بكران) وهو خال معز الدولة والآخر من أقاربه ، فحين مد يده اليهما

جذباه جذبة سقط منها على الأرض ، وبادر معز الدولة وترك عمامته في حلقه وسحبه على وجهه ، وأمر بضرب البوقات والدبادب على شاطئ دجلة تحت الدار ، وانتهبت الدار وكل من حضر في ذلك الموكب ، وأخذت (علم القهرمانة) .

ثم مضى معز الدولة الى دار الأمير أبي القاسم بن المقتدر بالله وأخرجه منها ، وأجلسه على السرير ، وبايعه بالخلافة وسلم عليه المستكفي بالخلافة ، فسمل عينه وحبسه » اه

وهذه آخر ايام الدولة العباسية الأولى ، ومن ثم حدث التغلب من الخارج على الدولة العباسية ، فدخل البويهيون بغداد في ١٢ جمادى الأولى سنة ٣٣٤ هـ - ٩٤٥م ، وفي ١٦ منه خلعوه وسملوا عينه فلم يعد يتمكن من الظهور خليفة للمراقبة الشديدة . وقضي على الآمال ، وماتت النفوس ، وتحكم المتغلبة في البلاد بقسوة . ومن سيرة هذين الخليفتين علمنا ان الأمل في استعادة الادارة والسلطة قد مات وكان الخليفة المتقي قد قتل البريدي وبعده قتل توزون فلم يبدأ من الانتقام من أعداء الدولة وكان قد نجا من عدوين ألدّين ، وصرف جل آماله للقضاء على البويهيين ، أو معز الدولة وحده وهو بمقام الكل . وعده عدواً لدوداً ، بل أشد الأعداء ، ولكنه لم ينجح في مسعاه ، ولا في تدبير قهرمانته وربما كان المستكفي يترقب فرصة أخرى ، وان معز الدولة أوجس خيفة منه لما رأى ما جرى على ابن البريدي ، ثم على توزون ، واعلان الخليفة نفسه أنه (الامام الحق) ، فضرب ذلك على نقوده ، وانتشر ذكره ، وذاع خبره . والأمر بيد الله ، يصرف الأمر كما يشاء ...

وأعقب ذلك قوة في هؤلاء المتغلبة ، وضعف في الخلافة ، وهكذا دام الحال أيام السلجوقيين أيضاً ، ولم يزل التغلب حتى جاء هولاكو فقضى على المتغلبة ، وعلى الخليفة معاً ، فصار القول قوله ، والحكم حكمه .....

وهذه النصوص تعين مكانة هذا الكتاب ، ومنزلته من السياسة العامة .

ومن نفسية الخلفاء في آخر عهدهم وما أبدوه من قدرة للتخلص من التغلب ، فتمكنوا من الداخل ، وقبل ان يستقر الأمر جاءت قدرة فائقة ، وظهرت قوة خارقة ، فقضت على الآمال . ولا شك أن كتاباً مثل هذا صغير الحجم يغني عن مؤلفات كثيرة في التاريخ ، ويؤدي خدمة كبيرة في خفايا السياسة أو ادارة الدولة من جهة ، ونفسيات الخلفاء من الجهات الأخرى ...

وعلى كلّ حال نضطر في تدوين تاريخ الدولة العباسية الى معرفة تواريخ عديدة ، ونعلم اتجاهات كثيرين ، وتفسيرات للحوادث ، وتعليل أسبابها ، او مجرى الوقائع وما ولدت . ومثل هذه تعين مادة التاريخ واتجاهاته المختلفة ، ولعلّ هذا المؤرخ على اختصار في أثره قد قام بالمهمة وأدى واجباً مفروضاً ، ولنا الخيار في القبول والترك ، او التمحيص والتحقيق ...

والملحوظ أننا لا نستشعر منه ما يدعو للتنديد بالسلجوقيين . وقد عاملوا والده بأقسى المعاملة ، ورأى منهم ما رأى ، فلم يظهر حنقاً أو غيظاً كأنه بعيد عنه ، أو انه لا يمتّ اليه بصلة بل لا تفهم له شخصية تعين وضعه ، او تبين غرضه ... ولم نجد مؤرخاً بهذه الحالة الا قليلاً ، ولم نجد من يمتلك نفسه الى هذا الحدّ .

٤ — العمراني وابن ابي عذيبة :

هنا تجلى لنا أن نسخة ابن أبي عذيبة التي لم يتعين له مؤلفها هي التي بين أيدينا ، ونسخة السخاوي المعروف فيها اسم المؤلف واسم الكتاب هي التي في ليدن الا أننا لا يصح لنا ان نغفل أمراً جديراً بالالتفات ، وهو ان ابن أبي عذيبة اخذ مباحثه في الخلفاء وأحوالهم في الغالب من (تاريخ العمراني) ولكنه لم يصرح باسمه .

فيتبادر للذهن أن عمل ابن ابي عذيبة كان غير مقبول وغير مرضي . وعن هذا أقول : إن تاريخ العمراني لم يستطع ابن أبي عذيبة ان يعرف اسم مؤلفه . ولعله وقعت له النسخة التي عثرنا عليها بعينها ، فلم يتمكن من تسمية الكتاب

ولا ذكر اسم مؤلفه وان مباحثه مدونة في مختلف التواريخ الا انها جاءت فيه مجموعة ، ولم يشأ ان ينسب القول الى مجهول حذراً من اللائمة ، والطعن فيه من أناس لا شأن لهم الا التنديد والوقيعة بالناس ، ولم يكن لهم من الحكمة ليزنوا القول بميزان الحق والعدل ، والا فانه صرح بمؤلفات عديدة اتخذها مراجع له ونقل منها ، فلا يهمه ان يغفل أمر هذا الأثر ، ولكنه للأمر المذكور لم يذكر المؤرخ ، فكان هذا عذراً فالرجل ثقة فيما نقل ووثقه المؤرخ ظهير الدين ، وان نقل ابن ابي عذيبة منه لا يتوجه عليه طعن من أجله ، ولا من اجل أنه لم يصرح باسمه … لأنه لم يقف عليه وقد سبق منه أن نقل من مؤلفين عديدين ، وان مراجع كتابه لا تحصى عداً ، فلم يكن من شأنه ان يغمط حق أحد ولا أدلّ على ذلك أكثر من مراجعه التي اعتمدها .

وعلى كل حال تمكنا من معرفة مؤرخ جليل للدولة العباسية في عصورها الأخيرة ، فكان أثره تحفة عزيزة . ولعله سيكون في متناول القراء الأفاضل في القريب العاجل فقد عزمنا على طبعه . فأكتفي بهذا . والله وليّ الأمر .

(بغداد) **عباس العزاوي**

ابو فراس الحمداني

توطئة

ان الأمير ابا فراس الحمداني علاوةً على منزلته السامية في الشجاعة وكرم الأرومة يعد احد اعلام الشعر العربي كما شهد له المتقدمون والمتأخرون الذين اطلعوا على اقواله وعرفوا شيئًا من سيرة حياته . وقد حصَّل هذه المكانة مع قصر عمره الذي لم يبلغ الأربعين فكيف به لو بلغ السبعين او نحوها بحيث يكون أتم نضجًا ويترك للخلف اضعاف ما تركه من نفائس القول الدال على ما وراءه من كبر النفس وشرف المبدإ وحدة الذهن ورصانة الطبع . وقد قال فيه الصاحب بن عباد : « بدئ الشعر بملك وختم بملك » وكل من كان من بيت مُلْك تسميه العرب ملكًا على سبيل التوسع . والملكان اللذان عناهما الصاحب بن عباد هما امرؤ القيس الكندي في الجاهلية وابو فراس الحمداني في الاسلام .

عصر ابي فراس وبيئته ودولة أسرته

قضى ابو فراس الحمداني معظم حياته في حلب عاصمة مُلك أسرته آل حمدان . ولكنه ولد في منبج احدى المدن التابعة لها (كذا) وفيها قضى سنوات طفولته وحداثته . وعصره هو القرن الرابع للهجرة وقد توفاه الله سنة سبع وخمسين وثلاثمئة للهجرة اي بعد وفاة ابي الطيب المتنبي بثلاث سنوات . وهذا العصر هو من العصور الذهبية في الأدب العربي واستبحار المدنية والعمران عند العرب مع بقاء بقية كبيرة لهم من الحوْل والطوْل والهيبة والرهبة في النفوس . وان كانوا قد فقدوا من ذلك جانبًا غير يسير في جنب ما تمتع به اسلافهم في العهد الأموي وفي اثناء المئة الأولى من العهد العباسي .

ولكن العصبية العربية في خلافة بني العباس كانت اضعف واقل مما كانت عليه في دولة بني أمية لعوامل سياسية واحوال استثنائيه ·

وأما دولة بني حمدان في حلب والموصل - واصل حمدان من قبيلة تغلب العدنانية — فكانت دولة عربية محضة لا غبار عليها ولا يستطيع ان يزاحم العربيّ فيها فارسي ولا تركي ولا كردي ولا غير هؤلاء ·

كان سيف الدولة الحمداني عظيم الاهتمام برفع شأن العرب واكرام اهل الفضل والأدب منهم · وهو هو ممدوح احمد ابي الطيب المتنبي الذي نال من انعاماته الملكية قناطير مقنطرة · وكان لسيف الدولة حضرة يشهدها الشعراء والعلماء فيجزل لهم العطايا والهدايا حتى ضارع مجلسه من هذا القبيل مجلس الخليفة هرون الرشيد ومجلس ولده الخليفة عبد الله المأمون · وهذا الملك الحمداني كان هو نفسه بصيراً بدقائق الكلام ووجوه الفصاحة والبلاغة ·

وكان ابو فراس ابن عم الملك خاً وأحد قادة جيوشه في معاركه العديدة ·

نشأته وسيرة حياته وأخلاقه

ظهر لنا مما تقدم ان الأمير ابا فراس نشأ نشأة امارة وعظمة فتدرب على الفروسية والغزوات كما تدرب على الفصاحة وقول الشعر · وكانت امه رومية الأصل سبية عند العرب تزوجها ابوه · وكان ابو فراس شديد الحنو على هذه الأم والعناية بها · بل كانت اخلاقه كلها على ما تعوده من قسوة الغزوات والمعارك ميالةً الى الدماثة والسهولة مع حنو على اهل بيته وحنين إليهم لا سيما عند مفارقتهم كما سيظهر لنا حين نروي جانباً من شعره في الشكوى والعتاب والاستغاثة ومخاطبة اقاربه · وقد أسره الروم مرتين اما في المرة الأولى فلم يتجاوزوا به بلدة خرشنة في الأناضول · واما في المرة الثانية فوصلوا به الى القسطنطينية وبقي في الأسر اربع سنوات وقد فداه ابن عمه الملك بمبلغ كبير من المال في كلتا المرتين فاطلق آسروه سبيله · وله في الأسر قصائد ممتازة

حسناً وجودةً لأن ملكة الشعر تتجلى بأبهى واجمل مظاهرها عند وقوع الشاعر في حالة نفسانية تثير شعائره من رغبة او رهبة او غضب او شوق او نحو ذلك ٠

ان هذا الرجل لم يخلُ من مكايد حسّاد له وخصوم يغتابونه ويقعون فيه وهم يظهرون مودة له وغيرة عليه في وجهه ٠ ولا يزال هكذا شأن عظماء الناس مع القليلي الانصاف الصغار النفوس من عشرائهم ٠ وقد سمى الرومَ اخواله في بعض شكاويه لأن أمه منهم كما سبقت الاشارة ٠ فقال :

اقمتُ بأرض الروم عامين لاأرى   من الناس مغموماً ولا متوجعا
اذا خفتُ من اخوالي الروم خطةً   تخوفتُ من اعمامي العُرْبِ ارْبعا
وان اوجعتني من اعاديَّ شيمةٌ   رأيت من الأحباب ادهى واوجعا

ومن أرق ما يروى من عتابه لسيف الدولة حين قصر في مساعدته والاسراع الى افتدائه قوله :

قد كنت عدتي التي أسطو بها   ويدي اذا اشتد الزمانُ وساعدي
فرميتُ منك بغير ما أمّلتـه   والمرءُ يشرق بالزلال الباردِ

وهو مع دماثة أخلاقه هذه عزيز النفس أبيّها الى حد بعيد حتى ان سيف الدولة عرض ذات يوم جياداً كريمة على خواص رجاله وسألهم أن يختار كل منهم جواداً لنفسه ففعلوا شاكرين فرحين ما عدا أبا فراس فقد ضرب صفحاً عن هذه الغنيمة واعتذر عن ذلك شعراً قائلاً انه يستغني بما عنده من خيل قليلة العدد عظيمة الفائدة عن كل خيل سواها ٠

والظاهر ان هذا الشاعر لم ينسَ قط ان له شيئاً من حق السيادة واقتسام الملك مع ابن عمه سيف الدولة لأنه تركة اجدادهما معاً ٠ ومن ثم رأيناه بعد وفاة سيف الدولة ينتقل الى حمص ، ويحاول ان يستقل بامارتها مع ما حواليها فوقعت المعارك بينه وبين ابي المعالي بن سيف الدولة الذي ورث العرش عن أبيه ٠ فجرح ابو الفراس في احدى تلك المعارك وتوفي على اثر جراحه ٠ وآخر ما أنشده من الشعر وهو على فراش الموت قوله :

اذا لم يعنك الله في ما تريده فليس لمخلوق اليـه سبيلُ
وان هو لم ينصرك لم تلف ناصراً وان عزّ انصارٌ وجلّ قبيلُ
وان هو لم يرشدك في كل مسالكٍ ضللتَ ولو أن السماك دليلُ

شعره وأغراضه فيه ونماذج منه

ذكر ابو منصور الثعالبي في كتابه « يتيمة الدهر » الأمير ابا فراس فقال فيه :

« هو ابو فراس بن ابي العلاء سعيد بن حمدان بن عم ناصر الدولة وسيف الدولة ابنيْ حمدان . كان فريد دهره وشمس عصره أدباً وفضلاً وكرماً ومجداً وبراعةً وبلاغةً وفروسيةً ، شعره مشهور سائر بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة ومعه رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك . ولم تجتمع هؤلاء قبله الا في شعر عبد الله بن المعتز . وابو فراس يعد أشعر منه عند اهل الصنعة ونقدة الكلام . وكان ابو الطيب المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ويتحامى جانبه فلا ينبري لمباراته ولا يجترئ على مجاراته . وانما لم يمدحه ومدح من دونه من آل حمدان تهيباً وإجلالاً لا اخلالاً وإغفالاً . وكان سيف الدولة يعجب بمحاسنه ويميزه بالاكرام والاحترام » .

قال ابن خلكان : وكانت وفاته سنة سبع وخمسين وثلاثمئة وسنه سبع وثلاثون سنة . وقد شاب وهو في عقد العشرين من عمره فأشار الى ذلك بقوله :

وما أربت على العشرين سني فما عذر المشيب الى شبابي

ولا بد لي ان اضيف الى ما قيل فيه قولي : ان ابا فراس تناول معظم الموضوعات والأبواب التي يحتملها الشعر وظهرت له مزايا الجزالة والسهولة وحلاوة الديباجة ودقة التفكير وحسن التقسيم والتبويب . وله فوق ذلك مزية اخرى جليلة الشأن هي طول نفسه وسعة اطلاعه على كثير من وقائع التاريخ العربي يدل على ذلك ثلاث منظومات له طويلة حسنة السياق من أولها الى آخرها

فهي تصلح ان تعد من الملاحم في صناعة الشعر . المنظومة الأولى قصيدته المطبوعة في أول ديوانه ومطلعها :

لعلّ خيال العامرية زائر فيسعَدَ مهجور ويُسعِد هاجر

والمنظومة الثانية مطلعها :

ابت عبراتهُ الا انسكابا ونارُ ضلوعه الا التهابا

وفي هذه القصيدة يذكر وقائع سيف الدولة بعشائر العرب التي شقت عليه عصا الطاعة ويعدد اطوار تلك المعارك وانتقال الجيش الظافر من غزوة الى غزوة ومن مكان الى مكان ومصير كل عشيرة بعد تأديبها بالسيف . وكل ذلك باداء مترابط الأجزاء مع صور جذّابة وتشابيه خلاّبة . فجاءت ملحمته هذه من نفائس الشعر القصصي الاسلامي .

وابو فراس في ملحمته الآنفة الذكر كان شاهد عيان في ما قصه ورواه بل كان احد قواد الجيش المعوّل عليهم . وقد اشار الى ذلك في ختام قصيدته حيث قال :

ألم تعلم ومثلك قال حقّاً باني كنت أثقبها شهابا

وهذه القصيدة مؤلفة من خمسة وخمسين بيتاً . وأما ملحمته الأولى الرائية التي اشرنا اليها فقد ختمها بقوله :

نطقت بفضلي وامتدحت عشيرتي فما انا مدّاح ولا انا شاعر

وهو بيت ينم على عزة الشاعر الملكية اذ خبرنا بأن كل ما جاء في قصيدته تلك من التنويه برجال عظماء وبجوادثهم انما مرجعه الى عشيرته لأن الممدوحين هم اجداده واعمامه وذوو قرابته . بحيث يثبت لنفسه شرف النسب والسلالة الطيبة فما هو مدّاح للقرباء ولا هو شاعر ينظم على منهاج معظم الشعراء في تلك العصور استجداء لهذا وتزلفاً الى ذاك ورهبةً من ذلك .

واما ملحمته الثالثة المؤلفة من خمسين بيتاً فقد نظمها في موضوع جدلي

دبني ردًّا على قصيدة الشاعر محمد بن سكّرة الهاشمي التي يفتخر بها على الطالبيين . وابو فراس من المتحيزين لهم التابعين شيعتهم . ومطلع هذه القصيدة :

الدين مخترمٌ والحق مهتضَمُ وفيْءُ آلِ رسولِ الله مقتسَمُ

وقال في ختام القصيدة :

وليس من قسَمٍ في الذكر نعرفه الاّ وهم غير شك ذلك القسَمُ

وصلت الآن الى ايراد نماذج متوالية من شعر ابي فراس وقبل مباشرة ذلك أذكر للقراء الكرام أني اطلت النظر في شعره وبعد التأمل والاستقصاء جهدي رأيته موزعًا على الأغراض الآتية :

أولاً : الغزل والنسيب والتشبيب – ثانيًا : الفخر والحماسة – ثالثًا : العتاب – رابعًا : الشكوى من قلة الوفاء – خامسًا : الاستغاثة في اثناء اسره بابن عمه سيف الدولة – سادسًا : تردد قلبه وهمته بين الصبابة والديانه – سابعًا : التوكل على الله – ثامنًا : حنوه على اهل بيته وحنينه اليهم – تاسعًا : ايراده حوادث تاريخية – عاشرًا : لهوه وشطحات صباه – حادي عشر : في حكمه وجوامع كلمه .

وهذه الأغراض الأحد عشر مصحوبة بنماذج القول فيها توضح للقراء النواحي الجوهرية من حياة هذا الرجل الكريم وعقليته وأخلاقه ومبادئه وميوله . ولم اذكر في اغراض شعره المدح لأنه لم يكن مدّاحًا الا في مواقف يسيرة حين يذكر ابن عمه الملك وبعض اخوانه . كما لم اذكر الهجو اذ كان يترفع عنه الا ما جاء في سياق مناظرة او حديث كما جرى له مع الدُّمستُق القائد الرومي ذات يوم اذ قال لأبي فراس في أثناء مناظرة وابو فراس يومئذ اسير عندهم : «ما لكم وللحرب انما انتم كتّاب» فاستفزه هذا القول وساءه ونظم في ذلك قصيدة واوائلها الأبيات التالية :

أتزعم يا ضخم اللغاديد انّنا ونحن اسود الحرب لانعرف الحربا

فويلك من للحرب ان لم نكن لها ومن ذا الذي يضحي ويمسي لها تِرْبا

ومن ذا يكف الجيش من جنباته ومن ذا يقود العين او يصدم القلبا
وويلك من أردى اخاك بمرعش وحلك ضرباً وجه والدك العضبا
وويلك من خلى ابن اختك موثقاً وخلاك باللقان تبتدر الشعبا
اتوعدنا بالحرب حتى كأننا واياك لم يعصب بها قلبنا عصبا
لقد جمعتنا الحرب من قبل هذه فكنا بها أسداً وكنت بها كلبا

ومن شعره في التشبيب والنسيب الأبيات التالية من قصيدته الطويلة المصدّر بها ديوانه :

وفي كلّتي ذاك الخباء خريدة لها من طعان الدارعين ستائرُ
تقول اذا ما جئتها متدرعاً ازائر شوق انت ام انت ثائر
تثنت فغصن ناعم ام شمائل وولت فليلٌ فاحم ام غدائر
وما ظالمتْ عن رائق الحسن انما نمن على ما تحتهن المعاجرُ

ومن تشبيباته المشهورة قصيدته العامرة التي يتغنى بها المغنون حتى في أيامنا الحاضرة . ومنها قوله :

أراك عصيّ الدمع شيمتك الصبرُ أما للهوى نهي عليك ولا امرُ

وقال في قصيدة أخرى على هذا الوزن وهذه القافية :

عذيري من اللاتي يلمن على الهوى اما في الهوى لو ذقن طعمَ الهوى عذرُ

ومن غزلياته الممتازة حسناً قوله :

اساء فزادته الاساءة حظوةً حبيب على ما كان منه حبيبُ
يعدُّ عليّ الواشيان ذنوبه ومن أين للوجه الجميل ذنوبُ
فيا أيها الجاني ونسأل عفوه ويا أيها الخاطي ونحن نتوبُ
لحى الله من يرعاك في القرب وحده ومن لا يصون الغيب حين يغيبُ

واما باب الفخر والحماسة وهو اليق ابواب الشعر به فمن نفثاته فيه قوله من قصيدته التي مطلعها « اراك عصيّ الدمع » وقد مرت منها أبيات :

ونحن اناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين او القبرُ
تهون علينا في المعالي نفوسنا ومن يخطب الحسناء لم يغلهِ المهر

وقوله في ملحمته المصدَّر بها ديوانه :

نفى الهمَّ عني همة علويةٌ وقلب على ماشئت منه مؤازرُ
واسمر مما ينبت الخطُّ ذابلٌ وابيض مما يطبع الهند باترُ
ونفس لها في كل ارض لبانة وفي كل حي اسرة ومعاشر
اذا لم اجد في كل فج عشيرةً فكل كرام للكرام عشائر
تبوأت من قرمي معد كليهما مكاناً اراني كيف تبنى المفاخر
لنا اول في المكرمات وآخر وباطن مجد تغلبيٍّ وظاهرُ
لجدي الذي لمَّ العشيرة جوده وقد طار فيها للتفرق طائرُ
وعمي الذي اردى الكماة مجاهراً وما الفارس القتّال الا المجاهرُ
تناصرت الاحياء من كل وجهةٍ وليس له الا من الله ناصرُ

وقوله :

تفضلنا الأنام ولا نحاشي ونوصَفُ بالجميل ولا نحابي
وقد علمت ربيعة بل نزارٌ بأنا الرأس والناس الذنابى
ولما ان طغت سفهاء كعبٍ فتحنا بيننا للحرب بابا
منحناها الحرائب غير أنّا اذا جارت منحناها الحرابا
ولما ثار سيف الدين ثرنا كما هيجتَ آساداً غضابا
وكنا كالسهام اذا أصابت مراميها فراميها اصابا

ومن افتخار ابي فراس بعزة نفسه وقوة ادراكه ونجدته ونبل سيرته قوله :

اذا لم اجد في بلدة ما اريده فعندي لاخرى عزمة وركابُ
فليس فراق ما استطعت فان يكن فراق على مال فليس ايابُ
صبور ولو لم تبق مني بقيةٌ قؤول ولو ان السيوط جوابُ

وقور وانياب الزمان تنوشني ... وللموت حولي جيئة وذهابُ
وألحظ احوال الزمان بمقلة ... بها الصدق صدق والكذاب كذاب
ورُبَّ كلامٍ مرَّ فوق مسامعي ... كما طن في لوح الهجير ذباب
الى الله اشكو اننا بمنازلٍ ... تحكم في آسادهن كلابُ
تمر الليالي ليس للنفع موطن ... لديَّ ولا للمعتفين جنابُ
ستذكر ايامي نمير بن عامر ... وكعب على علاتها وكلابُ
انا الجار لا زادي بطيءٌ عليهم ... ولا دون بابي في الحوادث بابُ
ولا اطلب العوراء منهم اصيبها ... ولا عورتي للطالبين تصابُ

وفي هذه القصيدة ما يدل انها من روميات الشاعر اي من الشعر الذي قاله وهو أسير في بلاد الروم ٠

ومن عتابه البارع لسيف الدولة قوله :

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضابُ
وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خرابُ
اذا صح منك الود يا غاية المنى ... فكل الذي فوق التراب ترابُ

وقال في الشكوى من قلة الوفاء :

ولكنَّ دهراً دافعتني صروفه ... كما دافع الدَّين الغريمُ المماطلُ
ولو نيلت الدنيا بفضلٍ منحتها ... فضائل تحويها وتبقى فضائل
ولكنها الأيام تجري كما جرت ... فيسفل اعلاها وتعلو الأسافل
لقد قل ان تلقى من الناس مجملاً ... واخشى قريباً ان يقل المجامل

وقال في تردد قلبه بين الصبابة والصيانة وهي أيضاً من ملحمته الكبرى المصدَّر بها ديوانه -

فيا نفس مالاقيت من لاعج الهوى ... ويا قلب ما جرَّت عليك النواظرُ
ويا عفتي مالي ومالك كلما ... هممتُ بأمرٍ همَّ لي منك زاجرُ

كأن الحجى والصون والفضل والتقى لديّ وربّات الحجال ضرائرُ

وقال في التوكل على الله عز وجل :

وهل يدفع الانسان ما هو واقع وهل يعلم الانسان ما هو كاسبُ
وهل لقضاء الله في الناس غالب وهل من قضاء الله في الناس هارب
اذا الله لم يحرزك مما تخافه فلا الدرع منّاع ولا السيف قاضبُ
ولا سابق مما تجنبت سابق ولا صاحب ممن تخيّرت صاحبُ

وصلنا الى شعر ابي فراس الذي يشف عن حنوه على اهله وحنينه اليهم ووفائه لهم وهي صفات يتطلبها شرف الخُلق وكرم الفطرة من كل انسان نحو أهله ما لم يحرجوه بقلة انصافهم وتعمد الاساءة اليه .

قال ابو فراس من قصيدة طويلة كتبها الى اخيه ابي الهيجاء حرب بن سعيد الحمداني يتشوق اليه ويذكر ما لحق اخاه من الجزع عندما أسر هو :

بنفسي وان لم أرضَ نفسي راكبٌ يسائل عني كلما لاحَ راكبُ
قريح مجاري الدمع مستكبر الكرى يقلقله هم من الشوق ناصبُ
اخٌ لا يذقني اللهُ فقدانَ مثلهِ وأين له مثل وأين المقاربُ
تجاوزت القربى المودةُ بيننا فأصبح ادنى ما نعدُّ المناسبُ
ألا ليتني حُملت همي وهمه وأن اخي ناءٍ عن الهم عازبُ
فمن لم يجُد بالنفسَ دون حبيبهِ فما هو الا ماذق الحب كاذبُ
واني لجذاع ولكن همتي تدافع عني حسرةً وتغالبُ
تكاثر لوّامي على ما اصابني كأنْ لم تنبْ الا بأسري النوائبُ

وقال في أواخر قصيدة أخرى على أثر فراقه لزوجه وكان قد شيعها عند سفرها الى الحج في يوم ثلج :

ويوم كأن الأرض شابت لهوله قطعت بخيل حشو فرسانها صبر
نسير على مثل الملاء منشراً وآثارنا طُرزٌ لأطرافها حُمرُ

اشيعه والدمع من شدة الأسى على خده نظم وفي نحره نثرُ
رجعت وقلبي في سجاف عبيطه ولي لفتات نحو هودجه كثر
وفي من حوى ذاك الحجيج خريدة لها دون عطف الستر من صونها ستر
وفي الكم كف لا يراها عديلها وفي الخدر وجه ليس يعرفه الخدر

ثم استفزه الشوق فحلّق في شعره وقال :

فهل عرفاتٌ عارفات بزَوْرها وهل شعرت تلك المشاعر والحُجْرُ
أما اخضرَّ من ريحان مكة ماذوى اما أعشبَ الوادي اما نبت الصخرُ
سقى الله قوماً حلَّ رحلكِ بينهم سحائب لا قُلٌّ جداها ولا نزرُ

وكان في أثناء اسره تضيمه حالة امه بعده اكثر مما تضيمه حاله فقال في ذلك :

لولا العجوز بمنبجٍ ما خفتُ اسبابَ المنيَّهْ
ولكانَ لي مما سألـ ـتُ من الفدى نفس أبيَّهْ
لكن اردت مرادَها ولو انجذبتُ الى الدنيَّهْ
وأرى محاماتي عليـ ـها أن تضامَ من الحميَّهْ
يا أمنا لا تيأسي لله ألطافٌ خفيَّهْ
كم حادثٍ عنا جلاَ هُ وكم كفانا من بليَّهْ
اوصيك بالصبر الجميـ ـلِ فانه خير الوصيَّه

واما اشارات شاعرنا الأمير الى حوادث تاريخية في شعره فمنها قوله :

فان متُّ بعد اليوم عابك مهلكي معابَ الزرابيين مهلكُ معبدِ
همُ عضلوا عنه الفداء واصبحوا يهزون اطراف القريض المقصدِ
ولم يك بدعاً هلكه غيرَ انهم يعابون اذ سيمَ الفداء وما فُدِي

وأما شطحاته في لهوه ومجونه فمنها قوله :

تواعدنا بآذارِ لمسعى غير مختار
وقمنا نسحب الريط الى حانة خمَّار

فلم ندر وقد فاحت لنا من جانب الدار
بخمار من القوم نزلنا أم بعطّار
وقلنا أوقد النارَ لصرّافٍ وزوّار
وما في طلب اللهو على الفتيان من عار

وقد حان لنا الآن ان نختم كلامنا بأمثلة من حكم شاعرنا الأمير وجوامع كلمه . قال في هذا الباب :

دع الوطن المألوف رابك اهله وعدّ عن الأهل الذين تكاشروا
فأهلك من اصفى وحيك من صفا وان نزحت دار وشطت عشائر
لعمرك ما الأبصار تنفع أهلها اذا لم يكن للمبصرين بصائر
فهل ينفع الخطيُّ غيرَ مثقفٍ وتظهر الا بالصقال الجواهرُ

وقال :

اين الخليل الذي يرضيك باطنه من الخليل الذي يرضيك ظاهره
وما اخوك الذي يدنو به نسبٌ لكن اخوك الذي تصفو ضمائره

وقال :

اذا المرء لم يهجرك الا ملالةً فليس له الا الفراقَ عتابُ
لقد صار هذا الناسُ الاّ اقلّهم ذئاباً على أجسادهنّ ثيابُ

وقال :

ان الغنيّ هو الغنيُّ بنفسهِ ولو انه عاري المناكب حافِ
ما كل ما فوق البسيطة كافياً فاذا قنعت فكل شيءٍ كافِ

وقال :

في الناس ان فتشتهم من لا يسوؤك ان تذلّه
اترك مجاملة اللئيم فان فيها العجزَ كلّه

وقال :

هل ترى النعمة دامت لصغير او كبيرِ
او ترى امرين جاءا أولاً مثل أخيرِ
انما تجري التصاريفُ بتقليبِ الدهورِ
ففقيرٌ من غنيٍ وغنيٌ من فقيرِ

فرغت مما أردت ايراده عن الشاعر المقدم الأمير ابي فراس الحمداني ولعل ما أوردته يحسب صورة معنوية كافيةً له او قريبة من حد الكفاية · والذي نستنتجه من آراء أئمة الأدب العربي انهم يجعلون منزلته مثل منزلة ابي تمام والبحتري والمتنبي أشهر شعراء العهد العباسي رحمهم الله جميعاً ومكننا من الانتفاع بشيء من آثارهم ومآثرهم المتوهج نورها الساطع عبيرها ·

(اللاذقية) ادوار مرقص

المعجمات الحديثة

ان المؤلفين القدماء من أئمة اللغة العربية لقمناء ان يذكر بلسان الصدق والاطراء وينقش بمداد الشكر والامهاء [1] ويسجل بآيات التقدير والاعجاب ما لهم من الأيادي الجزيلة على اللغة والفضل العميم علينا لما قاموا به من الأعمال الجليلة بجمعهم الحان العرب [2] وأساليبهم في الكلام وآدابهم وأشعارهم وأمثالهم مدونين كل ذلك في كتب ورسائل لا تحصى ، لولا بقاء بعضها الى يومنا هذا لماتت اللغة مع أصحابها تلك اللغة التي فاقت جميع الألسن في قوة بيانها وغزارة مادتها وعظمة ثروتها وبهاء حلتها ولدُفنت كما دفن غيرها من اللغات التي لم يُتح لها من يدونها ويصونها ولكانت بعد اندثارها أثراً بعد عين .

غير ان قصر الوقت أهاب بأولئك الفضلاء الى التزام العجلة في التأليف والتدوين ليتمكنوا من اتمام عظيم اعمالهم وبلوغ أقصى اهدافهم ولولا لجوؤهم الى السرعة في العمل لما استطاعوا انجاز ما أنجزوا ولما وصل الينا عنهم ما وصل ولذا جاءت معجماتهم عارية من الترتيب الذي يحتاج اليه المراجع في سرعة وجود ضالته فلأجل العثور على معنى لفظة واحدة ربما اضطر الى تصفح عدة صفحات وكثيراً ما لا يفوز ببغيته بعد ان يتعبه الجهد ويساوره الملل فيعود بخفي حنين ويغلق الكتاب آسفاً على ما أضاعه من الوقت .

ولكن ليس من العدل ان ننحي باللائمة على أولئك الأفاضل لأن تأليف اللغة لا يكون كاملاً ومنتهياً الى التنسيق المطلوب الا باجتياز مرحلتين الأولى الجمع والتدوين والثانية الصف والتنظيم ولربما كان عمر المؤلف غير كاف لاجتياز المرحلتين كلتيهما ما لم يتصف كتابه بالايجاز المخل فانظر الى لسان العرب

(١) الامهاء المبالغة في الثناء والاستقصاء (٢) اي لغاتهم جمع لحن بالسكون او الفتح

لابن منظور رحمه الله فقد جاء كتابه في عشرين مجلداً ضخماً تجمع قرابة عشرة آلاف صفحة من القطع الكبير والحرف الصغير يحتاج نسخها وحده الى عدة سنوات فما بالك في جمعه وتصنيفه وما يقال في لسان العرب يقال في تاج العروس وغيره من المعجمات المطولة فما أتى به المتقدمون الفضلاء من الأعمال الجليلة هو أعظم خدمة يستطيعون تأديتها في هذا السبيل فغمرهم الله بغوادق رحمته ورضوانه ٠

وقد كان على المتأخرين ان يقوموا بانجاز المرحلة الثانية إتماماً لما شرع فيه المتقدمون فقد أشار الى ذلك احمد فارس الشدياق في كتابه الجاسوس على القاموس وتصور خطة لترتيب المعجمات على نمط يسهل على المراجع سرعة الوصول الى بغيته وود لو ان يتاح للغة من يحقق فكرته من بعده فكان اول من لبى نداءه صاحب محيط المحيط غير أن هذا المؤلف ان كان أحسن بتحقيق ما ارتآه صاحب الجاسوس فانه قد أساء بما أتى به من التصرف في عبارات أئمة اللغة تغييراً وتحويلاً ، ومسخاً وتحريفاً[1] ، وتزييداً وتنقيصاً غير مراع أمانة النقل التي هي المستند الوحيد في تأليف اللغة ٠ ثم اقتفى أثره سعيد الشرتوني باخراج كتاب أقرب الموارد فجاء « نسخة طبق الأصل » من محيط المحيط في جميع أغلاطه ومساوئه ٠ ثم تبعه صاحب المعجم المسمى « بالبستان » محاولاً تخليص كتابه من أخطاء الأقرب وشوائبه الا ان كثرتها طغت على تلك المحاولة فلم يكن خلو البستان أيضاً من بعض هشيم تلك الأغلاط ودُرانتها[2] وهكذا ما زالت سلسلة المعجمات الحديثة تتوارث معايب حلقتها الأولى « محيط المحيط » وتتناقلها حتى انتهت تلك المعايب او بعضها الى الحلقات الأخيرة وهي المعجمات الصغيرة المدرسية ٠

ولما كنت آخذاً منذ بضع سنوات في تصنيف لغة العرب وتبويبها تمهيداً لما أود اخراجه من معجم في العلوم المضرية الحديثة من طبية وطبيعية وغيرها فقد

(١) يقال مسخ الكاتب اذا صحف او حرف فأحال المعنى في كتابته

(٢) الدُرانة بالضم كل حطام من شجر او حمض او بقل اذا قدم وفسد

مررت فيما مررت كتاب أقرب الموارد لكثرة تداوله بين الناس فاطلعت على حقيقته وعرفت غثه من سمينه وميزت بين صحيحه وسقيمه فألفيته مشحوناً بالغلط مفعماً بالتحريف حاوياً عبارات مخترعة لم يذكرها احد من ائمة اللغة مقحماً فيه الفاظ لا تمتُّ الى العربية بصلة حتى ان هذه المساوئ قد طغت كثيراً على ما للكتاب من محاسن ومنافع لا تنكر تعود الى جودة تبويبه وحسن تنسيقه وترتيبه . ونقسم اخطاء اقرب الموارد الى ثمانية صنوف :

(الأول) : مطبعي في الظاهر نحو ماجاء من ان المَكْر بالفتح هو الصغير بالغين المعجمة والصواب الصفير وآجَدَهُ بفتح الألف أي قوّاه والصواب آجده بالمد وتأبّد الرجل طالت عزبته « بعين مهملة بعدها زاي » والصواب غربته « بغين معجمة يليها راء » .

(والثاني) : ما هو خطأ في الاعجام وضبط القلم وهو كثير كقوله أُغدِف الخاتن اي استأصل العزلة فضبطُها بضم الألف وكسر الدال على صيغة المجهول خطأ والصواب آغْدَفَ بفتح الألف والدال على صيغة المعلوم .

(والثالث) : ما كان عن تسرع او غفلة في النقل فقد جاء في تفسير الخِلْب « بكسر فسكون » انه (حجاب الكبد وقيل غلاف البطن و — الحبل منه) اه . فظاهر العبارة ان ضمير منه راجع الى غلاف البطن لأنه اقرب مذكور وعلى تقدير ان المراد ارجاعه الى حجاب الكبد او الظفر المذكور قبل حجاب الكبد بين معاني الخِلْب فانه ليس لحجاب الكبد ولا للظفر ولا لغلاف البطن حبل والذي في القاموس الخُلْب بالضم وبضمتين الليف والحبل منه اه . اي من الليف فأدخل المؤلف عبارة « والحبل منه » ضمن معاني الخِلْب « بالكسر » التي لا يصح ارجاع الضمير الى اي منها مع ان محلّها ضمن معاني الخُلْب بالضم بعد كلمة الليف كما جاء في القاموس .

(والرابع) : شروح مخترعة مخطئة لم يذكرها أئمة اللغة فمن ذلك عبارة غريبة أتى بها في تفسير الخريطة وذلك انه بعد ان نقل عن القاموس قوله « الخريطة وعاء من أدَم[1] وغيره يشرج على ما فيه الخ » زاد « ومنه الخريطة لما ترسم عليه هيئة الأرض او هيئة اقليم منها » فهذه الزيادة من عندياته لم ترد في أي معجم من الأصول ولا دليل عليها لأن كلمة « خريطة » التي نستعملها للصور الجغرافية ليست مستعارة من الخريطة للوعاء من ادم كما توهم وانما هي مأخوذة من قَرْط الافرنجية (Carte) حتى ان بعض الناس لا يزال يلفظها خارطة بالألف كما كانت في بدء تعريبها واصل كلمة قَرْط لاتيني من قَرْطا وهو ورق الكتابة وهنا نتساءل هل كلمة قرطا اللاتينية عربية الأصل مأخوذة من خَرَطَ الورق اذا قشره عن الشجر اجتذاباً بكفه او خَرَطَ الشجرة انتزع الورق واللحاء عنها اجتذاباً ، باعتبار ان ورق الكتابة كان يُتخذ من ورق الشجر ، فيكون الورق او اللحاء مخروطاً ثم قيل له خَرْطة تسمية بالمصدر بمعنى مقدار ما يخرط كما تقول قبضة لمقدار ما يقبض عليه ؟ فعن هذا السؤال نجيب انه من الصعب البرهنة عليه والأرجح ان تكون قَرْطا لاتينية الأصل لا علاقة لها بخَرَطَ العربية ولو تشابه اللفظان بل ربما كانت كلمة قرطاس المستعملة في العربية معربة قَرْطا اللاتينية والقرطاس في الأصل الكاغد يُتخذ من نبات يقال له البردي يكون بمصر تعمل منه الحصر ويستأنس لكون كلمة قرطاس معربة باجتماع امور ثلاثة فيها الأول الحيرة والاضطراب الباديان في لفظها فانها مثلثة القاف أي تلفظ بفتح القاف وضمها وكسرها وان يكن الأشهر الكسر وتلفظ بلا ألف أيضاً على وزن جعفر ودرهم فصار للفظها خمسة أوجه قِرْطاس وقَرْطاس وقُرْطاس وقَرْطَس وقِرْطَس . والأمر الثاني ندرة مجيء اسماء عربية على فَعْلال (بالفتح) في غير التضعيف كصَلْصال حتى قيل انه لم يجيء منها سوى

(١) الأدَم بفتحتين الجلد المدبوغ

خزعال وهو الظلَم اي العرج والثالث قلة اجتماع حروف ثقيلة كحروف قرطاس في كلة عربية واحدة مع انتهائها بسين فلفظة قرطاس شبيهة بكثير من المعرَّبات كالقُسطاس بالضم والكسر وهو الميزان قيل انه رومي معرَّب والقُسطاس بالضم والكسر أيضاً وهو بيت من شعر والقُسطار كذلك بالضم والكسر للميزان أيضاً ولرئيس القرية والقنطار معروف ومعرب عند بعضهم وقصارى القول انه لا وجه لادعاء صاحب الأقرب من ان كلة خريطة التي نستعملها لما رسمت عليه الصورة الجغرافية مستعارة من الخريطة التي هي وعاء من ادم ·

(والخامس) : ذكر الفاظ عامية غير عربية متسربة في هذا الزمان من اللغات الأعجمية وخاصة التركية فمنه قوله الفَرَمان قال انه عهد السلطان للولاة فارسية والجمع فَرَامين اهـ · قلنا ان أصل هذه الكلمة بالفارسية بسكون الراء ومعناها الأمر مطلقاً ثم خصها الترك بأمر السلطان فلم يعلمها العرب حتى ولا المولّدون والغريب ان المؤلف اشتق لها فعل فَرْمَنَ وأدخلها في صفوف المواد العربية ثم اخترع لها جمعاً عربياً على فَرَامين · ومنه الوُجاق والأُوجاق فقد أقحمها بين المواد العربية وفسرها بأنها موضع النار مع انها تركية الأصل تسربت الى لغتنا العامية في هذا العهد · ومنه الغاز (Gaz) قال انه جوهر هوائي قابل الانضغاط وسيال يعرف بزيت الغاز افرنجية معناها روح والجمع غازات اهـ ·

فهذه الكلمة أيضاً مما انتقل الينا من الأعاجم ولم يرد لها ذكر في كتب العربية ثم ان الغاز ليس من جواهر الهواء كما قال بل هو أعم منها وليس هو المعروف بزيت الغاز بل المعروف به هو النفط المعروف بالبترول أيضاً · ومن هذا الصنف الملبَّس قال انه نقل للمولدين وهو لوز ونحوه يلبس سكراً اهـ · ولم يذكر هذه العبارة احد في المعجمات الموثوقة · وكذا مما لم يرد له ذكر في المعجمات الأصول كلة مار قال انها لفظة سريانية معناها سيد وقد تستعمل بمعنى قديس ومؤنثه مُرت الخ · ومنه أيضاً الكلِيرُس والإكليرُس قال هم خدمة

الله في البيعة كالشمامسة والقسوس والأساقفة ويقابلهم العالميون يونانيتها كليرس ومعناها قرعة الى ان قال الواحد إكْلِيرِيكيّ والجمع إكْليرِيكيُّون . ومنه القرش والغرش والمجيدي للنقود التركية المعروفة . ومنه أيضاً الكُوفتة التركية لطعام معروف . ومنه القاووق لضرب من لباس الرأس وهي تركية عربيتها قلنسوة الى غير ذلك من الألفاظ التي لا صلة لها بالعربية والتي وجودها في أقرب الموارد يناقض اسمه « فصح العربية والشوارد » .

فان كان المراد بيان ما دخل في لغتنا العامية في هذا العهد من الألفاظ الأعجمية وجب ان تجمع نظائر هذه الألفاظ كلها وهي تقدر بالمئات في فصل خاص او كتاب خاص لا ان يقحم بعضها بين المواد العربية فيؤدي الى الاضطراب والتشويش وعدم التمييز بين العربي والدخيل وبين العامي والفصيح .

وقد أشار مؤلفو المعجمات الحديثة الى هذه الألفاظ بانها معرَّبة او مولدة مع ان المعرّب هو ما عرَّبه العرب اصحاب اللغة اي اخذوه من الأعاجم وصاغوه في بوتقة اوزانهم وألحقوه بكلامهم لا كل ما تسرّب من الأعجمية الى العامية بكل زمان ومكان والمولد ما كان لفظه عربيّ الأصل ولكن لم تستعمله العرب ولا يخفى ان المراد بالعرب عند اللغويين هم سكان الجزيرة الذين نقل الأئمة اللغة عنهم ومن سبقهم . قال في المزهر « في امالي ثعلب سئل عن التغيير فقال هو كل شيء مولد وهذا ضابط حسن يقتضي ان كل لفظ كان عربيّ الأصل ثم غيّرته العامة بهمز او تركه او تسكين او تحريك او نحو ذلك مولد وهذا يجتمع منه شيء كثير وقد مشى على ذلك الفارابي في ديوان الأدب فانه قال في الشمع والشمعة بالسكون انه مولد وان العربي بالفتح وكذا فعل في كثير من الألفاظ » اه . وقوله او نحو ذلك اي تشديد المخفف وتخفيف المشدد وتغيير حركة بأخرى وتبديل حرف بآخر . وعلى هذا فقول عامتنا آم بدلاً من قام مولد وتوضَّيت بدلاً من توضَّأت مولد وكذا لا تواخذني بدلاً من لا تؤاخذني

والمواساة بدلاً من المآساة واحكى لي بدلا من حكى لي والكراهيةّ بالتشديد بدلاً من التخفيف والدخّان مشدّداً بدلاً من التخفيف والقدّوم بدلاً من القدُوم والخبز بالتحريك بدلاً من التسكين والاسبات بدلاً من الاثبات والكتّان بدلاً من الكتَّان والدَهليز بدلاً من الدِهليز .. الى غير ذلك مما لا يعد ولا يحصى كله مولد بل ان جميع لغتنا العامية تكاد تكون مولدة فلماذا لم تدمج كلها في المعجمات الحديثة ؟ هذا فضلاً عن ان لكل قطر عربي لغة عامية خاصة أفلا يداخل أهليها شيء من الغبطة لعدم ادخال لغاتهم في المعجمات فلماذا لم يذكر ما لا يزال يستعمل في مصر حتى في جرائدهم ومؤلفاتهم ودواوينهم من الألفاظ التركية كالشاويش للعريف والكُبْري للجسر ويجمعونه على كباري والبيكباشي لقائد الألف او قائد الكتيبة والياوَر للمرافق ويجمعونه على ياوَران على القاعدة الفارسية وغير ذلك ؟

واغلاط هذا الصنف كثيرة .

(والسادس) : تصرّف مخلّ في عبارات ائمة اللغة افسد المعنى الصحيح وأخرجه عن أصله مثال ذلك ما جاء في القاموس إمْلاَجَّ الصبيُّ وامْلأَجَ طلع باطلاق الطلوع دون بيان مكانه ولم يتعرض شارح القاموس لايضاحه بل اقتصر على ضبط الفعلين واهملها اصحاب اللسان والمصباح والصحاح والأساس واذ بصاحب الأقرب يخترع قيداً للطلوع بقوله « اي من بطن امه » ولا قائل به ولا دليل عليه والأقرب الى الصواب ان طلع محرف من رضع لأن معظم معاني مَلَج وجميع مشتقاتها تدور حول الرضاع وليس فيها ما يدنو من معنى الطلوع فقوله من بطن أمه زيادة شوهت المعنى الأصلي وقلبته رأساً على عقب مع ان امانة النقل تقضي بان يكون بلا زيادة ولا نقص .

ومن هذا الصنف قوله غُمِي على المريض غَمْياً عرض له ما وقف به حسّه اه . فهذا التعريف ليس في جميع مآخذ الأقرب من الأمهات بل ان ما جاء في

اللسان غُمي على المريض وأُغمي عليه غُشي عليه ثم أفاق وفي التهذيب أُغمي على فلان اذا ظُنّ انه مات ثم يرجع حيّاً ومثله في التاج ومآل عبارة المصباح الاغماء تعطل القوى المحركة والأوردة الحساسة لضعف القلب بسبب وجع شديد الخ فعبارة الأقرب اختراع محض وهي مخالفة لتعريف الاغماء حتى عند الأطباء فهو عندهم تعطل في جميع القوى الحركية والحسية مع توقف القلب والنَفَس (بالفتح) او بكادان فهو موت جزئي فأقرب ما ذكره اللغويون الى هذا التعريف تفسير التهذيب من ان الاغماء ان يُظن الانسان مات ثم يرجع حيّاً وأما تعريف الأقرب فهو باطل من أساسه .

ومن هذا الصنف أيضاً قوله بَظِر الرجل بَظَراً لم يُختَن وهذا التفسير العجيب ليس في جميع المعجمات فقد عزاه الى اللسان مع ان قول اللسان بَظِر الرجلُ جاء في سياق كلامه في الأبظر وهو الذي في شفته العليا طول مع نتوء ونص عبارة اللسان « رجل أبظر في شفته العليا طول مع نتوء في وسطها وهي الحِثْرِمة ما لم تطل فاذا طالت قليلاً فالرجل حينئذ أبظر الى ان قال وقد بَظِر الرجل بَظَراً » اهـ . فمؤداه انه يقال بَظِر الرجلُ اذا كان في شفته العليا طول مع نتوء لا اذا لم يُختَن كما تسرّع الى فهمه الشرتوني وهذا من أغرب أغلاطه لأن ما يتعلق بالختان من هذه المادة خاص بالنساء فقد اشرك صاحب الأقرب الرجل مع المرأة فيما لم تشركها فيه الخلقة . سامحه الله .

ومن أغلاط هذا الصنف أيضاً قوله الجَما والجُما (مفتوحاً ومضموماً) ورم كالثدي في البدن اهـ . ولم يرد هذا التفسير في أي معجم من الأمهات وانما الذي ذكره صاحب القاموس الجَما والجُما « نتوء وورم في الثدي » وقال في موضع آخر « نتوء وورم في البدن » فاختلف القولان وأرى الأخير هو الصحيح وان الثدي في القول الأول مصحف عن البدن في القول الثاني وذلك لعدم مجيء التفسير الأول في اللسان من جهة ولامتناع صحة تفسيرين متغايرين من

جهة أخرى . ولما نقل صاحب التاج العبارة الأولى صحف كلمة نتوء بقلب همزتها هاءً فصارت نتوه فظن الهاء ضميراً فارجعه الى كلمة الشيء المذكورة قبلاً وملخص عبارته « الجاء والجاءة بالفتح ويضمان الشخص من الشيء وحجمه وبالقصر ويضم نتوه واجتماعه وورم في الثدي » اهـ . فالهاء في نتوه ليست ضميراً بل مقلوبة من الهمزة تحريفاً وقوله واجتماعه مقحم ينبغي ان يكون بعد قوله وحجمه فتكون العبارة « الجاء .. الشخص من الشيء وحجمه واجتماعه وبالقصر ويضم نتوء وورم في الثدي » . وقصارى القول ان عبارة الاقرب « ورم كالثدي في البدن » لا أصل لها .

ومما يعتبر من هذا الصنف تصرفه في استعمال « وقيل » بدلاً من « او » وهذا كثير في كتابه وغير جائز لأن المؤلفين يجعلون « او » بين الأقوال المختلفة في تفسير الكلمة دون تمييز في قوة الصحة بين تلك الأقوال واما « قيل » فيشيرون بها الى ضعف القول الذي يليها مثال ذلك قوله « العُسَيْلة النطفة وقيل ماء الرجل » والذي في الأصول « او ماء الرجل » فقوله وقيل يفهم منه ضعف القول الثاني على ان عبارة اللغويين تدل على عدم الحكم على أصح القولين . ولا يخفى ان القول الأول أعم من الثاني لأنه يفيد ماء الزوجين وكذا قوله « الحَرَض من لا خير عنده وقيل من لا يرجى خيره ولا يخاف شرّه » والذي في الأصول او من لا يرجى خيره ومثل ذلك قوله « الخبَّة طريقة من رمل وقيل من سحاب وقيل خرقة كالعصابة » وعبارة القاموس بأو بدل وقيل في الموضعين وهكذا فكل او واردة في القاموس قد استبدل بها كلمة وقيل ولا ندري لماذا ؟

(والسابع) : عدم مراعاته ارجاع ما بعد كاف التشبيه التي ترد في القاموس بعد المعاني المشتركة فانه مقتضى قاعدة القاموس رجوع التشبيه الى المعنى الأخير فقط . منها كقوله كما كالعبَنّى فان التشبيه عائد الى العَبَنّ الذي بمعنى العظيم

من التسور والجمال فقط لا الى جميع معاني العَبَنْ وأما المفهوم من عبارة الأقرب فهو رجوعه الى جميع معانيه وهذا خطأ .

(والثامن) : اخذه مفردات كثيرة من كتب ليست من معجمات اللغة ولا من دواوينها كمفردات ابن البيطار والألفاظ الكتابية والعقد الفريد والأغاني وغيرها من كتب الأدب التي لا يصح الاستشهاد بها على عربية وفصاحة ما جاء فيها من الألفاظ ما لم تكن معزوّة او مسندة بشواهد وأدلة او منقولة عن كتب اخرى قد اسندتها او اتت بشواهدها وذلك كنقله عن كتاب تاريخ الدول كلمة « الحشائشي » قال المراد بها العالم بالحشائش وعن تقويم البلدان كلمة المحمضة قال هي موضع الحمض وعن مفردات ابن البيطار « الشجّار » قال انه العالم المشتغل بالبحث عن أحوال الشجر والجمع شجارون وعن الأغاني جمع شونيز اي الحبة السوداء على شوانيز وعن الألفاظ الكتابية اضطرم نارَ الحرب قال معناها أوقدها ونظائر ذلك كثيرة في ذيل كتابه كما أنه أقحم في الذيل ألفاظاً كثيرة عثر عليها في المعجمات ليس بين مواد اللغة بل في سياق تفسير بعض المواد مع ان مؤلفي اللغة هم حجة في العربية فيما نقلوا لا فيما تكلموا به فمن أمثلة ذلك نقله من لسان العرب كلمة السِّبُور قال انها جاءت في ترجمته ف ر ه وان معناها الكثير السبر ومن اللسان أيضاً في مادة ص ق ر « الدّباس » قال هو صانع الدبس وبائعه ومن التاج في مادة ن ج ز تسافكوا دماءهم اي سفك بعضهم دم بعض وفي مادة ج ص ص « ززّته ازّه ززّاً » اي صفعته وفي مادة ب ر ر « اصنصمد البربر » اي جناه وفي مادة ن ع ي التمهُّر تفعُّل من المهارة ولا حاجة لنا الى سياقة جميع ما جاء من هذا القبيل لأنه ظاهر في ذيل كتابه باشارة « س » فأما ما كان مقبساً من هذه الألفاظ فلا فائدة من ذكره في المعجم .

الطبيب محمد جميل الخاني ..

العدد في اللغة العربية

- ٣ -

حالات المميز مع العدد

سبق أن ذكرت أن الواحد والاثنين لا يذكر معهما المميز لأنه يستغني عنهما باعتباره يدل في نفسه على الوحدة وعلى التثنية بطبيعة اللفظ والدلالة .

أما المعدود الذي هو مميز العدد الذي يسبقه مع بقية الأعداد غير الواحد والاثنين فله أحوال عدة ألخصها فيما يلي :

المعدود مع ثلاثة الى عشرة يكون مخصوصاً بالاضافة ويكون جمعاً مكسراً يدل على القلة لا على الكثرة فان استعمل جمع الكثرة فاضطراراً بالنيابة عن جمع القلة وتخالف هذه القاعدة في ثلاثة أمكنة : الأول ان يكون اسم جمع وذلك قليل نحو : تسعة رهط ، الثاني : لفظ مائة فتقول ثلاثمائة لا ثلاث مئات ويعلل بأن مائة لفظ يدل على جمع أي عشر عشرات ، الثالث أن يميز بجمع التصحيح في الكلمات التي أهملت جموع تكسيرها مثل « سبع سموات » وفي الكلمات التي لها جموع قلة مكسرة ولكنها جاورت هذه الكلمات مثل : « إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر » جاورت « سنبلات » ، وجمعها المكسر سنابل ، بقرات وليس لهذه جمع تكسير بل لها اسم جمع فقط ؛ وفي الكلمات التي ليس لها جموع تكسير مثل ثلاث سُعادات ج سعاد . وينوب جمع الكثرة عن جمع القلة حين لا يوجد هذا أو يكون شاذاً قياساً أو سماعاً او قليل الاستعمال .

وجموع القلة لها أربعة أوزان : أفعال وأفعُل وأفعِلة وفِعْلَة مثل : أجمال وأفرُخ وأرغفة وغِلْمة .

وتجوز الإضافة في مثل ثلاثة أثواب قياساً على قولك « كل القوم » فالمقصود بلفظة أثواب هنا واحد منها لا الجمع « أثواب » مكرراً ثلاث مرات .

وإذا استعمل جمع الكثرة بدل جمع القلة مع وجوده ينزل منزلة اسم الجنس فثلاثة كلاب معناها ثلاثة من الكلاب كما تقول ثوب خز أي من خز .

وبمناسبة الكلام على المعدود يجب الانتباه الى انه لا يجوز فصل العدد عن تمييزه فلا تقول : (ثلاثة رأيتهم رجال « او من الرجال ») ؛ وأما قول الشاعر :

« على أنني بعد ما قد مضى ثلاثون للهجر حولا كميلا »

فضرورة .

أما جر المعدود مع ثلاثة وأخواتها فقد علله الصبان « في حاشيته ج ٤ ، ص ٤٦ » بأنه لما كثر استعماله آثروا جر المميز بالإضافة للتخفيف لأنها تسقط التنوين وعلل كونه جمعاً بإيجاد المطابقة بين العدد والمعدود وعلل كونه جمعاً للقلة بالمطابقة أيضاً .

وذكر الصبان أنه يجوز في معدود ثلاثة وأخواتها إذا كان لفظه مذكراً ومعناه مؤنثاً أو بالعكس وجهان مراعاة اللفظ أو مراعاة المعنى .

واختلف النحاة في قول « رأيت ثلاث بنات عرس » فبعضهم يرى إدخال التاء لأن مفردها ابن عرس وبعضهم يرى حذف التاء لأن لفظ بنات مؤنث أما القاعدة العامة فهي أنه يرجع لمفرد الجمع فينظر فيه من حيث التذكير والتأنيث فيذكر العدد إن كان هو مؤنثاً وبالعكس .

وإذا اشترك مذكر ومؤنث معدودان معاً في عدد فيعتبر المعدود كله مذكراً فتقول : أعطيتك ثمانية ما بين عبد وجارية لأن القاعدة العامة أنه اذا اجتمع مذكر ومؤنث فالغلبة تكون للمذكر وهنا ليس المقصود ثمانية من كل نوع وإنما بعض الثمانية عبيد وبعضهم جوار ولذلك يغلب المذكر المؤنث في هذه الحالة .

ولكن الفراء لا يجيز عطف المؤنث على المذكر في مثل قولك جاءت ستة

رجال ونساء لأن ذلك معناه ستة رجال وست نسوة لا ستة ما بين رجال ونساء
ومما جاء مخالفًا لقاعدة المعدود مع ثلاثة هذا البيت :

قبائلنـا سبع وأنتم ثلاثة وللسبع خير من ثلاث وأكثر

وكان الواجب أن يقول ثلاثًا لأن القبائل جمع قبيلة وهي مؤنثة ويذكر معها العدد ، وخرّجه صاحب المخصص (ج ١٧ ، ص ١٧٣) بأن الشاعر أراد بثلاثة ثلاثة أبطن فأنث العدد وأظن أن هذا خطأ فلم يقصد الشاعر ذلك وإنما اضطره الشعر الى تأنيثها أو أن العرب لم يكونوا كلهم يسيرون على هذه القواعد العددية بصورة دقيقة ولذلك نجد أبياتاً كثيرة من أمثال هذا البيت يسعى النحاة الى أن يصطنعوا لها تأويلات يظهر فيها التمحك والتنطع .

والمعدود مع خمسة عشر وأخواتها يكون تمييزاً مفرداً منصوباً فأما نصبه فكما يقول ابن يعيش (ج ٦ ص ٣٠ من شرح المفصل) فلأنه عدد فيه نية التنوين إلا أنه مبني فبناؤه كان مانعاً من ظهور التنوين كمنع ما لا ينصرف نحو قولك : هؤلاء حواجُ بيتَ الله وضوارب زيداً فلما كان في نية منوَّن امتنعت لذلك إضافته ووجب نصب مميزه وأما إفراده مع أحد عشر وأخواتها فلأن العدة معلومة من العدد ولم يبق إلا بيان الجنس فأغنى فيه الواحد عن الجمع .

والتمييز مع عشرين يكون كذلك مفرداً منصوباً ونصب لأن عشرين لعدم تمكنه لم يجز حذف نونه وإضافته إلى الجنس المميز فلم يقولوا « عشرو » درهم لأن العشرين وأخواتها لم تقو قوة اسم الفاعل ولا الصفة فألزمت طريقة واحدة وتحذف إذا اضيفت إلى المالك نحو عشرو زيدٍ فلذلك لم يكن التفسير إلا واحداً لأن الواحد دال على نوعه فإن قلت عندي عشرون رجالاً كنت قد أخبرت أن عندك عشرين كل واحد منهم جماعة رجال كما قالوا جملان وإبلان فاعرفه (المفصل لابن يعيش ج ٦ ص ٣١) .

والمعدود مع مائة يكون مفرداً مجروراً بالإضافة وعلله صاحب التصريح

(ص ٢٧٤ ج ٤) بأن المائة اشتملت على عشرة وعشرين فأخذت من مميز عشرين الإفراد وأخذت من مميز عشرة الإضافة .

والمعدود مع ألف يكون كالمعدود مع مائة لأن الألف ليس إلا عشر مئات ووجه النحاة القراءة الشاذة في «ثلاثمائةِ سنين» بإضافة العدد إلى المعدود بأنها شبهت هنا بالعشرة إذ كانت تعشيراً للعشرات وقيل إنه من وضع الجمع موضع المفرد ووجهوا قراءة من قرأ «ثلاثمائة» بالتنوين بأن المعدود إنما وقع عطف بيان أو بدلاً من ثلاثمائة ونقض هذا بعضهم بأن هذا ليس بدلاً لأنه لا يصح الاستغناء عن الأول وأجيب عنه بأن نية الطرح غالبة لا لازمة .

وقد ورد تمييز المائة في الشعر بمفرد منصوب كقول الربيع بن ضبيع الفزاري :

إذا عاش الفتى مائتين عاما فقد ذهب المسرة والفتاء

وأجاز ابن كيسان نصب تمييز مائة وألف (والحقيقة أن البيت ضرورة والرواية شاذة) «التصريح على التوضيح ص ٢٧٦ ج ٤» .

والمعدود مع المليون وما بعده من العقود يكون كالمعدود مع الألف استعمالاً وقياساً لأن المليون ليس إلا ألف ألف .

ملاحظة تتعلق بمعدود أحد عشر وأخواتها

الذي قلنا أنه يجب ان يكون مفرداً منصوباً :

جاء في القرآن الكريم : (وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً) والأسباط مفردها سبط مذكر وخرج على أن أسباطاً ليس تمييزاً وإنما هو بدل مما قبله بدل كل من كل والتمييز محذوف تقديره فرقة . وزعم ابن مالك (الناظم) في شرح الكافية ان أسباطاً تمييز وإنما لم يذكر معه العددان لأنه ذكر بعده أمماً فرجح لذلك التأنيث لأن أسباطاً وصف بأمما كما وقع نفس الأمر في بيت عمر : «ثلاث شخوص كاعبان ومعصر» وهذا مخالف لقول الناظم (ابن مالك) في التسهيل أن أسباطاً بدل لا تمييز وقولهم أنه بدل مشكل لا يصح وقولهم أنه

تمييز مخالف للقاعدة لأن تمييزه يجب ان يكون مفرداً وُخرّج بكون أسباطاً وصف لتمييز محذوف تقديره فرقة وذهب الفراء الى جواز جمع التمييز وظاهر الآية يشهد له ويشهد له أيضاً ماروي من قول ابن مسعود : « قضى في دية الخطأ عشرين بنت مخاض وعشرين بني مخاض » وتخريج أبي حيان على أن بني مخاض حال من عشرين أو نعت لها والتمييز محذوف خلاف الأصل .

وكل هذه التخريجات تخريجات مربكة لسنا في حاجة اليها ويكفي أن نشير في مثل هذه الآية التي لم ترد وفق الأمثلة الغالبة أن نقول قد ورد فيها التمييز جمعاً خلافاً للمألوف في القاعدة العامة المستمدة من النصوص الشائعة الغالبة بالكثرة فهي من قبيل النادر في اللغة أو الشاذ أو أنه لم يكن عند العرب مانع في بعض الأحايين من جعل التمييز جمعاً في مثل هذه الحالة .

مميز الثلاثة وأخواتها

حينما يكون اسم جنس أو اسم جمع أو جمعاً

مميز الثلاثة والعشرة وما بينهما إن كان اسم جنس خفض بمن : « فخذ أربعة من الطير » وعلل الأخفش امتناع الاضافة اليه بأنه قد يقع على الواحد ولا يضاف هذا الجمع الى الواحد وقد يخفض تمييز اسمي الجنس والجمع باضافة العدد اليه فاسم الجمع نحو : « وكان في المدينة تسعة رهط » واسم الجنس كقول جندل بن المثنى :

« كأن خصييه من التدلدل ظرف عجوز فيه ثنتا حنظل »

واختلف في هذه الاضافة على ثلاثة أقوال : الجواز على قلة كما مر والاقتصار على ما سمع وهو مذهب الأكثرين والرأي الثالث التفصيل في اسم الجمع فان كان مما يستعمل للقليل كرهط ونفر جاز وان كان يستعمل للقليل والكثير لم يجز وعلله المبرد بأن العدد لا يضاف الى الواحد ولا لما يدل على الكثرة ويعتبر التذكير والتأنيث مع اسمي الجمع والجنس بحسب حالها باعتبار عود الضمير عليها

تذكيراً وتأنيثاً وقد يكونان مما يجوز فيه التذكير والتأنيث على السواء مثل «البقر» فتقول ثلاثة من البقر وثلاث من البقر .

وفصل ابن عصفور في اسم الجمع فقال ان كان لمن يعقل فحكمه حكم المذكر كالقوم والرهط والنفر وان كان لمن لا يعقل فحكمه حكم المؤنث كالجامل والباقر .

والجمع يعتبر به حال مفرده فتقول ثلاثة حمامات وثلاثة اصطبلات لأن حمام وإصطبل مذكران وأجاز البغداديون ذلك والكسائي ونقل سيبويه والفراء أن كلام العرب على خلاف ذلك .

ولا يعتبر من حال الواحد حال لفظه فتقول ثلاثة طلحات لا ثلاث طلحات وينظر في مرافقة العدد الى ما يستحقه المفرد باعتبار ضميره فيعكس حكمه في العدد واختلفوا في تخريج :

« فكان مجني دون ما كنت أتقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصر »

فقال بعضهم ضرورة خلاف القياس وسهلها مدلولها ثلاث نسوة ورأى ابن مالك أنه اذا اقترن باللفظ ما يرجح جانب المعنى ترجح (ص ٢٧١ من التصريح على التوضيح ج ٤) .

العدد الذي حذف تمييزه

وناب عنه الصفة والذى أضمر بدون أن تنوب صفة عنه

الصفة المحذوف موصوفها إذا رافقت العدد روعي حال الموصوف المحذوف في التذكير والتأنيث مثاله : «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» التقدير عشر حسنات امثالها فمفرد حسنات حسنة وهي لفظة مؤنثة يذكر معها العدد .

واعتبار توهم الموصوف كاعتبار نيته «أي حذفه» ولهذا ترى العرب يقولون ثلاثة دواب بالتاء اذا قصدوا ذكوراً لأن الدابة وهي لغةً كل ما يدب على الأرض صفة في الأصل غلبت عليها الاسمية وقد يجرونها مجرى الاسم الجامد ويراعون لفظها . «التصريح على التوضيح ج ٤ ص ٢٧١» واذا أضمر المعدود

مع الأعداد بين الثلاثة والعشرة عدّ كأنه مذكور ويجوز ان تحذف التاء في المذكر كالحديث : « ثم أتبعه بست من شوال » .

وعلل الصبان (في حاشيته ص ٤٤ ج ٤) جواز حذف التاء في المذكر المحذوف مع العدد بقوله : « يمكن أن يوجه بأن في حذف المعدود إبهاماً فناسب مراعاة الإبهام في لفظ العدد أيضاً وفي المؤنث المحذوف مع العدد نقل الأسقاطي عن بعضهم المنع ومقتضى ما مرّ عن الصفوي الجواز » .

العدد الموصوف

ولا يجوز إضافة العدد الى الصفات وإنما يوصف بها العدد فتقول ثلاثة قرشيون وما جاء باضافة الصفة يؤول بموصوف محذوف وذلك لأن الأصل أن تميز الأعداد بالأنواع لا بالصفات وعليه تخرج الآية : « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » بأن المقصود عشر حسنات أمثالها واستعمال ثلاثة نسابات أي ثلاثة رجال نسّابات وانما تقوم الصفة مقام الموصوف حين تشتهر (ص ١٢٧ ج ١٧ المخصص لابن سيده) .

العدد الذي يكون وصفا

يقول الصبان : « إذا قدم المعدود وجعل اسم العدد صفة جاز إجراء القاعدة وتركها كما لو حذف تقول مسائل تسع ورجال تسعة وبالعكس — نقله النووي عن النحاة - (حاشية الصبان ج ٤ ص ٤٤) وقال ابن سيده (في المخصص ج ١٧ ص ١٢٥) : « إذا نعت المذكر والمؤنث بالعدد تساوى المنعوت وشبه بالمصدر ولو لم يكن له فعل من لفظه وذلك الى العشرة تقول : رأيت الرجال ثلاثتهم ورأيت النساء ثلاثتهن وقال أبو حاتم فيما زاد عن العشرة تقول : رأيتهم أحد عشرهم وثلاثة عشرهم ورأيتهنّ إحدى عشرتهن وثلاث عشرتهن وتجري البقية حتى تسعة عشر على ذلك » .

ونلاحظ هنا الفرق بين رأي الصبان القائل بأنه يجوز إجراء القاعدة وتركها وبين رأي ابن سيده في أن لفظ العدد في أصله ينعت به الجنسان وضرب له أمثلة .

صفة تمييز العدد المفرد

يجوز في نعت هذا التمييز مراعاة اللفظ نحو عندي أحد عشر درهماً ظاهرياً وعشرون ديناراً ناصرياً ومراعاة المعنى فتقول ظاهرية وناصرية ومنه قوله :

« فيها اثنتان وأربعون حلوبة سوداً كخافية الغراب الأسحم »

العدد المردف بمعدودين مذكر ومؤنث

سبق أن تكلمت في شيء من هذا في ص ٣٢ من بحثي ولكني لم أوفه حقه هناك حين كنت أتكلم على حالات المعدود فقد قلت أن حكم العدد المميز بشيئين لمذكرهما ولكن الأشموني (ص ٥١ ج ٤ من شرحه) يفصل في ذلك فيقول : « حكم العدد المميز بشيئين في التركيب لمذكرهما مطلقاً إن وجد العقل نحو : عندي خمسة عشر عبداً وجارية وخمسة عشر جاريةً وعبدا فإن فقد فللسابق بشرط الاتصال نحو : عندي خمسة عشر جملاً وناقة وخمس عشرة ناقة وجملاً وللمؤنث إن فصلا نحو : ست عشرة ما بين ناقة وجمل او ما بين جمل وناقة وفي الاضافة لسابقها مطلقاً نحو عندي ثمانية أعبد وآم وثمان آم وأعبد ولا يضاف عدد أقل من ستة الى مميز مذكر ومؤنث لأن كلاً من المميزين جمع وأقل الجمع ثلاثة » .

واختلف حكم المعدود من الجنسين مع العدد في كلام العرب إذا كان المعدودان بعد العدد المشترك أياماً وليالي فان التأنيث يغلب على التذكير حينئذ بخلاف القاعدة العامة وذلك لأن الليلة ابتداء اليوم (ابو علي الفارسي) قال الشاعر :

« فطافت ثلاثاً بين يوم وليلة وكان النكير أن تضيف وتجأرا »

وقال تعالى : « يتربصن بأنفسهن ثلاثة أشهر وعشرا » أي عشرة أيام غلب الليالي على الأيام لأنه أبهم ولم يعين المعدود وكذلك الأمر كلما عدد المدة بدون

ذكر اليوم أو الليلة ؛ وسواء أذكر اليوم أم الليلة فالأيام مع لياليها والليالي مع أيامها وقد استعمل العرب الأيام مع الأعداد فأنثوا الأعداد معها قال تعالى : « قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام الا رمزاً » (المخصص ص ١١٥ ج) .

تعريف العدد والمعدود

(دخول الألف واللام عليها)

ذكر صاحب المفصل ان الألف واللام تدخل على معدود الثلاثة والعشرة وما بينها فنقول تسعة الأثواب ومع أحد عشر تدخل الألف واللام على النيف فتقول الأحد عشر رجلاً وفيما فوق العشرين تقول الأحد والعشرون وفي المائة تقول مائة الدرهم وثلاثمائة الدرهم وألف الرجل وقال ان الكسائي روى الخمسة الأثواب وعن ابي زيد أن قوماً يقولونه غير فصحاء ففي حالة الثلاثة وأخواتها يرجع الى قاعدة ان المضاف يكتسب التعريف من المضاف اليه وفي الأحد عشر وأخواتها يجوز ثلاثة وجوه : ١ً) أن تدخل الألف واللام على الأول لأن المركب قد اكتسب قوة الكلمة الواحدة فدخل التعريف على الأول وهو رأي البصريين . ٢ً) أن تدخل التعريف عليها معاً أي على النيف والعقد وهو مذهب الكوفيين والأخفش وذلك لأنها اسمان العطف مَنوِيٌّ فيها ولو صرح بالعطف لوجب دخول التعريف عليها معاً . ٣ً) مذهب قوم من الكتاب يدخلون التعريف على الكلمات الثلاثة وهو فاسد لأن التمييز لا يكون الا مبهماً فلا يجوز تعريفه ولا يجوز « العشرون الدرهم » إلا على المذهب الضعيف وذلك لأن درهما تمييز فيجب ان يكون نكرة كما قدمنا ولأن النون من عشرين تفصل بين العدد وبين المعدود لأنها في حكم التنوين فلا إضافة تفيد تعريف المضاف بتعريف المضاف إليه . (المفصل ج ٦ ص ٣٤) .

وذكر ابن سيده (المخصص ج ١٧، ص ١٢٥) « أن الكوفيين أجازوا : الثلاثة الأثواب والخمسة الدراهم والثلاث المائة الألف الدرهم ويعرفون العشرين

وتمييزها فيقولون : العشرون الدرهم والأحد عشر الدرهم ومنهم من يقول الأحد العشر الدرهم ويقولون النصف الدرهم شبهوه « بالحسن الوجه » وقال البصريون : إذا جعلت جميع أجزاء العدد نفساً للمقدار جاز إدخال التعريف عليها جميعها وروى ابو زيد أن استعمال النصف الدرهم والخمسة الدراهم غير مطّرد » .

ونرى من هذين النصين الاختلاف الكبير بين رأي البصريين ورأي الكوفيين ونرى من جهة ثانية ان قضية وضع القواعد لم تكن قضية سماع عن العرب وكيف يستعملون التعريف في مثل هذه الحالة كما كان يجب أن يكون الامر وإنما أصبح قضية تحكيم الهوى تارة والمنطق أخرى .

ويلاحظ أن المركب العددي كأحد عشر وثلاثة عشر يبقى مبنياً على فتح الجزأين مع الألف واللام ويذهب جل النحويين أيضاً الى أنه يبقى كذلك حين يضاف لمستحق المعدود فتقول احدَ عشرَ زيدٍ وأحدَ عشرَك ببقاء الجزأين مبنيين على الفتح .

وذكر الصبان أنه لا يجوز دخول الألف واللام على الألف في قولك الف رجل فلا تقول الألف رجل بل الف الرجل وذكر ابن الفارضي قال : « وأما دخول ال على المضاف في قول ابي هريرة (رضي) : (فلما قدم جاء بالألف دينار) فقيل زائدة وقيل تقديره بالألف الف دينار فحذف الف وهو بدل من الألف .

اضافة العدد الى مستحقه

قال ابن عقيل في شرح الألفية أن الأعداد المركبة تضاف الى غير مميزها ماعدا اثنى عشر فلا يضاف فلا يقال اثنى عشرك وإذا أضيف العدد المركب فمذهب البصريين بقاء الجزأين على بنائهما وقد يعرب العجز بحسب العوامل مع بقاء الصدر على بنائه .

وقال في التصريح : « إنما منعوا إضافة اثنى عشر لمستحق المعدود من بين

الأعداد المركبة لأن ما بعد اثنين واثنتين واقع موقع النون فكما أن الاضافة تمتنع مع النون فكذلك تمتنع مع ما وقع موقعها ولا كذلك الباقي » ·

وقال ابن يعيش في شرح المفصل (ص ٣٠ ج ٦) : « ولا يجوز حذف عشر فيقال اثناك لأنه يلتبس باضافة الاثنين » ·

وقال في التصريح : « قال سيبويه في اللغة التي حكاها في إضافة العدد المركب الى مستحق المعدود — وهي بقاء الصدر مبنياً واعراب العجز بحسب العوامل — إنها رديئة وقال الأخفش حسنة واختارها ابن عصفور ووجه ذلك بأن الاضافة ترد الأسماء الى أصلها من الاعراب وردّه ابن مالك في شرح التسهيل بأن المبني قد يضاف نحو كم رجلٍ عندك · وقد يفرق بين ما بناؤه أصلي فلا يرد الى الاعراب وما بناؤه عارض يسبب التركيب فيردّ اليه بأدنى ملابسة · وحكى الكوفيون وجهاً ثالثاً وهو ان يضاف الجزء الأول الى الثاني فيعرب الجزء الأول بحسب العوامل ويجر الجزء الثاني بالإضافة كما في عبد الله نحو ما حكى الأخفش أنه سمع ممن سمع من أبي فقعس الأسدي وابن الهيثم العقيلي : « ما فعلت خمسة عشرك » ·

النسبة الى العدد

قال ابن سيده (ص ١١٩ ج ١٧ من المخصص) : « إذا أردت ان تقول رجل من بني ثلاثة تنسبه الى العدد بلفظ ثلاثيّ واذا اردت ان تنسب ثوباً الى ثلاثة باعتبار طوله ثلاثة أذرع قلت ثُلاثيّ بضم الثاء والقاعدة تشمل الأعداد من الثلاثة الى العشرة واذا نسبت الى عشرين وثلاثين قلت عِشْرِيّ وثَلاثِيّ واذا نسبت الى خمسة عشر قلت خَمْسِيّ بعكس النسبة الى الخمسة فتقول خُماسيّ والنسبة الى اثني عشر ثنويّ واثنيّ واختلف في أحد عشر فقال الأحمر لا ينسب اليه وانما يقال طوله أحد عشر وقال غيره يقال أحدعشريّ · وقال السجستاني لا ينسب باللفظ المركب فلا ينسب الى الصدر وحده ولا الى العجز وحده وانما

بنسب الاثنان معاً. كما ذكر في الشعر النسبة الى رام هرمز رامية هرمزية (في نسبة امرأة) فتقول أحديّ عشريّ وإحدويّ عشرويّ في المؤنث» .

ونلاحظ نحن في لغات الحديث السائدة الآن في الأقطار العربية ان قولهم احد عشري واثنا عشري هو الجاري على الألسنة فيقولون في سوريا مثلاً عن المسمار الذي طوله أحد عشر سانتيمتراً «إدعشريّ» ويقولون «اطنعشريّ» ويقول المصريون «احدعشري واطنعشري» . والموسيقى والسهولة تدعوان لهذا التخفيف في الاستعمال ولا تدعوان الى استعمال أحديّ عشريّ في النسبة لأنه ثقيل غير مستملح لا في النطق ولا في الأسماع .

الصفات العددية الترتيبية

على وزن فاعل والاشتقاق من ألفاظ العدد

أقصد بالصفات العددية الترتيبية ما يقصد به في اللغات الغربية الصفات المشتقة من ألفاظ العدد للدلالة على درجة المعدود ورتبته النسبية بالنسبة لغيره من الأشياء لا عدده فعندما تقول طلاب السنة الثالثة فانما تقصد السنة التي تأتي في الترتيب بعد السنتين الأولى والثانية لا معنى العدد وهي في هذه الحالة صفة صريحة .

واللغة العربية كاللغات الغربية تشتق الصفات الترتيبية العددية من أسماء العدد أنفسها وهي تشتقها على وزن فاعل فيقال «ثاني وثالث ورابع» وهكذا ومؤنثاتها على وزن فاعلة . وجاءت لفظة واحد بطبيعتها على وزن فاعل وهي مشتقة من وحد يحد ومؤنثه واحدة ولكن لفظه لا يستعمل للدلالة على الرتبة إلا مع العقود كعشر وعشرين وذلك على قلة في لغات بعض القبائل فيقال جاء الرجل الواحد والعشرون ويقصد به الرجل الحادي والعشرون واللفظة المفردة التي تدل على المعنى الترتيبي للواحد بدون مرافقة العقود هي أوّل المذكر على وزن أفعل وأولى للمؤنث على وزن فُعلى وهمزة أول زائدة لأنه كما قلنا على وزن أفعل من فَعَل أما همزة أولى فغير زائدة وهي بدل من واو وإنما أبدلت لاجتماع الواوين على حد

واقية وأواق واذا كانت كلمة أول صفة منعت من الصرف وذلك للوصفية ووزن الفعل تقول هذا رجل أول اي اول من غيره حذف الجار والمجرور والألف واللام ليست بلازمة له ويفهم حذفهما لأنهما مرادان في المعنى فهما في حكم المنطوق واذا كانت لفظة اول اسماً صرفت فتقول ما تركت له أولاً ولا آخراً أي لا قديماً ولا حديثاً . واشتق من الواحد لفظة لترافق العقود على وزن فاعل وهي « حادي » وحادية مقلوب واحدة جعلت فاء الكلمة فيهما بعد لامها ولا يستعملان منفردين أبداً بل مع العقود تقول الحادي والتسعون والحادية والتسعون .

واذا أردت الترتيب العددي في العقود فانك تعطف العقد على لفظ الحادي والحادية كما أسلفت .

والصفة الترتيبية العددية المأخوذة من العددين اثنين وعشرة وما بينهما تشتق من هذه الأعداد على وزن فاعل كثان وثالث ورابع حتى عاشر بدون شذوذ وتدخل على هذه الصفات الألف واللام كما تنون أيضاً وتعرب بالحركات الثلاث التي تظهر على آخرها .

وتكون الصفات العددية من الأعداد أحد عشر وتسعة عشر وما بينهما بإضافة الصفات العددية المشتقة من الآحاد البسيطة الى لفظة عشر في صفة المذكر وعشرة في صفة المؤنث وتدخل الألف واللام على صدر المركب فقط فتقول قرأت الجزء الحادي عشر واخذت الصحيفة الرابعة عشرة ولم اجد النحاة قد نصوا على تجرده من الألف واللام او جواز تنوينه (اي صدر المركب) كما لم ينصوا على كيفية اعرابه في اي حالة من هذه الحالات الثلاث ولكن قياساً على حالة المركب العددي الذي اشتق هو منه استطيع ان اقول انه يبقى مبنياً على فتح الجزءين ولو دخلته الألف واللام كما لا ينون لأن العجز نزل منزلة التنوين من الصدر في هذا المركب وانه يجوز تجرد الصدر من الألف واللام في بعض التعابير الكلامية فيقال رأيت رابعة عشرة فصلها وخامس عشر كتيبته .

ولم يشتقوا من لفظ العشرين صفة على وزن فاعل لأنه يأتي على وزن عاشر المشتق من عشرة ويلتبس به لذلك تستعمل لفظة العشرين نفسها كصفة عددية ترتيبية فيقال قرأت المجلد العشرين من معجم يافوت مثلاً وكذلك في بقية بابه من اسماء العقود وفي المائة والالف وما فوقها من العقود فتقول اخذت الجنيه المائة مما كان معي من النقود وهكذا .

قال صاحب التصريح (ص ٢٧٨ — ٢٧٩ ج ٤) : «وقال في التسهيل فيما يتعلق باشتقاق الأعداد على وزن فاعل ان قولهم مصوغ من العدد تقريب على المتكلم وفي الحقيقة انه مصوغ من الثَلث الى العَشْر وهي مصادر ثلثتُ الاثنين الى عشرتُ التسعة وفي الصحاح عشرت القوم أعشرهم عشرا إذا صرت عاشرهم وما دون الاثنين من هذه الأعداد على وزن فاعل وضع على ذلك الحكم من اول الأمر فقيل في المذكر واحد وفي المؤنث واحدة وهما من وَحَد يَحِد» .

والاشتقاق من اسماء الأعداد سماعي لأنه من قبيل الاشتقاق من اسماء الأجناس كتربتْ يداك من التراب .

وقال الصبان في شرحه (ص ٥٤ ج ٤) ان الأفعال من لفظ العدد يكون مضارعها على وزن يضرب إلا ما كان لامه عيناً وهو ربع وسبع وتسع فإنه على وزن شفع يشفع وقال (في ص ٥٦ من نفس الجزء) : «لم يذكروا في العشرين وبابه فعلا مشتقا وقال بعض أهل اللغة عشرن وثلثن اذا صار له عشرون او ثلاثون وكذلك الى التسعين واسم الفاعل من هذا معشرن ومتسعن» .

والصفات العددية الترتيبية التي ذكرتها هي الصفات المفردة وذلك احد استعمالات صيغة فاعل المشتقة من العدد ولها استعمالان آخران للدلالة على ترتيب المعدود وفيها لا تكون هذه الصفات مفردة بل تستعمل في احدهما مع ما اشتقت منه فيجب حينئذ إضافة فاعل الى ما بعده فتقول ثاني اثنين وثانية اثنتين الى عاشر عشرة والمعنى احدُ اثنين واحد عشرةٍ وتستعمل في الثاني مع ما قبل ما اشتقت

منه مثل ثالث اثنين وفي هذه الحالة يجوز اضافتها الى ما بعدها ويجوز نصب ما بعدها على المفعولية فتقول ثالث اثنين وثالثٌ اثنين وهكذا الى عاشر تسعة وعاشرٍ تسعةً وكذلك في التأنيث مع مراعاة تأنيث الأول مع المؤنث والمعنى جاعل الاثنين ثلاثة والثلاثة اربعة . هذا حين بناء فاعل من الآحاد البسيطة في هذين الاستعمالين ؛ واذا أريد بناء فاعل من العدد المركب للدلالة على المعنى الأول الذي هو كثاني اثنين يجوز فيه ثلاثة أوجه :

١ً — ان تجيء بتركيبين صدر أولها فاعل في التذكير وفاعلة في التأنيث وعجزهما عشر في التذكير وعشرة في التأنيث وصدر الثاني منهما في التذكير أحد واثنان وثلاثة بالتاء الى تسعة وفي التأنيث احدى واثنتان وثلاث بلا تاء الى تسع مثل : ثالث عشر ثلاثة عشر ، وثالثة عشرة ثلاث عشرة وتكون الكلمات الأربع مبنية على الفتح .

٢ً — الثاني ان يقتصر على صدر المركب الأول فيعرب ويضاف الى المركب الثاني باقياً على بناء جزءيه نحو : « هذا ثالث ثلاثة عشر وهذه ثالثة ثلاث عشرة » .

٣ً — ان يقتصر على المركب الأول باقياً على بناء صدره وعجزه نحو : « هذا ثالثَ عشرَ وثالثةَ عشرةَ واليه اشار ابن مالك بقوله : وشاع الاستغنا بحادي عشرا ونحوه .. »

وقال ابن عقيل في شرح الألفية :

« ولا يستعمل « فاعل » من العدد المركب للدلالة على الإستعمال الثاني فلا يقال : « رابع عشر ثلاثة عشرة » وكذلك الجميع ولهذا لم يذكره المصنف واقتصر على ذكر الأول » .

وقال في التصريح (ص ٢٧٨ ج ٤) ان تركيب رابع عشر ثلاثة عشر قد منعه بعضهم لعدم ورود السماع به وأجازه بعضهم قياساً منهم سيبويه وعلى الجواز فيتعين بالاجماع ان يكون التركيب الثاني من التركيبين في موضع خفض

باضافة التركيب الأول اليه ويمتنع النصب وان كان الوصف فيه بمعنى جاعل لأن عمل الوصف إنما يتأتى مع تنوينه أو اقترانه بأل وهما متنفيان مع التركيب ومن ثم أجاز بعض النحويين هذا ثان احد عشر وثالث اثني عشر بتنوين الوصف ونصب ما بعده لعدم تركيب الوصف مع العشرة .

وقال الصبان في شرحه (ج ٤ ص ٥٥ — ٥٦) إن كلام الأشموني يفهم منه جواز صوغ الوصف المذكور من العدد المعطوف عليه عقد — للمعنيين المذكورين — فيقال هذا ثالث ثلاثة وعشرين بالاضافة وهذا رابع ثلاثا وثلاثين بالإعمال ورابعة ثلاث وثلاثين بالإضافة .

وقال في التصريح (ص ٢٧٧ ٢٧٨ ج ٤) : « قال ابن مالك في اصطلاح ثان اثنين بنصب اثنين أن هذا لا يجوز الا في ثانٍ وذلك لأن له فعلاً من لفظه وهو ثنيت الرجلين أي صرت ثانيهما ولا يجوز « ثالثٌ ثلاثةً » لأنه ليس له فعل من لفظه وقد ردّ قوله هذا بعض النحاة غير معتمدين على السماع وإنما على القواعد المنطقية » .

ولا يجوز إعمال ثالث في اثنين في اصطلاح « ثالث اثنين » أي جاعل الاثنين ثلاثة الذي اجازوا إضافته وإعماله الا اذا كان بمعنى الحال او الاستقبال واعتمد على نفي او استفهام أو ذي خبر او حال او موصوف كما يجوز الوجهان اي الإضافة والإعمال في جاعل ومصير .

وقال في شرح المفصّل (ص ٣٤ ج ٦) : انه اذا أريد بتركيب رابع ثلاثة الدلالة على الزمن الماضي لا يجوز الا فك التنوين والاضافة كقولك : هذا ضاربُ زيدٍ أمسِ وقال في التصريح (ص ٢٧٨ ج ٤) : « ولا يستعمل بهذا الاستعمال ثانٍ فلا يقال ثاني واحد ولا ثانٍ واحداً نص على ذلك سيبويه وأجازه الكسائي وحكاه عن العرب فقال : تقول ثاني واحد وحكى الجوهري « ثانٍ واحداً » وانما ساغ عمل فاعل من العدد لأن له فعلاً . يقال كانوا

تسعة وعشرين فثلثتهم اي صيرتهم ثلاثين وكانوا تسعة وتسعين فأمأيتهم اي صيرتهم مائة . وورد في شرح ابن السراج لأبي الحسن بن الأهوازي : « كان القوم عشرة فحدعشتهم الى تسعشتهم وهم محدعشون وأنا محدعشٌ ومتسعشٌ وكذلك في العقود يقال معشرن ومثلثن ومن المائة والألف ممي ء ومؤلف الا ان فعلهما أمأى وآلف » .

قلت أن الصيغة الثالثة لاستعمال ثالث عشر ثلاثة عشر تكون بان يحذف التركيب الثاني « ثلاثة عشر » وقال صاحب التصريح بصددها أن هذا الاختصار جرى بحذف العقد من التركيب الأول وحذف النيف من التركيب الثاني وبهذا توصل الى صيغة التركيب الأول وبناء على هذه الطريقة في الوصول الى هذه الصيغة قال أن في إعرابه وجهين الأول ان تعربهما لزوال داعي البناء وهو التركيب فالأول بحسب العوامل والثاني مضاف اليه وقال ابو حيان وينبغي ان لا يقدم على هذا الا بسماع لما فيه من الاجحاف ؛ الثاني أن يعرب الجزء الأول وهو الوصف بحسب العوامل وان يبنى الجزء الثاني على الفتح ووجهه ان الجزء الأول أعرب لزوال التركيب وأبقى الجزء الثاني مبنياً لنية المقدّر . وزعم بعضهم وهو ابو محمد ابن السيد أنه يجوز بناؤهما على الفتح لحلول كل منهما محل المحذوف من صاحبه وردّ بأنه لا يعلم حينئذ أنهما اصل تركيبين بل يظن أنهما تركيب واحد . (نتبين في هذا الى اي درجة دخل المنطق والتمحك في وضع علم النحو) .

الألفاظ المشتقة من أسماء العدد

والدالة عليه والفاظ تدل على العدد غير الأعداد المعروفة

مرّ في البحث السابق ذكر كثير من هذه الأفعال والمشتقات فلا حاجة لإعادتها الا ما يكون فيه فائدة منها فما ذكره صاحب المخصص (ص ١٣٨ —

١٢٩ ج ١٧) : [من الأفعال الدالة على العدد قولهم : كان القوم وتراً فشفعتهم وكانوا شفعاً فوترتهم وتراً ، الوَتر والوِتر وقد أوترت ووترت من الوتر ، والخسا الفرد والزكا الزوج وتخاسى الرجلان تلاعبا بالزوج والفرد وثلثت القوم أثلثهم اذا كنت لهم ثالثاً وربعتُهم فخمستهم الى عشرتهم اذا كنتُ عاشرهم وثلثتهم اذا أخذت ثُلثَ اموالهم أيضاً وكذا ربعتهم الى العشر مثله الا ان المضارع في العدد مكسور العين وفي القسمة (اي الكسر) مفتوح العين الا يربع ويسبع ويتسع فهي مفتوحة العين في الحدين .

ويقال كانوا ثلاثة فأربعوا اي صاروا اربعة الى اعشروا اي صاروا عشرة . ولم يقولوا اربعتُهم وأربعَهم فلانٌ — ابن السكيت — .

ويقال عندي عشرة فأحِّدهن وآحِدهن اي صيرهن احد عشر وحكى بعضهم فأحدُهُن .

وقال في (ص ١٣٠ المخصص ج ٧) : « الأستار اربعة من كل عدد قال جرير :

« ان الفرزدق والبعيث وأمه وابا البعيث لشر ما أستار »

والنواة خمسة والأوقية أربعون والنَّشُّ عشرون والفَرَق ستة عشر والشيع مقدار من العدد تقول أقمت شهرا او شيع شهر ومعه مائة رجل او شيع ذلك وآتيك غداً او شيعه — اي بعده — ولا يستعمل الا في الواحد (اي المفرد)] .

يتبع : نعيم الحمصي

العامي والفصيح (١)

— ٨ —

رأس — ويقولون وُلد فلانٌ على رأس اخيه اي بعده دون فاصل بين ولادتيهما بولد آخر والأولاد جاؤوا «أرْوِسَةً» اي يتلو بعضهم بعضاً في الولادة وفي اللغة كما في مستدرك التاج عن ابن الأعرابي «يقال ولدت ولدها على رأس واحد اي بعضهم اثر بعض وكذلك ولد ثلاثة اولاد رأساً على رأس اي واحداً اثر واحد» وكأنه افاد التعاقب وعدم تخلل فاصل ثم استعيرت منه الى المجيء توّاً بلا فاصل يقال جاء من البلد الفلاني رأساً الى هنا اي من غير ان يعوج · ويقولون لا اقبله اصلاً ورأساً اي دون ان يتخلل عدم القبول تردد ويقولون لمثل القثاء والبطيخ اذا جاء في أخريات موسمه ولم يتم نضجه هو رأس قُرط وهو في الفصيح «القُحُّ» قال في اللسان عن الليث القحُّ البطيخ آخر ما يكون وقد قحَّ يقُحُّ قحُوحةً ولكن الأزهري خطّأه في تفسيره فقال ان صوابه الفِجُّ بالفاء والجيم يقال ذلك لكل ثمر لم ينضج وأما القح فهو اصل الشيء وخالصه ·

ر ب خ — ويقولون رَبَخَ اذا استرخى وقعد الى الأرض من اعياء · وربخت الدجاجة على بيضها اي حضنته وبركت عليه وهو يفيد معنى الاسترخاء وفي اللغة اربخ الماشي في الرمل اذا استرخى وقال ابو الهيثم في علّة تسميتهم جبلاً بزرود «مُرْبِخاً» لأنه يُربخ المشيُ فيه من التعب والمشقة وجاء في كتب الأئمة رَبَخت رَبخاً وربوخاً ورَباخاً اذا استرخت وفترت من الكلال ·

---

(١) تأخر ورودها

ر ب ص — ويقولون ربَّص الأرض اذا روّاها بالسقي قبل الحرث وقالت العرب في هذا المعنى بَرَص الأرضَ المطر وقد نقل الصاغاني عن ابن عباد ان التبريص ان يصيب المطرُ الأرضَ قبل ان تحرث وقالوا بَرْبصَ الأرض اذا أرسل فيها الماء لتجود وقالوا بغرها يبغَرُها بغراً وسقاها غبّاً روّياً وفي التاج بُغِرت الأرض اصابها المطر فليَّنها قبل ان تحرث وقالوا للمعنى نفسه تحرّها فربَّص الأرض العامية جاءت من بَرَّصها على القلب او من بربصها بشيء من التجوز

ر ب ط — وتسمي العامة الحجارة الضخام التي توضع في سافات البناء لتربط بعضها ببعض وتوضع في مآخير الطي لتربطه بالساف وتسمى « المرابط » وهو تسمية باعتبار الوصف وفي اللغة تسمى الحوامي واحدتها حامية لأنها تحمي البناء من السقوط قال ابن شميل الحوامي عظام الحجارة وثقالها وأيضاً صخور عظام تجعل في مآخير الطيّ فاستعمال العامة للمرابط لا يخرج عن حدّ الفصاحة .

ر ب و — والرُبوية عند العامة ورم في المفصل وتعقد يكون من ألم وجيع فيما يتصل بذلك المفصل واكثر ما يكون من الم الرجل في اصل الفخذ وهي من ربا يربو اذا زاد ونما ويقال ربا السويق اذا صبَّ عليه الماء فانتفخ . وهو في هذه الربوية انتفاخ ووجع في غير مكان الوجع يكون من تأثيره .

او هي الأُربيَّة قال في الأساس « ونقصت اربيتاه وهما لحمتان في اصل الفخذ يتعقَّدان من ألم الرجل » وانما الاربية أصل الفخذ فسمي به هذا التعقد او هذا الورم من تسمية الشيء باسم محله .

ر ت ء — ويقولون رتأ فلان بالمكان اي استقرّ وأقام وبعضهم يقول فيها « رتق » بالقاف ظناً انها من بنات القاف او تقصراً في الكلام وسبيلها في ذلك سبيل « حمي » اذا غضب فيبدلونها قافاً والفصيح فيها الهمزة وفي القاموس والتاج ورَتأ في المكان أقام .

ر ج د — رَجَد . الرَّجيدة

ويقولون رجدنا الحصيد اي نقلناه من الحقل الى البيدر والاسم الرجيدة وهو استعمال فصيح صحيح ولكن الاسم في الفصيح الرِجادة ٠

ر ج ع — الرَجعي والمرتجع ٠ الراجعة

ويسمون الثمر الذي يخرجه الشجر بعد ثمره الأوَّل «الرجعي» وهو في اللغة الفصحى الخِلفَة وفسروها بانها ثمر يخرج بعد ثمر وهو ايضاً «اللَّحَق» محركة وتسكَّن وهو كل شيء لحق شيئاً وكل ثمرة تجيء بعد ثمرة ٠

ويسمون دابة المكاري اذا انقضى سفرها واريد رجوعها الى مكانها بكراء جديد «مرتجعة» واسمها في الفصيح الرجيعة والرجيع ج رجائع ويسمون ما يخرج به البنّاء من الحائط من وسطه الى داخل البِناء كالدعامة له ليقيه من السقوط «الراجعة» لأنها رجعت في امتداد البناء عن سطره وكانت تسمى زمن الدولة العباسية «الدستاهيجات» وهذه دخيلة ويراد بها الدعائم التي تبنى بجوار الأسوار لتقويتها، وأرجح انها المعروفة اليوم باسم البغلة ثم اطلقوا الاستاهيجات على ما يخرج من الحائط في وسط البناء ليقيه من السقوط وهذه هي الراجعة عند العامة (راجع ب غ ل) ٠

ر ج ل — المَرْجَلة والمراجل

وقالوا أظهر فلان مَرْجلةً وهو ابو المراجل اي صاحب رجولة وقوة والمرأة مرجلانية اذا كانت تتشبه بالرجال في القوة والشدة وفعلها عندهم تمرجل وذلك على حدّ قول الفصحاء تمسكن وتمندل على طريقة توهم الاصالة ٠

وجاء في مستدرك التاج وامرأة مرجلانية تتشبَّه بالرجال في الهيئة والكلام ٠ والظاهر أنها مولَّدة ٠ وتسمى عند العرب الرَجُلَة قال الراغب ويقال للمرأة الرَجُلَة اذا كانت متشبهة بالرجل في بعض احوالها قال صاحب التاج ويؤيده الحديث ان عائشة (ام المؤمنين) كانت رَجُلَة الرأي اي كان رأيها رأي الرجال

ر خ خ الرخّة من المطر — وقالوا رخّة مطر او رخة من المطر وهي عند

العامليين الطش من المطر الخفيف القصير الأمد وفصيحها النخة بالنون مكان الراء قال في القاموس النخة المطر الخفيف والحرفان يتعاقبان في الفصيح كما في قولهم تنخش وترخش بمعنى تحرك وقالوا تفكر وتفكن بمعنى واحد وطنفس الرجل وطرفس بمعنى لبس الثياب الكثيرة ورمى المال ونما اذا زاد .

وربما كانت من الرخخ وهو السهولة واللين فقد قالوا عيش رخاخ اي لين وأرض رخاخ ورخاء اي واسعة لينة والمطرة الخفيفة لا شدة فيها فهي لينة وهي رخة

ر خ ف الرَخْف — وقالوا رخّف العجين اذا ارخاه والعجينُ : رَخْف ورَخِف وهو في اللغة كذلك قال العرب رخف يَرْخُف رَخْفاً العجين استرخى وارخفه اذا اكثر ماءه فهي على هذا فصيحة صحيحة .

ر د ح رَدَح الجمل — سمعت جمَّالة الشام في الركب الشامي بطريق الحج يقولون رَدَح الجمل وذلك انه كان اذا مشى نفض قوائمه وضرب بها الأرض وذلك من داء فيه وهذا الداء يسمى في اللغة الحَرَد قال في اللسان الحَرَدُ داء في القوائم اذا مشى البعير نفض قوائمه فضرب بهن الأرض كثيراً وبعير أحرد يخبط بيديه اذا مشى خِلقةً وقال الجوهري بعير احرد وناقة حرداء والظاهر ان اصل المعنى عدم الانبساط ومنه كان الغضب حَرَداً

والعامة قالت رَدَح الجمل على القلب وهو معروف في الفصيح .

ر ش م الرَشمة — قال صاحب التاج الرشمة ما يوضع على فم الفرس عامي ولم يذكر الزبيدي مأخذَها العامي ولا تزال معروفة عند العامة الى اليوم ولكنها لا تسمى رشمة حتى تكون ذات زنجير من حديد فان لم تكن كذلك فهي ليست برشمة وانما توضع فوق انف الفرس ويحيط زنجيرها بلحييه وأرى انها مأخوذة من الرُشمة في وجه الضبع لسواد فيه قال في اللسان « والرُشمة سواد في وجه الضبع » لأنها انما تكون فوق الأنف ولون الحديد اسود فهي بوضعها هذا تشبه رُشمة الضبع .

او تكون من الرُثمة بالثاء المثلثة قال في اللسان الرُثمة بياض في طرف أنف الفرس وقيل هي في جحفلة الفرس العليا وقيل هو كل بياض قلَّ أو كثر اذا أصاب الجحفلة العليا الى ان يبلغ المرسن وقيل هو البياض في الأنف

وزنجير الرشمة يؤثر غالباً في جلدة الأنف فيسحجها باحتكاكه فيها وينبت اثر هذا الاحتكاك شعر أبيض فعلى الوجه الأول سميت لسواد الزنجير وعلى الثاني بأثره وتبدل الثاء شيناً في الفصيح مثل ثلغه وشلغه اذا شدخ رأسه والحرفان يتعاقبان أيضاً مثل لطثه ولطشه اذا ضربه بعرض اليد ٠

ر غ ث الرُغاثة — الرُغاثة وتكسر عند العامة هي الرَغوث في الفصيح ومعناها المرضعة من الشاء أو كل مرضعة قال الشاعر:

فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثاً حول قبتنا تدور

ر ف ش الرَفش — الرفش هو مذراة مصمتة (بلا أصابع) يرفع بها التراب على الأعضاد والفلجان (راجع ذ ر و) ويجرف بها القمح وهو في الفصيح «الجَنَبُ» قال في اللسان والجَنَب شبحة مثل المشط الا انها بلا أسنان وطرفها الأسفل مرهف يرفع بها التراب على الأعضاد والفلجان وقد جَنَبَ الأرض بالجنب وهو المنساخ أيضاً وفي اللسان والمنساخ شيء يرفع به التراب ويذرَّى به ٠ أقول والرفش أيضاً له وجه صحيح في اللغة قال صاحب اللسان رفش البُرَّ يرفشه جرفه والرفش ما رفش به ويقال للمجرَف الرفش ومجراف السفينة الرفش قال الليث الرَفش والرُفش لغة سوادية وهي المجرفة يُرفش بها البر رفشاً وقال شمر الأرفش العريض الأذن من الناس شبه بالرفش وهي المجرفة من الخشب التي يجرف بها الطعام قلت وسمت العامة لوح الكتف بالرفش لأنه يشبه هذه المجرفة فأنت ترى من كلام الأئمة ان الرفش صحيح وإن كان سوادياً ٠

ر ف ع ثوب رفيع — تقول العامة ثوب رفيع ونسيج رفيع وخيط رفيع والجمع عندهم رِفاع ويراد به الدقيق (ضد الغليظ) وقد استعملها صاحب

القاموس في مادة ب ن د ق لهذا المعنى فقال نقلاً عن الصاغاني والبندقي ثوب رفيع · واستعملها صاحب ادب الكاتب والحريري وقال في شفاء الغليل ولعله مجاز وفي مجاز الأساس ثوب رفيع ومرتفع ولم يفسر والظاهر انه يريد هذا المعنى وفي المصباح ورفُعَ الثوب فهو رفيع خلاف غلظ ·

ر ق د الترقيد · التدريخ — الترقيد في عامية مصر وجبل عامل هو التدريخ في دمشق وما اليها وهو أن تأخذ غصناً في شجرة وتطمره في الأرض وهو متصل بأمّه ليضرب عروقاً في الأرض ويصبح غراساً مستقلاً بنفسه واني ارى ان عامية مصر اقرب الى الصحيح وكأنهم أخذوها من الرقاد وهو النوم والمرقد المضجع وفي التنزيل « من بعثنا من مرقدنا » واطلاق النوم او الرقاد على غير الحيوان يكون من المجاز وقد جاء في كلامهم رقدت السوق اي نامت كما في مستدرك التاج ودفنُ الغصنِ ارقادٌ له واضجاع واما التدريخ فان صح انها عربية فتكون من التدريق وهو التليين والغصن يُلانُ اذا اريد عكسه ودفنه لكي ينثني ويطاوع

والفصيح الوارد في اللغة لهذا المعنى هو العَكيس قال في اللسان « والعكيس القضيب من الحَبلة يعكس تحت الأرض الى موضع آخر » والعكيس فعيل بمعنى مفعول وهو من العكس وهو القلب والرد وعكس الشيء جذبه الى الأرض كما في اللسان وفاعله يأخذ الغصن ويثنيه تحت الأرض ·

ر ق د رقّد الزرع — وقالت العامة رقّد الزرع اذا انثنى بعضه على بعض والتبد قصبه بالأرض وهو مستعار من الرقاد أيضاً

وفي اللغة كَدَأ وكَدِيَ يكْدَأ كدأً وكُدُوءاً النبت : اصابه البرد فلبدّه في الأرض اي جعل بعضه فوق بعض ·

ر ق ع رَقَعَه بالكف او بالعصا — وقالوا رَقَعَه بالعصا او بالكف اذا ضربه وجاء في اللغة رقَعَه بسوطه او بكفه اذا ضربه فالعامي صحيح فصيح وتجوزت العامة فقالت رقَعَه جواباً اذا اصاب منه ما يشفي بهذا الجواب غليله ·

ر ك س الرَكْس - الرَكْسُ عند العامليين قضبان دقيقة تُصف متلاصقة متضامة فوق خشب السقف معارضة لامتداد الخشب لتمنع من سقوط التراب الذي يترّب به ويلقى عليه

وفي اللغة الرِكْس الجسد . وبناء رَكس رُمَّ بعد الهدم . والركس ردُّ الشيء مقلوباً . وجاءت ترتكس بمعنى تزدحم وفي الحديث الفتن ترتكس بين جراثيم العرب اي تزدحم وأرى انها ان لم تكن دخيلة فهي من ترتكس بمعنى تزدحم لأنها تُضَمّ متلاصقة شديداً او من الركس وهو رَدُّ الشيء مقلوباً لوضعها معارضة

ر ك ك ركّ عليه الرَكّة — ويقولون ركَّ عليه اذا أثقله او ألحَّ عليه بأكثر مما يُطيق او باكثر ما يصح ان يكون وهو يتركّ عليه اي يحمله شيئاً من اثقاله وفي اللغة ركَّ يركّ ركاً عليه الحمل : ضاعفه واثقله به وركّاه عليه بمعناه وهو من تحويل التضعيف فالاستعمال العامي صحيح

واما يتركّى عليه ويتدكّى وهما بمعنى واحد عندهم غالباً فهي من هذا او من يتوكأ والركّة عند عامتنا ما يضعه البنّاء وراء الساف من طين وحجارة يسدُّ به الفروج في الساف ووراءه ليمسك به الساف ويتساوى سطحه فانما سموه بالركّة لأنه يُرَكُّ ويلبَّد بالدقّ ليتمكن في موضعه وهذه الركّة تسمى في اللغة الجماش

ر م ش الرَمْش - الرَمْش عند العامة تحريك أجفان العين وهو في اللغة ادارة عين المرأة بغمز الرجل كما جاء في لسان العرب (مادة هـ ج ل) وقال في مستدرك التاج رَمْشُ العين جفنها وقال ابن الاعرابي المرماش الذي يحرك عينيه عند النظر تحريكاً كثيراً وجمعه في التاج على مراش (وانما أتت الكثرة من الصيغة) فالرمش عند العامة للأجفان وفي الفصيح للعين والمعنيان يتلاقيان فيحلّ احدهما محل الآخر فيكون استعمال العامة لا يخرج عن حدّ الفصاحة .

ر ن خ رَنَّخ الثوب وتَرْنَّخ الجسم — والعامة تقول رنّخ الثوب ورنّخ الحبّ اذا نقعها بالماء لكي يلينا وفي اللغة رنّخه اذا ذلّله والترنيخ يطلق على

التذليل في الفصيح وقد قالوا رنّخ المهر اذا ذلّله ومن هنا صلح استعمال العامة على سبيل المجاز . وقالوا تَرْنَخ البَدن اذا اعتراه تراخٍ وفتور وفي الفصيح كما في القاموس رَنَخ رنوخًا اذا فتر فتوراً .

ر ه ف الرَّهَف — الرَهَف (محركة) عند العامة ضرب من عدو الخيل وفصيحه الخَبَب والعامي مأخوذ من الرَهْو وهو السير اللين مع دوامه وهو أيضاً السريع الخفيف والعامة أبدلت ، والواو والفاء يتعاقبان في الفصيح كالحرافة والحراوة في الطعم

او مأخوذ من الهرَف (على القلب) وهو العجلة وفي الرَهَف امراع في لين

ر ه ق ارتهق — ويقولون ارتهق فلان وهو مرهوق اذا فوجئ وعوجل بشيء لم يكن يترقبه فدهش ولم يدر كيف يصنع

وفي اللغة رَهِقه (كفرح) اذا غشيه ولحقه او دنا منه سواء أخذه او لم يأخذه كما في القاموس . وفي النهاية رَهقه بالكسر يَرْهَقُه بالفتح رهقًا اي غشيه والرهَق الجهل والحمق والمرهوق عند العامة الذي غشيه الشيء فدهش وحار في ما يصنع

ر ه ن الرَهْوَنة — الرَهْوَنة عندهم ضرب من عدو الخيل والبغال وهو سير لين مع اسراع فيه وهو في الفصيح الرَهْوجة وفسروها بانها ضرب من السير لين معرب رهوار وانما جاء الجيم لمكان التعريب كما في فيروز وفيروزج أو هي مولّدة من الرهوان وهو اللين الظهر في السير من البراذين .

والرهوان فاعل من رها يرهو رَهْواً اذا مشى مشيًا خفيفًا برفق قال القطامي :

يمشين رهواً فلا الاعجاز خاذلة ولا الصدور على الاعجاز تتكل

وقال في اللسان عن الأزهري قال العكلي المُرهي من الخيل الذي تراه كأنه لا يسرع فاذا طلب لم يدرك . قلت وهذا هو المعنى المراد بالرهونة عند العامة والفصيح في الرهونة الهملجة والرهوان الهملاج .

ر و ج ترويج العجين طحين الترويج — وقالوا روّج العجين اذا قدّره وقطعه أرغفةً متساوية المقدار وأرى انه من روّز الشيء بالزاي اذا قدّره وفي مستدرك التاج الرَّوْزُ التقدير كالترويز قال الشاعر :

«فروّزا الأمر الذي تروزان»

وطحين الترويج هو الدقيق الذي يفرش تحت العجين عند تقطيعه وخبزه ويسمى الترويجة ويسمى في الفصيح التُّوَبْنى قالوا وهي الدقيق الذي يفرش تحت قطعة العجين اذا سويت رغيفاً ويسمى أيضاً اللُّوافة وفسروها بأنها الدقيق يبسط على الخوان لئلا يلتصق العجين .

ر و ل الريْلة والمَرْيول — وعندهم الرَّيْلة لعاب الطفل والمريول ثوب يوضع على صدره ليقي ثوبه من الرَّيْلة وهو اسم مفعول من رال الصبي ريالاً اذا سال لعابه جاؤوا به من غير اعلال كما هي عادتهم في أمثاله وكأنهم قالوا مريول عليه فحذف الجار والمجرور لكثرة الاستعمال كما حذفوهما في المحذور وأصلها المحذور منه وربما سموه المملوك لأن مثله عادة يتخذ في ملابس الخَدَمة الذي كانوا فيما مضى من المماليك في الأغلب والرِيْلة العامية هي الرُّوال في الفصيح

وجاء في كلام العرب العِلْقة لهذا المريول او لما يشبهه قال في القاموس وشرحه والعلقة بهاء ثوب صغير وهو اول ثوب يتخذ للصبي نقله الصاغاني او قميص بلا كمين او ثوب يجاب اي يقطع ولا يخاط جانباه تلبسه الجارية مثل الصدرة تتبذل به وهو الى الحجزة وقال ابن بري العِلْقَة الشَوْذَر وفسر الشوذَر اهل اللغة بانه برد يشق ثم تلقيه المرأة في عنقها بلا كمين ولا جيب اي انه مقور في وسطه بحيث تدخل المرأة رأسها فيه وتسدل سائره على جسدها والشوذر في الأصل معرب چادر .

النبطية : (جبل عاملة) احمد رضا

مخطوطات ومطبوعات

المعجم المدرسي

« تأليف الأستاذ زين العابدين التونسي طبع بالزنكوغراف (كليشيات) »

« في المطبعة الهاشمية بدمشق في (٨٠٠) صفحة بالقطع الصغير »

« سنة ١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م »

اسم هذا المعجم يدل على موضوعه كما يدل على غرض مؤلفه منه وهو غرض شريف شدّ ما تطالّ مديرو المدارس واساتذتها اليه حتى وفق مؤلفه الفاضل الأستاذ زين العابدين التونسي الى تأليفه فأبرزه بهذا الشكل الأنيق والوضع المعجب ·

والمعاجم الصغيرة على لطافة حجمها · وقلة مادتها · وكون موضوعها مما يحتاج اليه صغار الطلاب نرى الإقدام على تأليفها موضع تثاقل وتردد طويل في نفوس اساتذة الأدب وجهابذة اللغة · يدلك على هذا قول المؤلف في مقدمة معجمه : انه منذ ثلاثين عاماً اشتغل في تدريس اللغة العربية وكان في خلالها يشعر بحاجة الطلاب الى هذا المعجم حتى عقد النية اخيراً على القيام بتأليفه ففعل ·

وقد اصاب لعمري في ما قال من امر طول تردده وتهيبه للعمل لأن الموضوع على قلته ويسر أمره وسهولة معالجته في بادئ الرأي كما قلنا هو من الصعوبة بمكان : إذ أن المقدم على وضعه مضطر الى التفكير في أمور : أهمها بل أجدرها بالحيرة قضية اختيار الألفاظ اللغوية التي ينبغي ان يودعها معجمه ويكون ُشداة الطلاب في امسّ الحاجة اليها · وعندي ان من يتصدى لوضع المعاجم الضخمة ذوات المجلدات العدة يسهل عليه امرها بأشدّ ممن يتصدى لوضع معجم صغير جيبي (نسبة الى الجيب كما وصفه المؤلف) لأن المؤلف الأول

لا يحتاج الى فضل تفكير وفرط تأمل في الانتقاء والاختيار بخلاف الثاني المضطر اليها . واني لأرحمه وأرثي له من نقد الناقدين اكثر مما ارثي الاول . عدا الصعوبة الجلىّ التي يعانيها مؤلف «معجم الجيب» في تحديد معنى اللفظة اللغوية وضبط قيودها ومواضع استعمالها فان عبارات اصحاب المعاجم تختلف جد الاختلاف في ذلك واحياناً تكون متضاربة متناقضة واحياناً مبهمة غامضة تحتاج الى ايضاح وتأويل وتوجيه وتحليل .

ونرجو ان يكون مؤلف معجمنا الجديد قد وفق الى حسن الانتقاء والاختيار والى الدقة في تحديد معاني الكلمات طبقاً لمقدرة الطلاب وعلى قدر حاجتهم . على انه لا يعلم هذا تماماً الا بعد بضع سنوات يكون الأساتذة ومهرة المعلمين فيها قد تداولوا معجمه وتصفحوه مع تلامذتهم مراجعين مستفيدين واذ ذاك يسمع قولهم ويقبل حكمهم فيما اذا كان (المعجم المدرسي) استوفى حاجتهم وأنالهم طلبتهم أو لا ؟

ومهما يكن فإن المؤلف قد بذل جهد الطاقة وقام بما وجب عليه وسد فراغاً يرقبه الفضلاء منذ أزمان فله على ذلك مزيد الشكر — كما ان هفواته ينبغي ان تقابل بجميل العذر .

وقد اعتنى المؤلف أعظم عناية بجعل معجمه لطيف الحجم حسن الشكل متقن الطبع جميل التجليد متين الورق على رقته حتى بلغ من ذلك الغاية المتمناة واصبح معجمه يتلاءم مع رغبة الطلاب وحاجة التلاميذ . واهم من ذلك كله انه لم يطبع معجمه على الطريقة المعتادة في جمع الكلمات بالحروف المعدنية وانما هو اتخذ لمعجمه وتمثيل صفحاته الكليشهات الزنكوغرافية ـ وقد سماها بعضهم الرواشم ـ وزاد المعجم جمالاً وطرافة تلك المقدمة التي دبجتها يراعة زميلنا الاستاذ خليل بك مردم بك فإنها على وجازة عبارتها قد جلّت في فائدتها وروعة بلاغتها .

المغربي

معجم الألفاظ العامية

في اللهجة اللبنانية

(تأليف الدكتور انيس فريحه طبع في جونيه (لبنان) في ١٩٥ صفحة)

هذا الموضوع موضوع البحث في الألفاظ العامية عالجه كثيرون من أدباء العرب في مصر والشام منذ حين فألفوا فيه الرسائل . وكتبوا المقالات : كلٌ فيما يخص قومه ويرجع الى لهجة أهل بلده . ومن البديهي ان تكون فائدة ما كُتب وأُلف في هذا الشأن مقصورة في الغالب على اهل البلد الذي كتب الكتاب بلجتهم .

ويظهر أن الدكتور فريحه احتفل بمعجمه أشد مما احتفلوا . وجمع من شوارد الفاظ العامة أكثر مما جمعوا . وفسَّر وحلَّل هذه الألفاظ وعمل على إرجاع بعضها الى اللغات السامية (وهو استاذها في الجامعة الأميركية) بأشد مما فسَّروا وحلَّلو وأرجعوا ولكنه هل وفق الى الاكتفاء بمقدار الحاجة في هذا الموضوع كما وُفقوا ؟

كأن المؤلف شعر بخطورة هذا الاستفهام ولذا سمعناه يقول في مقدمة معجمه (ونحن لا يخامرنا أدنى شك في أن كثيراً من آرائنا وتعليلاتنا في ردّ الألفاظ الى أصلها خاطئة ؟) ثم عاد الى هذا الاعتراف المتواضع في آخر المقدمة فقال : (ونحن متأكدون أننا أخطأنا في كثير من التعابير والملاحظات اللغوية) .

اعترافه هذا خفَّف عني عبء مناقشته في آرائه وتفاسيره في كثير من المواطن . وهو بعد هذا كله يقول انه مزمع ان يؤلف قاموساً عربياً يودعه هذه الألفاظ العامية التي عللها وفسرها وارتاب فيها فقد قال (وغايتنا من هذه المجموعة أن نضع أمام الناس نموذجاً لدراسات اللهجات العامية علَّ في هذا حافزاً لهم (!!) وعندما تكون لدينا مجموعات عدة نستطيع ان نجعل منها قاموساً علمياً (!!) يجمع شتات اللغة العربية الحيّة (!!)) .

فالغاية اذن من جمع الألفاظ اللبنانية ومن هذا القاموس وما وضع على غراره إحياء اللهجة العامية اللبنانية وتسهيل أمرها وتوسيع نطاق التكلم بها بين اللبنانيين : فتصبح لغتهم الحية العتيدة . وهذا بالطبع يؤدي على تمادي الأيام وتعاقب الأجيال الى جعل اللبنانيين لا يفهمون اللغة التي يتكلم بها اخوانهم العرب في سائر الأقطار . ونحن على شك في أن يتمّ للمؤلف ما أراد . او يصل الى الغاية التي يرمي اليها ما دام في لبنان نفسه وفي سائر الأقطار العربية المحيطة به الوف الالوف من المصنفات والمجلات والصحف والنشريات المختلفة المكتوبة باللغة الفصحى تترامى على أيدي اللبنانيين وتحت مواقع ابصارهم فيقرأونها بلهف وشوق . ولا جرم ان هذا ضمانة وثيقة على ان اللغة العربية الفصحى التي كُتبت بها تلك المصنفات والمجلات والصحف ستكون هي اللغة المشتركة بين اللبنانيين وسائر اخوانهم العرب في سائر الأقطار كما تكون الآصرة المتينة تجمع بينهم وتؤلف بين عقولهم وتفاكيرهم وسائر مقوّمات اجتماعهم .

وقد لاحظت (وانا لبناني من طرابلس) أن في المئة نحو اربعين من الألفاظ التي جمعها المؤلف في معجمه انما يعرفها أهل قريته (رأس المتن) وحدهم

خذ مثلاً لذلك ما جاء في حرف الزاي ص ٧٣ .

(زَفّ) الرجل صاحبه وبَّخه

(الزفّة) التوبيخ

(زَقَرَه) نظره بغضب وتهديد

(تزاقر) الرجلان نظر أحدهما الآخر بغضب وتهديد

(الزقرة) تقطيب الحاجبين

(زَقزَقَ) الأمتعة نقلها من مكان الى آخر

(زقّ) الأمتعة كذلك

(زقّت) الرجل زلقت

(الزِقّ) الوقوع الى الأرض بسبب الانزلاق
(زَقَل) الأمتعة نقلها من مكان الى آخر
(زَقَم) الطائر فرخه أطعمه
(زقَّم) كذلك
(لقمة الزقوم) خبزة يُرقَى عليهـا ويُطعمها المتهم فاذا غصّ بها ثبت إجرامه والا كان بريئاً
(زَقوَرَ) نظر بغضب وهي أبلغ من زقر
(زِكِتّ) كلمة شتم
(زِكرة) جلد شاة الخ [الزق . الظَرْف]
(زَكرة الرجل) مُمرّته

هذا عمود من صفحات المعجم اشتمل على ١٧ لفظة ينطق بها لبنانيو (المتن) ولا يعرف منها لبنانيو طرابلس الا أربع او خمس كلمات .

ففائدة الكتاب مقصورة اذن على مقاطعة المتن وما حواليها . وقال المؤلف انه كما التقط الفاظه من أهل بلده التقطها أيضاً من محيط المحيط ومعجم (دوزي) ومصنفات (الفغالي) . وقدّم الى قراء معجمه (الفغالي) هذا فقال ما نصه :

(هو المونسنيور ميشال الفغالي أستاذ اللغة العربية في معهد بوردو للمستعمرات الذي له في لهجة شمال لبنان المارونية دروس قيمه أكسبته شهرة بين المستشرقين . ومن كتبه (أي في موضوع اللهجة اللبنانية) ثلاث كتب هي كذا وكذا) .

فمن هنا يتضح أن سيكون نصيب كبير من فائدة هذا الكتاب لرجال الاستعمار المشتغلين في السياسة الشرقية من حيث أنه يؤدي الى العمل على تكوين أمم جديدة في الشرق العربي ولغات جديدة منبعثة من اللغة العربية الأم كما انبعثت لغات الأمم اللاتينية من اللغة اللاتينية الأم فتولد من جراء ذلك بضع أمم اوروبية .

وإن أبى القراء الا ان نمثل لهم بشيء من التفاسير والتعاليل التي اعترف صاحب المعجم بأنه أخطأ فيها فلنقتصر على ما يلي :

لا يخفى ان اللغة العربية الدارجة هي في أصلها اللغة العربية الفصحى وقد تناول العامة الفاظاً كثيرةً منها بالتحريف والتغيير والتبديل فقالوا مثلاً في (جاء) (إجا) وفي (بودّي) (بَدّي) الخ هذه هي ألفاظهم الجديرة بنسبتها اليهم أما ما جاء من الفاظهم على أصله وصيغته الفصيحة فلا معنى لتتبعه وحشره في الفاظهم كما فعل مؤلف المعجم مثاله قوله في حرف الزاي (زكرة : جلد شاة أو عنزة يدبغ ويوضع فيه اللبن أو الزيت او السمن) اه وكلمة (زكرة) عربية فصيحة فلا معنى لعدها في الفاظ العامة ولو صح ان نعدها لصح لنا ان نعدّ من الفاظهم أيضاً (الأرض) و (السماء) و (الخبز) و (الماء) . وجاء في الشعر القديم :

(ليت شعري متى تخبّ بي النـّاقة بين العُذيب فالصَّيبُّون)
(مُحقبًا ذكرة وخبز رقاق وحباقاً وقطعةً من نون)

وأخطأ في تفسير (الزكرة) مذ قال جلد (عنزة) بالتأنيث اذ أن (العنز) هي الانثى من المعز وهي التي يتخذ من جلدها (الزكرة) فلا معنى لتأنيثها بالتاء أما (العنزة) بالتاء فاسم لحيوانات اخرى . ومن هنا سبق الوهم لصاحب أقرب الموارد فقال (والعنزة العنز) . وكلمة (زق) أو (ظرف) مشهورة المعنى وهي كلمة واحدة تغني عن قوله (جلد شاة او عنزة يدبغ ويوضع فيه اللبن) وقوله (أو الزيت او السمن) كان يستغني عنهما لو قال (كاللبن ونحوه) .

على ان أهل طرابلس يقولون (زكرة قريشة أو زكرة جبن) خلافاً لأهل المتن فلو قال المؤلف (اللبن ونحوه) لكان أقوم . وإنما أطلنا الكلام في هذا تصديقاً لقول المؤلف الفاضل إنه أخطأ في كثير من تفاسيره وآرائه وملاحظاته اللغوية التي تضخم معجمه بها .

ومن أمثلة عدم الدقة في التفسير قول المؤلف (التمّ الناس) أي اجتمعوا وتجمهروا . وهو حسن لكنه علق على هذا قائلاً (ويجب ان تكون التأم من لأم لا من لمّ اه) يريد ان يقول ان التمّ محرّفة من فعل التأم لا من فعل لمّ وهذا بعيد عن الصواب إذ ان (التمّ) مطاوع لفعل (لمّ) بمعنى جمع يقال لمّهم فالتموا اي جمعهم فاجتمعوا . وهو من الفصيح الذي قلنا انه ما كان ينبغي ذكره في موضوع (ألفاظ العامة) وانما يذكر في موضوع عنوانه (الكلمات الفصيحة في ألفاظ العامة) وفعل (التأم) القوم قليل الاستعمال في معنى اجتمعوا بخلاف فعل (التمّ) ومن أمثلة التسامح وعدم الدقة قوله في تفسير (حَلَشَ الحشيش) (انه بمعنى قطعه وجمعه وحلشَ الشعر أمسك به وجره اه) ولعمري ان المؤلف لم يصب في تفسير المعنيين لا المعنى الحقيقي ولا المعنى المجازي . أما تفسير حلشَ بالمعنى الحقيقي فهو انتزاع الحشيش من منبته بعنف ويكون هذا الحلش باليد بدليل ان دوزي في معجمه ترجمه بقوله Arracher ومعناه القلع والنتش باليد اما القطع (Couper) فيكون بنحو منجل ويسمى الحصاد . ولا أظن ان الحلش يكون بمعنى جمعَ الحشيش فلعل هذا الاستعمال خاص بمقاطعة المتن . هذا تفسير الحلش بمعناه الحقيقي أما الحلش بالمعنى المجازي فيكون بنتف شعر اللحية غالباً لا نتف مطلق شعر وقد أحسن العلامة (دوزي) مذ مثّل للمعنى المجازي بقوله (بطرس حَلشَ دقن حنا) وكل لبناني يفهم من هذا القول أن بطرس نَتفَ خصلاً من دقن حنا لا أنه أمسك بها وجرّه منها فقط .

المغربي

عشائر الشام

للأستاذ وصفي زكريا

الجزء الأول

هذا كتاب من أحفل الكتب في موضوعها وأمتعها . « يبحث في جغرافية بادية الشام وتاريخها وعمرانها والأخلاق والعادات والشرائع في المجتمع البدوي . وأنساب العشائر المتبدية والمتحضرة . وأوصافها وأخبارها في كل محافظة وقضاء » .

ذكر المؤلف السبب الذي من اجله وضع كتابه فقال : « ... قام بعض الفضلاء في العراق ومصر وجنوبي الشام « فلسطين وشرقي الأردن » ممن سنذكر اسماءهم بقسط محمود في هذا الموضوع ، الا ان بحث كل منهم ظل مقصوراً في بلاده . أما شمالي الشام وأخص بالذكر المدن المجاورة للبادية والمتعاملة مع البدو كدمشق وحمص وحماه وحلب ودير الزور ، فقد اعرض ادباؤها وكتابها عن هذه الأبحاث اعراضاً طويلاً ، فظلت مجهولة كأن البدو من غير ملة ولغة وسابقة عنهم .. »

وقال : ان البدو عندنا ثلاث مئة الف « وهم جديرون بكل دراسة وعناية لأن لهم خطراً وشأناً كبيرين في مجتمعنا ومعاشنا من قبل ومن بعد . فكل السمون وأكثر اللحوم التي نأكلها ، والأصواف التي ننسجها ، والمطايا التي نركبها منهم . وقسم كبير من سكان المدن الشامية التي عددناها يعتمد في تجارته ومرتزقه من الماشية ومنتوجاتها على شركائه وعشرائه من هؤلاء البدو . كما ان مقداراً غير يسير من وارد بيت المال يتألف مما يدفعه البدو من ضرائب الأغنام والإبل . هذا الى ان لهم ممثلين معتبرين في مجلسنا النيابي الشامي ورؤساء اجلاء يتقاضون منحاً سنوية من خزانة الدولة نراهم في سياراتهم ذاهبين آيبين لا ينقطعون عن غشيان العواصم والحواضر ومراجعة الدوائر لحل مسائلهم ومشاكلهم العشائرية التي لا يعرف اكثرنا شيئاً عنها ... »

وفي الكتاب تنويه بما كان للعرب الأولين من عناية بالبدو : حياتهم ، وتاريخهم ، وأشعارهم ، ونوادرهم وغير ذلك . وفيه اشارة الى من كتب عن البدو من المتأخرين من كتاب العرب . ثم فيه تنويه خاص بعمل الغربيين والمستشرقين في هذا الموضوع كيف عالجوه وعنوا به ، وكيف أقام بينهم فريق منهم : « تعود عاداتهم وتخلق اخلاقهم حتى جاءت دراسته عنهم بعد تمحيص وتدبر بحيث اصبحنا نحن العرب — اذا كتبنا عن الأعراب وهم اخواننا في العرق والدم ، وروابط اللغة والدين عالة على هؤلاء الغربيين نأخذ عنهم ، ونستعين بهم حتى في أخص شؤوننا . »

وفصل الأستاذ في كتابه جميع هذه الأبحاث التي اشار اليها — تفصيلاً كاملاً ، ووفاها حقها من كل الوجوه ، بعبارة صحيحة فصيحة . فأصبح كتابه يعد في المراجع المعتمدة في دراسة أحوال البدو والبداوة وفي تعرف مواطنهم وشؤونهم وختم ختامه ببحث ممتع في « تحضير العشائر » فنشكر للمؤلف جهده في اخراج هذا الكتاب ، الذي نحن في حاجة ماسة اليه .

عارف النكدي

القضايا الاقتصادية الكبرى

في سورية ولبنان

وضعه الأستاذ منير الشريف

للأستاذ المؤلف همة لا تعرف الكلل في تأليف الكتب المفيدة واخراجها . فقد بلغت مؤلفاته اثنين وعشرين مؤلفاً طبع منها ستة ، وباقيها تحت الطبع . وأكثرها يتناول الاقتصاد ، أو ما يتصل به ؛ وهو الموضوع الذي انصرف اليه المؤلف فبرع فيه . .

وهذا الكتاب يبحث في : « جغرافية البلاد : ـ سورية ولبنان ـ وثروة الأمة ودخلها ، والزراعة والخراج ، والماشية ، وعرب البادية ، والانتاج الصناعي ،

والتجارة ، ووسائط النقل ، والصحة ، والمصايف ، والعلاقات بين سورية ولبنان »

وكلها من الأبحاث الحيوية التي تفتقر البلاد الى معرفتها ودراستها ليكون لها مستقبل زاهر يدفع عن أبنائها الفقر والبؤس .

والأبحاث التي عالجها المؤلف عززها بالجداول والأرقام مما يدل على سعة اطلاع المؤلف ، وطول باعه في هذه الأمور ، وصبره وجلده على جمعها والاحاطة بها يقول الأستاذ في مقدمة كتابه :

« الامة الضعيفة باقتصادياتها ؛ هي المنكودة في حياتها ، الشقية في عيشتها ، المعرضة لأخطار الاستعمار ، وقيود الاستثمار ، تتوجه اليها المهلكات من كثب ، فلا تستطيع التخلص من بوائقها ؛ وتهاجمها الحتوف في كل آن فتصرعها بسرعة ؛ لأنها هزيلة ، قد اضناها الفقر ، فلم تعد تتحمل تعاسة الدهر ، وهذا ما يقطع بين أبنائها أسباب الاخاء ، ويكون حائلاً بينها وبين الطمأنينة وقرار الأمن والراحة .

والأمة القوية باقتصادياتها ؛ هي القوية بارادتها وتفكيرها ، النشيطة في اعمالها ، التي جمعت كلمتها ، ونظمت أمورها ، واستثمرت منابع ثروتها ، وكثر مالها ، فتعلمت وعلمت ، وأصدرت واستوردت ، وصادقت الأمم القوية ، صداقة الند للند ، وتضامنت واياها على حسن الجوار ، وتوطيد المحبة ، والدفاع عن السيادة والحرية (كذا) .

والأمة التي لاتنهض بنفسها ، وتحسن اقتصادياتها : بجدها ، واجتهادها وأموالها ورجالها ، لا تفوز في معترك هذه الحياة لأن الغمرات المضنيات لا تنجلي لها ، الا بالعمل المجدي ، وبالعزائم القوية القومية . »

ويخلص من هذا الى الكلام عن الأمة (كذا) السورية اللبنانية وحالتها الاقتصادية ، وعن النظريات الاقتصادية عند الأمم الغربية ، والنظام الاقتصادي عند العرب . ثم ما كان بعد زوال ملكهم . ويرجع بعد هذا الى الأبحاث التي جعلها موضوع كتابه ، فيوفيها حقها : بحثاً وتنقيباً وتعليلاً .

فالشكر للمؤلف الفاضل على كتابه القيم .

ع . ن

كتاب الاشتقاق والتعريب

تأليف الأستاذ عبد القادر المغربي

عضو المجمع العلمي العربي

الطبعة الثانية : ١٣٦٦ — ١٩٤٧ في القاهرة

اللغة مرآة الأمة . تتجلى فيها جميع وجوهها في كل دور من أدوار حياتها التاريخية . فيحكم على أي أمة بانها كانت في أي عصر من العصور عالمة بالعلم الفلاني أو جاهلة به ، حضرية أو بدوية ، متمدنة أو متوحشة ، وعلى درجة رقيها وانحطاطها بما في لغتها الكلامية والكتابية من أسماء وأفعال تدل على الجواهر والأعيان والمعاني والأحداث . وخلوُّ اللغة العربية في العصور المتأخرة من المؤلفات في كثير من الموضوعات العلمية والفنية المعروفة عند الأمم الراقية المعاصرة لنا دليل على التأخر والانحطاط الذي نحن عليه والذي للاختلاف والجدل حول جواز استعمال الدخيل وتعريبه او عدمه نصيب كبير في استمراره مما أدى الى الاحجام عن نقل كثير من العلوم الحديثة الى اللغة العربية وبالتالي الى جعل تدريس هذه العلوم في جل الجامعات في البلاد العربية باللغات الأجنبية .

وقد جاء كتاب الاشتقاق والتعريب لمؤلفه الأستاذ السيد عبد القادر المغربي الذي كان وضعه سنة ١٩٠٨ وأعيد طبعه ثانية سنة ١٩٤٧ لما لقيه من رواج من قبل لجنة التأليف في القاهرة ، ملماً بما أضيف اليه من ملاحق ، بتاريخ هذه الحرب الجدلية التي كانت ولا تزال قائمة ما بين أنصار صيانة اللغة العربية من كل ما ليس منها وفيها وبين القائلين بصحة المعرب وإباحة استعماله . فكان فصل الخطاب في هذا الموضوع الحيوي .

وقد جاء في مقدمة الطبعة الثانية انه كان لزعيم مصر العظيم المغفور له سعد باشا زغلول فضل كبير في تنشيط المؤلف في المضي في كتاباته في موضوع التعريب والمعربات وان رأيه كان في جانبه كما كانت لصاحب المؤيد المرحوم

الشيخ علي يوسف يد طولى في حمل المؤلف على وضع هذا المصنف في موضوع حيوي نحن اليوم احوج ما نكون اليه في نهضتنا الحديثة .

بحث المؤلف في كتابه هذا في الطرق التي تؤدي الى نمو اللغة وتكاثر كلماتها . وأهمها الاشتقاق والقلب . والابدال . والنحت . ثم التعريب . وأتى بالأدلة المستقاة من تاريخ نشوء اللغة وتكونها ونموها على ان استعمال المعرَّب لا يحط من قدر فصاحة الكلام واستشهد على ذلك بما في القرآن الكريم والسنة الشريفة وما دخل في اللغة العربية من الكلمات المقتبسة في الجاهلية والاسلام . وهي كثيرة العدد مشترطاً في التعريب ردَّ الكلمة المعربة الى مناهج اللغة وأوزانها تحت رقابة مجمع لغوي كيلا تخرج اللغة عن صورتها وشكلها . مثبتاً ان التعريب قياسي وان المعرب عربي أو بمنزلته وانه فصيح لتوفر شروط البلاغة فيه . وقد تحققت أمنية المؤلف هذه اذ لم تأت سنه ١٩١٨ حتى أنشيء المجمع العلمي العربي بدمشق وسنة ١٩٣٤ حتى أنشيء مجمع فؤاد الأول للغة العربية بمصر وعين عضواً عاملاً في كليهما .

وقد بحث باسهاب في الكلمات التي أدخلت الى العربية من لغات الأمم الأخرى محصياً جلها ومرجعاً كلاً منها الى أصلها كاستبرق (فارسية) وقسطاس . وصراط (رومية) وارائك (حبشية) وسرادق (سريانية) وحصب (زنجية) وفوم (عبرية) ومشكاة (هندية) و كورد . والماس . ومسك . واستاذ . وتلميذ . وفلسفة . وبرنامج . وقانون . وصنم . وباذنجان . وتوت . وكعك الخ وهي تعد بالمئات .

ثم تطرق الى تعريب الأساليب فأيد القول بصحتها شريطة ان لا تكون مخالفة في تراكيبها لقواعد اللغة العربية. وانها أمر طبيعي يتعذر تجنبه والاحتراز منه . مستشهداً بالأساليب الأعجمية التي دخلت في اللغة العربية بالعهد الجاهلي والأموي والعباسي ثم في العهد الحاضر .

وقد اختتم كتابه بأقوال المتقدمين والمعاصرين في المعرّب والتعريب وفي تجيزه وتقول بصحته ·

وفي الكتاب أخطاء جاءت سهواً منها قوله في ص ٦ اسماعيل بن اسحق · والصواب ابن ابراهيم · وقوله في ص ١٩ الفينيقيون من العبرانيين · والذي ذهب اليه المؤرخون في هذا العصر ان الفينيقيين من سكان البحرين ظعنوا من هناك الى ساحل الشام في القرن ٢٤ ق · م · وانهم عرب بأصولهم ·

والكتاب عظيم الفائدة يفتح أفقاً واسعاً امام المشتغلين بالترجمة والتأليف في العلوم الحديثة التي في نقلها رقي الأمة ونمو اللغة ·

اسعد الحكيم

الوجيز في أمراض العين

الجزء الأول لمؤلفه الدكتور ممدوح الصباغ

استاذ امراض العين وسريرياتها في المعهد الطبي بدمشق

طبع في مطبعة الجامعة السورية ١٣٦٥ — ١٩٤٦

عدد صفحاته ٤٠١

هو احدى الحلقات المتممة لتلك السلسلة الذهبية من المؤلفات الطبية التي يتحلى بها جيد اللغة العربية والتي للمعهد الطبي العربي الفضل الأكبر في صوغها ·

بحث فيه المؤلف في أمراض الأجفان والملتحمة والقرنية والصلبة والقزحية والجسم الهدبي والبلوري بحثاً ليس بالمطول الممل ولا بالمقتضب المخل بلغة فصحى سهلة الفهم يشوبها شيء من الركاكة في التركيب تُعد طبيعية في مثل هذه المؤلفات العلمية لحداثة عهد كثير من مؤلفيها باللغة وحداثة عهد اللغة بها · وقد زين الكتاب برسوم وصور كثيرة العدد للآلات المستعملة في جراحة العين وفحصها وللحالة المرضية لكلٍ من أقسامها وطرق معالجتها الدوائية والجراحية ·

وعلى الرغم من ان هذه الصور غير ملونة وغير صقيلة الطبع فهي واضحة تفي بالغرض المقصود ٠

وفي الكتاب معجم باللغة العربية والفرنسية للمصطلحات والكلمات العلمية الخاصة بهذا الفن ٠ وهي لا تخلو من عدد قليل يحتاج الى اعادة النظر فيه ابتغاء وجود ما هو أصلح منه لأداء المعنى المقصود ٠

وعلى الجملة فان هذا الكتاب من خيرة ما وضع في امراض العين للطالب وللطبيب المارس سد به المؤلف ثغرة في هيكل بناء اللغة العربي العلمي الحديث فاستحق الشكر والثناء ٠ أ ٠ ح

موجز الأمراض الجراحية لمؤلفيه

الدكتور مرشد خاطر أستاذ الأمراض والسيريريات الجراحية في معهد الطب وعضو المجمع العلمي العربي

والدكتور منير شورى رئيس السريريات الجراحية في معهد الطب بدمشق

الجزء الثاني عدد صفحاته ٩٨٦ في مطبعة الجامعة السورية ١٩٤٦

إن للموسوعات العلمية أهمية عظمى في كيان اللغة والعلم فهي الدعامة الاولى التي من الواجب ان يباشر بوضعها عندما يراد التأليف لأول مرة في أي علم من العلوم لتكون البحر المحيط لكل مرتاد من عالم ومتعلم ٠ ثم يصار الى الاختصار والايجاز تسهيلاً لسرعة الأخذ وللمراجعة والمطالعة والحفظ ٠ وقد نحا زميلنا الأستاذ الدكتور مرشد خاطر هذ النحو في تأليفه فوضع أولاً كتابه الجامع في الأمراض الجراحية ليكون مرجعاً لكل من اراد الاحاطة بهذا العلم ثم وضع له مع زميله الدكتور منير شوري موجزاً في جزئين كبيرين ليكون منهلاً عذباً للطالب ومرجعاً سهلاً للممارس ٠

وقد اطلعت على الجزء الثاني من هذا الموجز فألفيته ملماً باختصار غير مخل بكل ما يرجى من الطالب والمارس معرفته بالأمراض الجراحية للرأس والعمود

الفقاري والصدر والثديين والبطن وجهاز البول وجهاز التناسل في الرجل.. وذلك بلغة رصينة يشوبها كثير من المعرَّبات والمصطلحات الفنية التي يتعذَّر على غير متخرجي المعهد الطبي الدمشقي فهمها مما يحد من نطاق الاستفادة منه لا سيما وهو لا يحوي معجماً لهذه المصطلحات والكلمات الفنية اسوة بما سبقه من مؤلفات الأستاذين الزميلين ولعل عذرهما في ذلك ان لا بد لمن أراد الساقية من ان يركب البحر .

وفي الكتاب صور ورسوم كثيرة العدد متقنة الطبع . حسنة الوضوح . هذا وقد أسدى هذا الموجز الى التدريس الطبي خدمة جلى تقابل بالمنة والثناء .

أ . ع

التقرير السنوي عن سير المعارف في العراق

لسنة ١٩٤٥ — ١٩٤٦

طبع في مطبعة الحكومة ببغداد عام ١٩٤٧ ، عدد صفحاته ١٥١ من القطع الوسط

في هذا الكتاب مقدمة تبحث في تشكيلات وزارة المعارف العراقية لسنة ١٩٤٥ — ١٩٤٦ وفصول مختلفة في المدارس الابتدائية والمدارس الثانوية والمدارس المهنية والمدارس العالية .. وفيه أيضاً فصل في المدارس الأهلية والأجنبية وكلمة عن الامتحانات العامة وعدد المتخرجين من المدارس مع بيان مصيرهم .. وفيه أخيراً عدة تقارير عن الآثار القديمة ، وصحة المدارس ، والبعثات العلمية ، والحركة الرياضية ، ولجنة الترجمة والتأليف ، وجدول بأسماء الكتب المدرسية ، وخلاصة عن القوانين والأنظمة التي صدرت في عام ١٩٤٥ — ١٩٤٦ . والى جانب ذلك كله احصاءات عامة تتضمن عدد المدارس الرسمية والأهلية والأجنبية وعدد تلاميذها ومعلميها في مختلف السنين مع مقارنة بين ميزانية وزارة المعارف والميزانية العامة من عام ١٩٢٠ الى عام ١٩٤٦ .

ومن تصفح هذه الاحصاءات أدرك قيمة الجهد الذي تبذله وزارة المعارف العراقية في نشر التعليم . وفيما يلي مقارنة بين العراق وسورية خلال العام الدراسي ١٩٤٥ — ١٩٤٦ .

مقارنة بين العراق وسورية في نفقات التعليم وعدد الطلاب ونسبتهم الى مجموع السكان خلال العام الدراسي ١٩٤٥ـ١٩٤٦

١ — نفقات التعليم

	العراق	سورية
الميزانية العامة	١٧٥٦٣٢٣٠ ديناراً	١٢٩٧٠٤٠٠٠ ليرة سورية
ميزانية المعارف	١٦١١٨٤٣ 〃	١٤١٢٧٣٨٨ 〃 〃
النسبة المئوية	٩٠ ٪	١٠٠٨٩ ٪

٢ — عدد الطلاب

المدارس الابتدائية

	العراق	سورية
الرسمية	١١٨٤٨٧	٩٩٧٠٣
الاهليةوالاجنبية	٢١٦٧٠	٥٠٤٣١
المجموع	١٤٠١٥٧	١٥٠١٣٤

المدارس الثانوية

	العراق	سورية
الرسمية	١٢١٧٣	٨٢٧٦
الاهليةوالاجنبية	٧٧٥٦	٤٣٨٥
المجموع	١٩٩٢٩	١٢٦٦١

المدارس المهنية

	العراق	سورية
الرسمية	٢٠٣٧	١٢٦٩
الاهليةوالاجنبية	—	٣٥
المجموع	٢٠٣٧	١٣٠٤

	العراق	سورية
الجامعة [1]	١٥١٧	١٠٥٨
المجموع العام	١٦٣٦٤٠	١٦٥١٥٧

٣ — نسبة عدد الطلاب الى عدد السكان

ما يصيب كل الف من السكان من طلاب المدارس الابتدائية

٣٥	٥٠

جميل صليبا

تاريخ المساجد الأثرية التي صلى فيها فريضة الجمعة

صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول

تأليف حسن عبد الوهاب مفتش الآثار العربية · من مطبوعات دار الكتب المصرية في عام ١٩٤٦ · يقع في جزئين · يتضمن الأول البحث التاريخي وهو في ٤٣١ صفحة وجمع الثاني الصور وعددها (٢٧٥) صورة ·

هذا السفر هو من جملة الكتب المختارة التي تكرم بها صاحب الجلالة مليك مصر وأهداها الى مكتبة المجمع العلمي العربي ، وهذا التأليف هو أحد نفائس الكتب العديدة التي خصها جلالته برعايته وعنايته الساميتين وهيأ لمؤلفيها أسباب نشرها تشجيعاً للعلم وطلابه · فأحيا – رعاه الله – بعمله هذا سنة السلف الصالح في نشر العلوم والفنون والعطف على العلماء والأدباء · وهذا الكتاب هو خير كتاب ظهر من نوعه حتى اليوم باللغة العربية ، تناول فيه المؤلف دراسة

(١) لم تدخل في هذا العدد طلاب مدرسة الطب والصيدلة وكلية الهندسة وغيرها من المدارس العالية المرتبطة بوزارة الشؤون الاجتماعية ووزارة المواصلات ووزارة الداخلية .

المساجد الأثرية التي قضى فيهـا جلالة ملك مصر فريضة الجمعة . وبحث فيه «تاريخ منشئ المسجد وتحقيق تاريخ انشائه ووصفه والادوار التي مرت به من زيادات وتعمير ، مع شرح المميزات الفنية لكل منها والتعريف بمواطن الجمال فيها » ، وزود هذا البحث بطائفة من الصور والرسوم الجميلة التي تساعد على اجتلاء محاسنها وتتبع رقيها وتطورها .

حفظ الله مليك مصر وأعز به العلم ومعاهده . ونشكر المؤلف على هذا الجهد الموفق في ناحية علمية تعتبر دخيلة على الأقطار العربية وحسبه شرفاً هذا العطف الملكي السامي الذي شمله مما يبرهن على قيمة هذا الكتاب العلمية وفوائده التاريخية والفنية .

جعفر الحسني

قصة الحضارة

تأليف : ب . ا . م . جود . وتعريب : محمد بدران ، وهي الحلقة (١٣) من سلسلة الفكر الحديث التي تصدرها لجنة التأليف والترجمة والنشر . تقع في (٩٠) صفحة من القطع المتوسط .

قصة ممتعة في موضوعها ، طريفة في بحثها ، عالج فيها المؤلف بايجاز ووضوح تاريخ الحضارة القائمة في هذه الأيام وأشار الى أهم معالمها وشرح عيوبها وفضائلها وردّها الى مصادرها . وقد وزن الحضارات القديمة بميزان جديد لا صلة له بعظمة السلطان واتساع الفتوحات وتشييد الأبنية واقامة الصروح بل فضلها على بعضها بالخير الذي أسدته للبشرية في سبيل تقدمها وازدهارها ، وبمساهمتها في نشر المعرفة ومكافحة الرذيلة والتحلي بالفضيلة ، وبمدى احترامها لحرية الفكر والعقيدة ، وأثرها في تحرير العقل البشري من قيود الأوهام ونشر ألوية العدل والسلام بين مختلف الشعوب والطبقات . وقد أنصف المؤلف الحضارات التي بحثها فوفاها حقها ولكنه أهمل بعض الحضارات ولا سيما الحضارة العربية وتجاهلها .

فجاءت دراسته ناقصة لأن للعرب فضلاً كبيراً على الحضارة الحديثة لا ينكرها عالم . وقد أدرك المعرب هذا النقص ، فتلافى بعضه وأضاف من عنده صفحات وبيّن فيها أثر الحضارة العربية والمصرية القديمة في حضارة العالم .

نشكر للأستاذ بدران مأثرته هذه لانتقائه موضوعاً جمع بين الفائدة والمتعة والمادة الجديدة .

ج . ج

الملاح العربي — احمد بن ماجد

تأليف الأستاذ محمد ياسين الحموي ، (٣٩) صفحة بقطع متوسط .

طبع بدمشق عام ١٩٤٧

يحدثنا الأستاذ المؤلف عن ربان عربي عاش في النصف الأخير من القرن التاسع (ه) ، خبر البحار وقهرها ، ورافق أمير البحر البرتغالي (واسكودوغاما) في رحلته الى بلاد الشرق ، فكان له خير دليل ، هداه الى مسالك البحر الهندي المجهول من نوتية الغرب وجنّبه ما يلاقيه البحارة فيه من أهوال وأخطار ، وبلّغه بسلام نهاية المطاف ، وهكذا كتب لهذه الرحلة النجاح ، واقترن اسم هذا الربان العربي باسم أكبر أمير بحر غربي ، ولذلك اهتم في سيرته المستشرقون فلم يغمطوه حقه ، فخلدوا اسمه بما كتبوه عنه وعملوا على احياء آثاره العلمية في الشؤون البحرية . ورسالتنا هذه هي من مقتطفات أبحاث أحد هؤلاء المستشرقين (غبريال فرّان) عن ابن ماجد ورسائله في علم الملاحة .

ويظهر ان الأستاذ واضع هذه الرسالة غير واقف على ما سبق وكتبه المرحوم سعيد الكرمي في المجلد الأول من مجلة المجمع العلمي العربي في عام ١٩٢١ ، تحت عنوان (نفائس الآثار) وصف فيها رسائل ابن ماجد المحفوظة في دار الكتب الظاهرية وما علق عليه الأستاذ بولس الخولي في نفس المجلة ، والا لما أهمل الأستاذ الاشارة اليها واقتصر على وصف ما هو عند غيرنا وبعيد عنا . ان النسخة الموجودة في المكتبة الظاهرية هي انفس مجموعة معروفة لمؤلفات ابن ماجد وهي جديرة

بكل عناية وأرجو ان تتاح للأستاذ الحموي دراسته هذه المخطوطة ونشرها فيكون قد أضاف الى جهوده المشكورة مأثرة جليلة تسجل له بالعرفان ٠

ج ٠ ح

في موكب الشمس

الجزء الأول

تأليف : الدكتور احمد بدوي ، ومن نشريات لجنة التأليف والترجمة والنشر ، وهو في (٢٥٤) صفحة من القطع المتوسط تتخلله صور كثيرة ٠ طبع في القاهرة عام ١٩٤٦ ٠

يبحث هذا الجزء تاريخ مصر الفرعونية من فجره الصادق الى آخر الضحى ، وهو كما وصفه الأستاذ محمد شفيق غربال في مقدمته : « يتجلى للقارئ حب مصر في كل صفحة من صفحات هذا الكتاب وبفضل هذا الحب تحول تاريخ مصر في يد الدكتور احمد بدوي من ذلك الكلام الممل الذي قرأناه في كتب كثيرة الى قصة حية » ٠ وهذا القول هو أقل ما يوصف به هذا الكتاب الذي قص علينا حقائق تاريخية بأسلوب عذب تطيب النفس لمطالعتها وتحبب الينا قراءتها بلذة وشغف ٠ وقصة هذا الكتاب ورحلة صاحبه الى عالم الأموات هي تحفة أدبية مشحونة بالعبر والمواعظ الوطنية التي تثير الروعة في النفس وتدل على ما ينطوي عليه قلب المؤلف من حب مصر والوفاء لها والبر بها ، فجعلت من هذا السفر كتاب علم وأدب وسلوى ٠

ج ٠ ح

بين الآثار الإسلامية

لحسن عبد الوهاب مفتش الآثار العربية في مصر ٠ عدد صفحاته (٣٠) يتخللها ألواح مصورة

رسالة صغيرة بحجمها كبيرة بفوائدها ٠ وصف فيها مؤلفها بعض ما احتفظت

به مصر الاسلامية من مساجد ومدارس وخانقهات وترب ودور أثرية ، غنية بهندستها وفنونها ، متخيراً من كل عصر أحسنه . وهذه الرسالة هي خير دليل لرواد هذه الآثار ترشدهم الى محاسن العمارة الاسلامية وتطورها وتساعدهم على ادراك خفايا الفن الاسلامي وتذوق جماله .

فشكراً للمؤلف على عنايته بالآثار الاسلامية ووفقه الله للاكثار من هذه الدراسات .

ج . ح

بولونيا بين الماضي والحاضر

نقله الى العربية يوسف اسعد داغر باشراف اللجنة العالمية للاتحاد البولوني . يقع في (٢٢٥) صفحة من القطع المتوسط مع (٤) خرائط و(٩٤) صورة . طبع في بيروت عام ١٩٤٧

أراد المعهد البولوني الذي أقام طويلاً في هذه الربوع العربية أن يتحف أبناءها بهذا الكتاب ليُعرّف العرب الى الأمور البولونية ويطلعهم على دخيلة قضيتها ، وما حققته بولونيا في سبيل سيادتها واستقلالها السياسي والاقتصادي ، فعهد الى نخبة من رجال الاختصاص البولونيين لاعداد هذا الكتاب الذي عالجوا فيه بايجاز قضية وطنهم وما لابسها من حدثان منذ فجر نضال الأمة البولونية حتى يومنا هذا ، فصوروا لنا نضالها لاستعادة حريتها وبينوا لنا بالأرقام نهضتها الاقتصادية والاجتماعية التي جعلتها في مصاف الدول الناهضة .

وهذا الكتاب هو من خير ما يُهدى الى أبناء الشعوب الضعيفة المغلوبة على أمرها لما فيه من حوافز تثير فيهم روح النضال وتعزز فيهم الايمان بفوز الحق على الطغيان .

ج . ح

آراء وأنباء

أعضاء المجمع العلمي العربي

في سنة ١٣٦٧هـ — ١٩٤٨م

١	السيد محمد كرد علي (رئيس المجمع)	دمشق
٢	الدكتور اسعد الحكيم	〃
٣	الأمير جعفر الحسني	〃
٤	الدكتور جميل الخاني	〃
٥	〃 جميل صليبا	〃
٦	〃 حسني سبح	〃
٧	السيد خليل مردم بك (أمين السر العام)	〃
٨	〃 سليم الجندي	〃
٩	〃 شفيق جبري	〃
١٠	〃 عارف النكدي	〃
١١	الشيخ عبد القادر المغربي (نائب الرئيس)	〃
١٢	السيد عز الدين التنوخي	〃
١٣	〃 فارس الخوري	〃
١٤	〃 محسن الأمين	〃
١٥	〃 محمد البزم	〃
١٦	الشيخ محمد بهجة البيطار	〃
١٧	الدكتور مرشد خاطر	〃
١٨	الأمير مصطفى الشهابي	〃
١٩	السيد معروف الأرناؤوط	〃
٢٠	السيد هنري لاوست	دمشق
٢١	الشيخ راغب الطباخ	حلب
٢٢	الشيخ عبد الحميد الجابري	〃
٢٣	〃 عبد الحميد الكيالي	〃
٢٤	الدكتور عبد الرحمن الكيالي	〃
٢٥	الشيخ محمد زين العابدين	〃
٢٦	البطريرك مار اغناطيوس افرام	حمص
٢٧	الشيخ سعيد العرفي	دير الزور
٢٨	〃 ابراهيم منذر	بيروت
٢٩	السيد أنيس المقدسي	〃
٣٠	〃 بشارة الخوري	〃
٣١	〃 بولس الخولي	〃
٣٢	الشيخ فؤاد الخطيب	〃
٣٣	الفيكونت فيليب دي طرازي	〃
٣٤	الدكتور نقولا فياض	〃
٣٥	السيد عيسى اسكندر المعلوف	زحلة
٣٦	الشيخ احمد رضا	جبل عاملة
٣٧	〃 سليمان ظاهر	〃 〃
٣٨	السيد ادوار مرقص	اللاذقية

٣٩	السيد محمد سليمان الاحمد (بدوي الجبل)	اللاذقية
٤٠	〃 محمد اسعاف النشاشيبي	القدس
٤١	محمد الشريقي باشا	عمان
٤٢	الشيخ رضا الشبيبي	بغداد
٤٣	طه باشا الهاشمي	〃
٤٤	السيد عباس العزاوي	〃
٤٥	الشيخ كاظم الدجيلي	〃
٤٦	〃 محمد بهجة الاثري	〃
٤٧	الدكتور داود الچلبي	الموصل
٤٨	السيد ابراهيم عبد القادر المازني	القاهرة
٤٩	احمد أمين بك	〃
٥٠	السيد احمد حسن الزيات	〃
٥١	أحمد لطفي السيد باشا	〃
٥٢	انطون الجميل باشا	〃
٥٣	السيد خليل ثابت	〃
٥٤	خليل مطران بك	〃
٥٥	السيد خير الدين الزركلي	〃
٥٦	الدكتور طه حسين بك	〃
٥٧	السيد عباس محمود العقاد	〃
٥٨	الدكتور عبد الوهاب عزام	〃
٥٩	الشيخ محمد الخضر حسين	〃
٦٠	السيد محمد لطفي جمعة	〃
٦١	الأمير يوسف كمال	〃
٦٢	السيد عبد الحميد العبادي	الاسكندرية
٦٣	حسن حسني عبد الوهاب باشا	تونس
٦٤	السيد مارسه	تونس
٦٥	〃 عبد الحي الكتاني	فاس
٦٦	〃 عبد العزيز الميمني الراجكوتي	الهند
٦٧	〃 عباس إقبال	طهران
٦٨	〃 محمد الحجوي	مراكش
٦٩	〃 كي	بوليفيا
٧٠	〃 ماسه	باريس
٧١	〃 دوسو	〃
٧٢	〃 كولان	〃
٧٣	〃 ماسينيون	〃
٧٤	〃 هيس	سويسرا
٧٥	〃 كرينكو	انكلترا
٧٦	〃 جيب (هـ٠ا٠ر)	〃
٧٧	〃 بروكلمن	المانية
٧٨	〃 هارتمان (ريشار)	〃
٧٩	〃 سترستين	السويد
٨٠	〃 استروب	الدانيمارك
٨١	〃 موجيك	فينا
٨٢	〃 ماهلر	بودابست
٨٣	〃 كوفالسكي	بولونية
٨٤	〃 كراتشكوفسكي	لينغراد
٨٥	〃 كرسيكو	فنلاندة
٨٦	〃 فيليب حتي	اميركة
٨٧	〃 هرزفلد	〃
٨٨	〃 سعيد ابو جمرة	البرازيل

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

١	الشيخ طاهر الجزائري	دمشق
٢	〃 سليم البخاري	〃
٣	السيد مسعود الكواكبي	〃
٤	〃 الياس قدسي	〃
٥	〃 أنيس سلوم	〃
٦	〃 جميل العظم	〃
٧	〃 مالنجو	〃
٨	〃 سليم عنحوري	〃
٩	〃 عبد الله رعد	〃
١٠	〃 رشيد بقدونس	〃
١١	الشيخ عبد القادر المبارك	〃
١٢	السيد أديب التقي	〃
١٣	〃 حسن بيهم	بيروت
١٤	الأب لويس شيخو	〃
١٥	الشيخ عبد الله البستاني	〃
١٦	السيد جبر ضومط	〃
١٧	〃 عبد الباسط فتح الله	〃
١٨	الشيخ عبد الرحمن سلام	〃
١٩	〃 مصطفى الغلاييني	〃
٢٠	السيد عمر الفاخوري	〃
٢١	〃 أمين الريحاني	لبنان
٢٢	الأمير شكيب ارسلان	〃

٢٣	السيد جرجي يني	طرابلس الشام
٢٤	الشيخ سليمان أحمد	اللاذقية
٢٥	الدكتور صالح قنباز	حماة
٢٦	الأب جرجس شلحت	حلب
٢٧	〃 جرجس منش	〃
٢٨	السيد قسطاكي الحمصي	〃
٢٩	الشيخ كامل الغزي	〃
٣٠	السيد ميخائيل الصقال	〃
٣١	الشيخ بدر الدين النعساني	〃
٣٢	السيد نخلة زربق	القدس
٣٣	الشيخ خليل الخالدي	〃
٣٤	السيد عبد الله مخلص	〃
٣٥	الشيخ سعيد الكرمي	طول كرم
٣٦	السيد محمود شكري الآلوسي	بغداد
٣٧	〃 جميل صدقي الزهاوي	〃
٣٨	〃 معروف الرصافي	〃
٣٩	〃 طه الراوي	〃
٤٠	الاب انستاس ماري الكرملي	〃
٤١	الشيخ احمد الاسكندري	القاهرة
٤٢	احمد زكي باشا	〃
٤٣	احمد شوقي بك	〃
٤٤	السيد اسعد خليل داغر	〃

٤٥	حافظ ابراهيم بك	القاهرة
٤٦	السيد محمد رشيد رضا	〃
٤٧	〃 مصطفى صادق الرافعي	〃
٤٨	احمد كمال باشا	〃
٤٩	احمد تيمور باشا	〃
٥٠	السيد مصطفى لطفي المنفلوطي	〃
٥١	الدكتور يعقوب صروف	〃
٥٢	السيد اوجينيو غريفيني	〃
٥٣	〃 رفيق العظم	〃
٥٤	〃 داود بركات	〃
٥٥	الدكتور أمين المعلوف	〃
٥٦	الشيخ عبد العزيز البشري	〃
٥٧	الدكتور احمد عيسى بك	〃
٥٨	الشيخ مصطفى عبد الرازق	〃
٥٩	الأمير عمر طوسون	الاسكندرية
٦٠	الشيخ محمد بن أبي شنب	الجزائر
٦١	السيد رينه باسه	〃
٦٢	〃 ميشو بللير	طنجة
٦٣	〃 زكي مغامز	الاستانة
٦٤	الحكيم محمد أجمل خان	الهند
٦٥	السيد فران	باريس
٦٦	〃 كليمان هوار	〃
٦٧	〃 بوفا	〃
٦٨	السيد جويدي	إيطاليا
٦٩	〃 نللينو	〃
٧٠	〃 هومل	المانيا
٧١	〃 ساخاو	〃
٧٢	〃 هوروفيتز	〃
٧٣	〃 مارتين هارتمان	〃
٧٤	〃 ميتفوخ	〃
٧٥	〃 مونته	سويسرا
٧٦	〃 سنوك هوغرنيه	هولاندة
٧٧	〃 اراندونك	〃
٧٨	〃 هوتسما	〃
٧٩	〃 مرجليوث	انكلترا
٨٠	〃 بفن	〃
٨١	〃 براون	〃
٨٢	〃 بوهل	الدانمارك
٨٣	〃 بدرسن	〃
٨٤	〃 اغناطيوس غولدصهير	بودابست
٨٥	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	زنجان
٨٦	السيد ماكدونالد	اميركا
٨٧	〃 آسين بلاسيوس (مجريط)	اسبانيا
٨٨	〃 لويس (لشبونة)	البرتغال
٨٩	〃 موزل	تشكوسلوفاكية

المؤتمر الثقافي العربي الأول لجامعة الدول العربية

بيت مري — لبنان

مجموعة القرارات التي اتخذتها اللجان الفنية ، الفرعية والعامة
ووافق عليها المؤتمر في جلسة يوم الثلاثاء (٩/٩/١٩٤٧)

— ٢ —

مقررات لجنة اللغة والقواعد

١ — يرى المؤتمر ان قواعد اللغة العربية ، من نحو وصرف واملاء ، تحتاج الى تيسير وتبسيط ، يقربانها من مدارك الطلاب ، على ألا يمس ذلك بحال من الأحوال جوهر اللغة .

٢ — ويرى ان القصد من تعليم اللغة العربية في مختلف المراحل الأهداف الآتية :

ا — ان تجعل الطلاب قادرين على القراءة الصحيحة في سهولة ويسر ، وان يفهموا ما اشتملت عليه الكتب من أفكار ومعان .

ب — تمكين الطلاب من التعبير عما يجول في نفوسهم ويقع تحت حواسهم بعبارة صحيحة مع الدقة وطلاقة اللسان وقوة البيان .

ج — أن تكون دراسة العربية وسيلة للثقافة ، وتوسيع المدارك وتنمية الذوق السليم وتزويد الطلاب بكثير من المعلومات القيمة . لا ان تكون محض دراسة لألفاظ وتراكيب ومقررات ، عمادها الزينة والزخرف الشكلي ، وهي في الحقيقة فارغة لا روح فيها ولا حياة .

د — وان يتصل الطلاب اتصالاً وثيقاً بالحياة الأدبية والعملية المحيطة بهم ، وان يسايروا النهوض الأدبي الحديث ، لا أن يكونوا بمعزل عما حولهم ، فتكون المدرسة في ناحية ، والحياة الأدبية الواقعية ، في ناحية أخرى .

ه — وان تكون المدرسة مثيرة روح الشوق الى القراءة والاستزادة من الثقافة ، والوقوف على ما جاء به الكتاب والمفكرون في العصور المختلفة .

٣ — ويرى المؤتمر انه لا بد من تدريس قدر من قواعد اللغة (صرفها ونحوها) في المرحلتين الابتدائية والثانوية ، لتحقيق الأهداف السابقة ، على ان يراعى في تدريسه التبسط والتعبير . وان توجه العناية الى تقويم اللسان على أساس المحاكاة والتدريب والتكرار .

٤ — ويرى المؤتمر قدراً ملائماً من قواعد النحو والصرف والاملاء لكل من مرحلتي التعليم الابتدائية والثانوية ليكون حداً مشتركاً في جميع البلاد العربية . واتفق على وضع منهج مفصل موزع على الصفوف توزيعاً روعي فيه استعداد الطالب وحاجته في كل فرقة من الفرق الدراسية . (وهذه الجلسة لا تتسع لتفصيله) .

٥ — ويرى المؤتمر توجيه العناية الى تجويد النطق وحسن الاداء منذ مرحلة رياض الأطفال الى نهاية مرحلة التعليم الثانوية ، رغبة في ان تتقارب لهجة الناطقين بالعربية في مختلف أقطارها وان تكون أدنى الى النطق الصحيح .

٦ — ويرى المؤتمر ان القدر المشترك انما يصلح منهجاً لطلاب الثقافة العامة أما الطلاب الذين يرغبون في التخصص او يعدون لتدريس اللغة العربية فيكون لهم منهاج أوسع وأعمق .

٧ — ويرى ان من الوسائل العملية لتطبيق المنهج تأليف كتب تعالج موضوعاته ليستفيد منها المعلمون والطلاب .

٨ — ويرى ان الاتفاق على منهج واحد لا يكفي لتقريب الثقافة والنهوض باللغة العربية اذا لم يعد لتعليم هذا المنهج معلمون على حد كبير من العلم وسعة الأفق والقدرة على التدريس . ولذا قرر انه لا بد من انشاء معاهد علمية موحدة النظام في الأقطار العربية لتخريج ذلك النوع من المعلمين .

٩ — ويرى عقد مؤتمرات دورية لمعلمي اللغة العربية تشخص اليها وفودهم من مختلف البلاد للبحث وتبادل الرأي في أساليب التعليم كي يستفيد بعضهم من تجارب بعض وكي يتحدوا في الوسائل والغايات وينهضوا باللغة العربية وادابها ٠

الملحق رقم (١)

منهاج الصرف والنحو والاملاء

للصفوف الابتدائية والثانوية، الذي اقرته اللجنة الفرعية

أولاً — الاملاء

الغرض من الكتابة ان تكون صورة واضحة لما ننطق به ، واداة صالحة للابانة والاستفادة عن طريق الرموز ، ويتحقق ذلك اذا تم التطابق بين الكتابة والنطق بطريقة مطردة خالية من الخلاف ٠

دروس الاملاء

يجب ان يكون الاملاء درساً تعليمياً لا اختبارياً ، وان يكون الهجاء متصلاً بفروع اللغة وبالأعمال التحريرية في المواد الأخرى ، ويراعى ان تكون موضوعات الهجاء والقطع التي تستخدم في التدريب عليه مما يشوق الأطفال ويتصل بحياتهم وما يحتاجون الى استعماله من الكلمات في الحديث الشفهي ٠

وينبغي اجتناب هذا النوع الصناعي الذي تملأ فيه القطعة بهمزات او كلمات للتدريب على قاعدة هجائية خاصة ، بل يراعى في القطعة الحرص على المعنى وانسجام النص قبل كل شيء

وقد ناقشت اللجنة منهاج الاملاء على هذا الأساس ، ووافقت على اتباع ما يأتي في رسم الكلمات

أولاً — كل ما ينطق به يرسم في الاملاء ، وكل ما لا ينطق به لا يرسم الا الادغام والتنوين والا همزات الوصل مع حذف همزة ال المسبوقة باللام واثبات (ال) الشمسية ٠

ثانياً — الهمزة :

(ا) في اول الكلمة ترسم على الف مطلقاً ودائماً ، وتعتبر الهمزة في اول الكلمة اذا سبقت بال او بكلمة على حرف واحد .

(ب) الهمزة المتوسطة — اذا كانت متحركة صورت بصورة حركتها ، واذا كانت ساكنة صورت بحركة ما قبلها .

(ج) الهمزة المتطرفة — تكتب على صورة مناسبة لحركة ما قبلها ، فان كان الحرف السابق لها ساكناً كتبت مفردة .

ثالثاً — فصل الكلمات ووصلها :

الأصل والقياس في كلمتين اجتمعتا ان تكتب كل منهما منفصلة عن الأخرى فيراعى هذا الأصل في الخط الا في ما يأتي :

(ا) اذا كانت الكلمة الأولى ال

(ب) اذا كانت كلتا الكلمتين أو احداهما على حرف واحد ، او كانت الثانية ضميراً .

رابعاً — الألف اللينة في الأسماء والأفعال والحروف تصور الفاً ثالثة أوغير ثالثة .

خامساً — يرسم التنوين الفاً في حالة النصب الا في تاء التأنيث المربوطة — ونون اذن في جميع أحوالها ترسم نوناً وكذلك نون التوكيد الخفيفة .

ثانياً — القواعد النحوية والصرفية

توجيهات :

١ — يجب ان يكون تعليم القواعد النحوية في عبارات وموضوعات حيوية تهم التلاميذ وتشوقهم لا في امثلة صناعية تؤلف لهذا الغرض ، وذلك بأن يعرض المعلم على انظار تلاميذه قطعة في موضوع ملائم ، ويناقشهم فيها مناقشة اجمالية ، يتفهمون بها المعنى كما يعمل في درس المطالعة ، ثم يقتطع من هذا الموضوع العبارة التي يقصد تدريب التلاميذ عليها ، ويعالجها معهم علاجاً أساسه المعنى . فاذا أدركوا أركانها ووظيفة كل كلمة فيها انتقل بهم الى بيان الخصائص الاعرابية . ثم ينمي هذه الجملة تدريجاً بما يزيد عليها من مكملات .

٢ — لا يتعرض للاشارة الى الاعراب التقديري ولا للاعراب المحلي في المفردات والجمل . وغاية ما يعرف التلاميذ من هذا الباب : ان من الكلمات ما يتغير آخره وان منها ما لا يتغير آخره .

ولا يتعرض كذلك لذكر ان العلامات الفرعية نائبة عن العلامات الأصلية .

٣ — ويسكت أيضاً عن تقدير الضمائر في الأفعال كما سكت النحاة عن تقديرها في الأسماء المشتقة . ولا تقدر المتعلقات المحذوفة للظرف او الجار والمجرور .

٤ — يقتصر في اعراب المضاف اليه على قولنا (مجرور بالاضافة) ولا نذكر كلمة مضاف اليه .

٥ — يقال في اعراب اسم كان مبتدأ مرفوع ، وفي خبرها خبر منصوب ، ويقال في اعراب اسم ان اسم منصوب بأن وفي خبرها خبر مرفوع .

٦ — لا يعطي تعاريف ويكتفي في المصطلحات بما أشير اليه في منهج كل فرقة .

٧ — يقتصر في الاعراب على وظيفة الكلمة في الجملة وحكمها الاعرابي من غير تأويل .

منهج النحو للسنة الثانية

تنبيه: الغرض من المنهج الآتي طبع التلاميذ على الأساليب الصحيحة وتدريبهم على طرق استعمالها تدريباً عملياً ، أساسه المحاكاة والتكرار من غير ان يعطى في ذلك تعريف او قواعد او مصطلحات .

ويعنى المدرس بتوضيح مدلول الكلمات الآتية بالأمثلة فقط ، من غير ان تخصص لها دروس خاصة وتعرف تعريفاً اصطلاحياً .

١ — (ا) عرض جمل مكونة من جزءين ، مع تنويع هذه الجمل ، بحيث تبدأ باسم تارة ، وبفعل تارة أخرى .

(ب) تدريب التلاميذ على الاتيان بمثل هذه الجمل .

٢ — (ا) عرض جمل بها مكملات ، بالمفعول ، والظرف ، والوصف ، والاضافة ، والجار والمجرور .

(ب) تدريب التلاميذ على تنمية الجملة بالمكملات السابقة .

٣ — (ا) عرض جمل تشتمل على حالات الافراد ، والتثنية ، والجمع ، والتذكير ، والتأنيث .

(ب) تدريب التلاميذ على الاتيان بمثل هذه الجمل .

٤ — التدريب على الاستفهام والنفي بالأدوات الشائعة ، وعلى النهي والأمر .

المصطلحات هي : اسم . فعل . حرف . جملة فعلية . جملة اسمية .

السنة الثالثة

١ — بيان ان كل جملة تتكون من ركنين أساسيين ، تارة الفعل والفاعل ، وتارة المبتدأ والخبر .

٢ — تنمية الجملة بالمكملات الآتية مع بيان اغراضها .

(ا) المفعول به — السبب — الزمان — المكان — الحال .

(ب) الوصف — التوكيد — العطف بالواو والفاء وثم — الاضافة — المجرور بحرف الجر .

٣ — توجيه التلاميذ الى أحوال التطابق في الافراد والتثنية والجمع وفي التذكير والتأنيث — وذلك فيما يأتي :

(ا) في ركني الجملة .

(ب) في الصفة والموصوف .

(ج) في الحال .

(د) في التوكيد .

٤ — تقسيم الفعل الى ماض ومضارع وأمر .

٥ — التدريب على استعمال اسماء الاشارة ، والاسماء الموصولة ، والضمائر ، وعلى أحوال التطابق فيها .

كل ذلك من غير التعرض للقواعد او للعلامات .

الاصطلاحات التي تستخدم هي :

فاعل – مبتدأ – خبر – تكملة لبيان المفعول او الزمان أو المكان الخ .

السنة الرابعة

١ – الاعراب والبناء

٢ – اعراب المبتدأ والخبر والفعل والفاعل بالعلامات الأصلية .

٣ – الاعراب بالعلامات الفرعية في المثنى والجمع بنوعيه، والاسماء الخمسة، والأفعال الخمسة .

٤ – نائب الفاعل مع تدريب التلاميذ على ضبط الفعل معه من غير تعرض لقاعدة .

٥ – اعراب المكملات السابقة في السنة الثالثة بالعلامات الأصلية والفرعية .

٦ – الأدوات الآتية وبيان معانيها وأثرها الاعرابي .

من النواسخ – كان – صار – ليس – ما زال – أن – إن – كأن – لكن .

نواصب المضارع : ان – لن – لام التعليل .

جوازم المضارع : لم – لا الناهية .

حروف الجر : من – الى – عن – على – في – الباء – الكاف – اللام .

٧ – تدريب التلاميذ على أساليب الشرط بالأدوات الآتية مع بيان أثرها الاعرابي – ان – من .

٨ – يستمر تدريب التلاميذ في خلال الدروس السابقة على اسناد الأفعال الصحيحة الى الضمائر واستعمال اسماء الاشارة والاسماء الموصولة من غير تعرض لقواعد .

٩ – اساليب التمييز والاستثناء والنداء والتعجب .

* * *

المصطلحات :

نائب فاعل – مرفوع – منصوب – مجرور – مجزوم – التمييز – المستثنى – المنادى .

منهج النحو والصرف

السنة الاولى :

١ — تمرينات على ما درس بالمدارس الابتدائية من الفعل والفاعل ، ونائب الفاعل مع توضيح ما يأتي :

(ا) تأنيث الفعل مع الفاعل ونائب الفاعل .

(ب) افراد الفعل مع الفاعل ونائب الفاعل الظاهرين في حالتي التثنية والجمع .

٢ — تمرين على ما سبقت دراسته عن المبتدأ والخبر مع زيادة ما يأتي :

(ا) انواع الخبر (ظرف وجار ومجرور وجملة) .

(ب) تقديم الخبر على المبتدأ .

٣ — تمرين على ما درس من «كان واخواتها» ودراسة ما يأتي :

(ا) بقية افعال هذا الباب .

(ب) معانيها .

(ج) انواع خبرها .

(د) تقديم خبرها على اسمها .

٤ — تمرين على ما سبقت دراسته من أن واخواتها مع زيادة ما يأتي :

(ا) تكملة أدوات هذا الباب .

(ب) معاني هذه الأدوات .

(ج) كسر همزة ان وفتحها .

(د) اتصال «ما» بهذه الأدوات .

(ﻫ) تنويع خبرها .

(و) تقديم خبرها على اسمها .

٥ — المتعدي واللازم .

تمرين عليهما .

٦ — دراسة باب ظنّ :

(ا) تدرس منه الأفعال الآتية : ظن — حسب — خال — علم — رأى — وجد ٠

(ب) معاني هذه الأفعال ٠

(ج) انواع المفعول الثاني ٠

٧ — تمرين على ما سبقت دراسته في المدارس الابتدائية من مكملات الجملة مع توضيح ما يأتي :

(ا) الحال : انواعه (مفرد — ظرف — جار ومجرور — جملة) ٠

(ب) التمييز : أمثلة مختلفة لأنواعه وحكمه الاعرابي

(ج) العدد : احكام تذكيره وتأنيثه وتمييزه ٠

(د) اساليب الاستثناء بإلا وغير وعدا وحكم المستثنى ٠

(ه) المنادى : المفرد — المضاف وحكمه ٠

٨ — تمرينات على ما سبقت دراسته في التعليم الابتدائي من العطف والنعت والتوكيد مع توضيح ما يأتي :

(ا) تكملة ادوات العطف ٠

(ب) النعت حينما يكون ظرفاً وجاراً ومجروراً وجملة ٠

(ج) استعمال كلا وكلتا وجميع ٠

(د) البدل ٠

٩ — الممنوع من الصرف بدون تعرض لأسباب المنع ٠

السنة الثانية :

١ — تمرينات على اسناد الأفعال الصحيحة والمعتلة والمضعفة الى الضمائر بأمثلة تحاكي من غير تعرض لشرح قواعد ٠

٢ — اعراب المضارع :

(ا) تمرين على استعمال الأدوات التي ينصب بعدها المضارع مما سبق في الابتدائي مع زيادة ما يأتي :

حتى — كي — لام الجحود — فاء السببية — واو المعية ·

(ب) ادوات الشرط التي يجزم المضارع بعدها وبيان معانيها ·

(ج) ادوات الشرط الآتية : لو — لولا — اذا — جوابها ·

(د) اقتران جواب الشرط بالفاء ·

٣ — التدريب على استعمال الأساليب الآتية :

(ا) القسم والتوكيد ·

(ب) الاغراء والتحذير ·

(ج) الاستغاثة ·

(د) الاختصاص ·

(ه) الاستفهام واشهر ادواته ·

(و) كم : استفهامية وخبرية ·

٤ — التدريب على تثنية المقصور والمنقوص والممدود وجمعها بدون اعطاء قواعد السنة الثالثة ·

١ — يمرن الطلاب على ما سبقت دراسته من القواعد ·

٢ — التصريف :

ويراد به توجيه التلميذ الى وسائل تنمية اللغة بتفريع المادة اللغوية الواحدة الى الفاظ متعددة لتأدية المعاني المختلفة ·

ويلاحظ هنا ان يمرن التلاميذ تمريناً عملياً على الرجوع الى المعاجم اللغوية وكيفية استعمالها ·

١ — المجرد والمزيد وصيغها في أمثلة ·

٢ — المصدر : صور من مصدر الثلاثي — صيغ مصدر غير الثلاثي بأمثلة تحاكي استعمال المصدر ·

٣ — اسم الفاعل : صوغه — استعماله — أمثلة من صيغ المبالغة .

٤ — اسم المفعول : صوغه — استعماله .

٥ — أمثلة من الصفة المشبهة وصور من استعمالها .

٦ — صوغ اسماء الزمان والمكان والآلة .

٧ — اسم التفضيل واستعماله .

٨ — أساليب التعجب ، والمدح ، والذم ، ونعم ، وبئس ، وحبذا .

٩ — أمثلة للنسب والتصغير من غير اعطاء قواعد .

(تصحيح كراسات التطبيق) ...

رأت اللجنة ان يصحح التطبيق على السبورة تخفيفاً عن المدرسين ، ويصحح كل تلميذ لنفسه كراسته حسب ما صحح الأستاذ ، ثم يختار المدرس بعض الكراسات لمراجعتها ومعرفة مدى فهم التلاميذ للقواعد واستفادتهم منها ، على ان يكون اختيار الكراسات دورياً ، بحيث يشرف الأستاذ اثناء السنة على نماذج من كل تلميذ .

ملحق رقم (٢)

محضر اجتماع اللجنة الفرعية التي الفت للنظر في وسائل تجويد النطق

اجتمعت اللجنة في الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة عشرة من صباح يوم الأحد (٤٧/٩/٧) وحددت الغرض المقصود من تجويد النطق ورجعت الى ملخص التقارير المقدمة في موضوعات المؤتمر الثقافي ، والى تقرير اللجنة الثقافية بجامعة الدول العربية .

وقد جعلت اللجنة رائدها في ما عالجته من مباحث محاولة اختيار الوسائل التي تعين الطفل العربي على تجويد الحروف وتصحيح مخارجها وتحديد اصواتها ، والتقريب — بقدر المستطاع — بين لهجات الناطقين بالعربية من حيث طريقة الاداء ونبر الصوت وصفاء جوهر الكلام .

وقد انتهت اللجنة من مباحثها الى تقرير ما يأتي :

١ — يبدأ في مرحلة رياض الأطفال بتعويد الصغار ان يلفظوا الحروف من مخارجها الصحيحة ، برد مثل كلمة « كثير » الى « كثير » والفعل « آل » الى « قال » وكلمة « الزي » الى « الذي » و « نحجي » الى « نحكي » وهلم جرا ، وذلك عن طريق المحاكاة والتمرين مع ملاحظة التدرج الطبيعي ، ويستمر ذلك في جميع مراحل التعليم . ومما يدخل في هذا الباب تربية ملاحظة التلاميذ — بالمحاكاة او بالتلقين — التفريق بين ال الشمسية وال القمرية .

٢ — وفي مرحلة التعليم الابتدائي تتسع دائرة التمرين حتى تشمل جميع حروف الهجاء ، فيعود التلاميذ اخراج كل حرف من مخرجه الصحيح مع مراعاة الترقيق والتفخيم واخلاص الحركات فلا تشاب حركة باخرى ولا يمال بها امالة توجب اللبس .

٣ — يستمر تدريب التلاميذ في بقية مرحلة التعليم الابتدائي على الوجه المتقدم ، مع العناية فوق ذلك بتعليمهم مجموعات الحروف وفق مخارجها الصوتية ورد كل حرف من كل مجموعة الى مخرجه مع ترويض الألسنة على صفات حروف الاستعلاء ، وحروف الاستفحال ، والتفخيم والترقيق والحروف اللغوية ، ليكون ذلك سبيلاً الى تحديد أصوات ونبر الحروف في الكلمة ، وتحديد أصوات ونبر الكلمة في العبارة ، فتتقارب بذلك اللهجات ويبين الكلام على اختلاف مواطن المتكلمين .

٤ — يعنى بما تقدم في تدريس القرآن الكريم ، كما يعنى به في دروس المطالعة والأناشيد والمحفوظات والمحادثة .

٥ — فاذا بلغ التلميذ هذه المرحلة وصحت حروفه واستقامت لهجته وابانت ، لخذ بالتمرين على حسن الاداء في الحديث والقراءة ، بتلوين الصوت وفق المعنى ومقتضى الحال ، ليكون تعبيره بالصوت معيناً للتعبير اللغوي على ابلاغ المعنى .

لجنة الأدب

اقتراحات المؤتمر وتوصياته

قسم المؤتمر بحوثه في الأدب الى مرحلتين : مرحلة التعليم الابتدائي ، وهي التي ينتهي منها التلميذ عادة حوالي سن الثانية عشرة ، ومرحلة التعليم الثانوي ، وهي التي تليها الى سن السابعة عشرة تقريباً .

واعتبر مواد التثقيف الأدبي في المرحلة الأولى خمساً : المطالعه والقصص والأناشيد ، والمحفوظات والتعبير ، وفي المرحلة الثانية الأدب نصوصه وتاريخه ، والنقد والبلاغة ، والقراءة والمطالعة والتعبير .

مرحلة التعليم الابتدائي :

أ — الغاية من التثقيف الأدبي في هذه المرحلة تنشئة الطالب على الأخلاق السامية والروح الوطنية والشعور العربي ، مع تربية ذوقه الفني ، وتنمية ملكة التعبير فيه ، وتزويده بطائفة من المعلومات تزيد في ثقافته العامة .

وتحقيقاً لهذا يقترح المؤتمر ما يلي :

(١) ان تكون المواد التي تقدم له ذات صلة وثيقة بتلك الأهداف .

(٢) ان تشتمل على طائفة من الأناشيد والمحفوظات والقصص وقطع المطالعة ، التي تمتاز بسهولة التعبير وصحته وجماله .

(٣) ان يراعى في اختيارها مقدرة الطالب الذهنية وبيئته وتربيته .

(٤) ان تشتمل بوجه خاص على موضوعات تتصل بالفضائل العربية وبالتراث العربي .

ب — ولكي تنمى ملكة التعبير عند طفل المرحلة الابتدائية يجب أن تهيأ له الفرص للتعبير عن تجاربه ومشاهداته بالكلام وبالكتابة . ويراعى في ذلك ان تكون الحرية أساساً للتعبير ، والا يتقيد بحصة أو حصص معينة بقتصر

عليها ، فالتعبير باوسع معانيه يتحقق في كل درس وفي كل وقت ، واذا أخذناه بهذا المعنى بعدنا به عن جو الشكلية الضيق ومزجناه بالحياة . ويحسن أن يتخذ المعلم اللغة العربية السهلة وسيلة في تعليمه ، وان يشجع التلاميذ على التعبير بها ، وان يتدرج بهم في ذلك الى ان يستطيعوا في نهاية المرحلة التعبير السليم .

وتستخدم التربية الحديثة وسائل كثيرة لتشجيع التعبير بنوعيه الشفهي والكتابي تنبغي الافادة منها ، مثل قص الأخبار في الفصل ، أو كتابتها لمجلة المدرسة ، ومثل مناقشة ما في كتب المطالعة من صور ، وتكميل القصص القصيرة الناقصة ، وسرد القصص المسموعة او المقروءة وتمثيلها ، ومثل تحويل القصص الى حوار تمثيلي ، وكتابة الرسائل ، ووصف الوقائع التاريخية وغير ذلك .

ج — الهدف الذي نرمي اليه دراسة القدر المشترك هو اثارة شعور المشاركة بين سكان الأقطار العربية في الحضارة والتاريخ ، وفي منزلتهم من النشاط الدولي الحديث .

وهذا القدر ينبغي ان يكون في المرحلة الابتدائية يسيراً ملائماً لمدارك التلاميذ ، وممهداً لقدر أرقى منه في المرحلة الثانوية .

ويمكن توفير هذا القدر في المرحلة الابتدائية عن طريق :

(١) الأناشيد : فيختار منها مجموعة تكون موضوعاتها مناسبة لفكرة التعاون العربي والمشاركة في الشعور ، توقع توقيعاً موسيقياً ، ويحفظها بتوقيعها تلاميذ جميع الأقطار العربية .

(٢) المحفوظات : فتختار قطع سهلة ، يلاحظ فيها ان تكون مما يشيد بالأخلاق العربية من نجدة وبطولة وما اليها ، وان يكون بعضها لأدباء من الأقطار العربية المختلفة ، مع تعريف بسيط بهم ، وهذه يحفظها جميع التلاميذ .

(٣) القصص : فيختار منهـا عدد يحقق الفكرة السابقة ، من تصوير

الكرم والاباء وعزة النفس وغيرها ، مما يبعث في نفوس التلاميذ الاعجاب بتاريخ العرب وأبطالهم قدامى ومحدثين .

(٤) المطالعة : فتتناول بعض كتبها في كل قطر موضوعات تعين على تقوية الروابط العربية ، كوصف بعض المشاهد والآثار القائمة في مختلف الأقطار العربية ، وكالحديث عن فضائل العرب وفتوحاتهم ودولهم ، وثقافاتهم وفنونهم .

ويلاحظ ان يدرس هذا في مرحلة التعليم الابتدائي مؤيداً بالصور والرسوم ، او مصاحباً للموسيقى ، أو قائماً على التمثيل والحوار ، مما هو مقرر في اساليب التربية .

مرحلة التعليم الثانوي

أ — الأدب نصوصه وتاريخه :

١) يجب ان ينظر الى الأدب نظرة واسعة ، بحيث لا يكون مقصوراً على الشعر والنثر الفنيين ، بل يتناول أيضاً الموضوعات الفكرية والعقلية المصوغة صياغة أدبية مثل مقدمة ابن خلدون ورحلات ابن جبير وابن بطوطة ، ورسالة حي بن يقظان ، وبعض كتابات الغزالي ، وبعض قطع تاريخية من الطبري والفخري ونحو ذلك .

٢) في المرحلة الأولى من دراسة الأدب يكون الاعتماد على نصوص أكثرها من الادب الحديث ، وأقلها مما يقرب من هذه النصوص في السهولة من الأدب القديم ، على ان تتدرج هذه النصوص في الصعوبة مع تقدم الدراسة ، ويكتفى من تاريخ الأدب في هذه المرحلة بما كان تعريفاً موجزاً بقائل القطعة وما كان لازماً لفهمها .

٣) وفي المرحلة الثانية تختار نصوص ادبية مرتبة حسب العصور من الجاهلي الى الحديث ، يراعى في اختيارها دلالتها على روح عصرها وتصويرها لخصائصه الفنية ، مع مناسبتها لاستعداد الطالب وفهمه ، وتكون دراسة تاريخ الأدب مستمدة من هذه النصوص .

ب — النقد والبلاغة :

١) يرى المؤتمر انه يجب الا نتقيد في التعليم الثانوي بالبلاغة الشكلية النظرية ، وان نعود بالنقد الى وظيفته الأساسية : وهي تذوق الأدب : وفهم نصوصه ، وادراك صوره ومعانيه ، والقدرة على محاكاته . والطريق الطبيعي الى ذلك هو العناية بالنصوص نفسها ، وفهم المراد منها ، ومناقشة أفكارها ، وتبين ما فيها من جمال او نقص ، تعرّف ما بينها وبين شخصيات منشئيها من صلات . ويكون هذا النقد العملي جزءاً أصيلاً في درس نصوص الأدب في جميع سني الدراسة .

٢) تحقيقاً لهذا المبدأ يجب ان تستمر في المرحلة الثانية الطريقة التي اتبعت في المرحلة الأولى من دراسة نصوص أدبية مختارة غير مقيدة بترتيب زمني ، لتكون محوراً لدرس النقد الأدبي ، ووسيلة لتنمية ملكات النقد الأدبي والبلاغة عند التلميذ ، مع مراعاة ما تتطلبه سن التلميذ ونمو استعداده في اختيار هذه النصوص ومنهج دراستها .

وهذه تسير الى جانب النصوص الأخرى المرتبة ترتيباً زمنياً ، والتي تختار عماداً لدرس تاريخ الأدب في هذه المرحلة .

٣) يخصص من دروس النقد العملي بالسنتين الأخيرتين من التعليم الثانوي درس يعنى فيه المدرس بتعريف التلاميذ اجمالاً بالعناصر الهامة من البلاغة ، كالايجاز والاطناب ، والحقيقة والمجاز ، والتشبيه والاستعارة ، والكناية وبعض المحسنات البديعية ، وبالعناصر الهامة من النقد : كالأساليب واختلافها ، وفنون الكلام من شعر ونثر وما بينها من فروق . على ان يكون هدف هذه الدراسة لا معرفة العناصر البلاغية والنقدية لذاتها ، ولكن لتعين الطالب على ادراك أسرار الجودة والجمال في الأدب .

٤) يقترح المؤتمر ان تكون هناك في كل سنة من سني المرحلة الثانية من التعليم الثانوي دراسة تحليلية لأديب من أدباء العصر أو العصور التي يدرس تاريخ أدبها في هذه السنة ، تكون غايتها خدمة الدراستين التاريخية والنقدية -

٥) يراعى في اختيار النصوص النقدية في السنة النهائية من التعليم الثانوي ان تكون عرضاً لنماذج من العصور المختلفة لفن من الفنون الأدبية ، تبنى عليها دراسة موجزة سهلة لتطور هذا الفن ، وتجدد وزارات المعارف تحديد هذا الفن في برامجها من حين الى آخر .

٦) عند الكلام على ما بين الشعر والنثر من فروق يعنى المدرس ببيان نظام القصيدة العربية في اوزانها الموسيقية وفي قافيتها : فيحاول من طريق عرض قصائد كثيرة من أوزان مختلفة أن يطبع في اذهان التلاميذ صوراً لموسيقى الشعر العربي ، مبيناً لهم ان كل وزن منها له اسم خاص ، ممثلاً ببعض الأوزان واسمائها من غير استقصاء ، لافتاً نظر التلميذ الى طابع القصيدة العربية في قافيتها . والغاية الرئيسية من هذه الدراسة ان يتبين التلميذ عنصر الموسيقى في الشعر العربي ، ويتعود قراءته بصورة صحيحة ، ويتمكن من تقويم شعرهم الذي قد يحاولون نظمه .

ج — القراءة والمطالعة :

يرى المؤتمر :

١) ان تنوع القراءة والمطالعة الى صامتة وجهرية ، والى داخلية (في الفصل) وخارجية ، ليكون ذلك عوناً على تحقيق الأغراض المختلفة من هذه المادة .

٢) ان ينبه الى الاستكثار من القراءة الجهرية في المرحلة الأولى من التعليم الثانوي ، وتخصص لها كتب ، ويعنى في المرحلة الثانية بالقراءة المستقلة والخارجية ، وفي كتب ذات وحدة موضوعية ، بجانب كتب النصوص .

٣) ان تتخذ الوسائل المختلفة لترغيب التلاميذ في القراءة الخارجية .

د — التعبير :

لاحظ المؤتمر أن تسمية الانشاء باسم « التعبير » أفضل ، لما في هذا من توسيع لمدلوله ، وخروج به عن دائرة الشكلية والتكلف ، وتنبيه الى نواح من النشاط تساعد على نمو الملكة المعبرة المبتكرة عند التلميذ :

والمؤتمر يقترح في شأنه ويوصي بما يلي :

١) ان الأساس الأول في تنمية قوى التعبير عند التلاميذ في جميع سني الدراسة الثانوية هو استغلال كل الفرص الطبيعية الممكنة : مثل حل النصوص الأدبية وشرحها ونقدها ، ومثل تلخيص القصص والكتب ، والتعليق على الحوادث الجارية ، وكتابة التقارير عن الرحلات والمشروعات وأشرطة الخيالة ، واعداد المقاولات والأخبار بمجلة المدرسة ، وكالخطابة والمناقشة والمناظرة وغيرها مما يدخل في نشاط الجمعيات الأدبية في المدرسة .

٢) غير ان النشاط التعبيري لا ينبغي ان يقتصر على مجرد استغلال الفرص ، بل يجب ان يخصص له وقت في جدول الدراسة في جميع السنوات . وان يشمل — بجانب ما تقدم — القصد الى التدريب الفني والابتكار ، من طريق اقتراح موضوعات على التلاميذ يكتبون فيها ، بعد اعداد او من دون اعداد ، مع الحرص على استقلالهم في التفكير والتعبير . وهذه الموضوعات قد تأخذ شكل مقالات أو رسائل أو قصص ، او بحوث في موضوعات الدراسة الأدبية المقررة .

٣) ينبغي ان يكثر النوع الأول في سنوات المرحلة الأولى من التعليم الثانوي : على حين يبدأ الثاني قليلاً ، ثم يأخذ في الكثرة تدريجاً حتى يغلب في المرحلة الثانية .

٤) ينبغي ان يوجه مدرسو التعبير الى العناية بتقدير الأفكار وبطريقة بناء الموضوع ، الى جانب عنايتهم بأسلوب التعبير .

٥) يوصي المؤتمر ان يعمم — في الدول العربية التي لم تأخذ به — نظام تخصيص ورقة لامتحان التعبير ، تحتوي موضوعات متنوعة — بين أدبية واجتماعية واقتصادية وغير ذلك — يختار الطالب منها واحداً للكتابة فيه .

هـ — توصيات عامة :

١) يوصي المؤتمر ان يسار في دراسة القدر المشترك في المرحلة الثانوية على

النهج الذي قرر في مرحلة التعليم الابتدائي مع التوسع في هذا بما يقتضيه ترقي الدراسة واتساع مدارك التلاميذ وآفاقهم ٠

٢) في البلاد العربية التي تفرق — في عدد دروس اللغة العربية وأهميتها في دراستها وامتحانها — بين القسم الأدبي والقسم العلمي ، وبين مدارس البنين ومدارس البنات يوصي المؤتمر أن يؤخذ بنظام المساواة في هذه الأقسام والمدارس ٠

٣) يوصي المؤتمر بان يعطى للغة العربية — وهي عماد الثقافة القومية — أكبر مقدار ممكن من زمن الدراسة في مناهج التعليم ٠



تصويبات في كتاب الأشربة

تفضل صديقنا العلامة الأستاذ سالم الكرنكوي بالتصحيحات الآتية :

قرأت في مقدمة كتاب الأشربة لابن قتيبة سرقات ابن قتيبة أما انا فوجدت أنه قد أغار ايضاً على الجاحظ في كتاب المعاني الكبير كثيراً ولم يذكر من أين أخذ الشواهد ولا سيما في الأبواب التي أورد فيها أشعاراً في الحيوان ووجدت أكثرها في كتاب الحيوان للجاحظ مع اختصار أو اسقاط أبيات وهذا يدل على ان للجاحظ فضل التقدم ولكن ابن قتيبة أحسن الترتيب ٠

أثناء القراءة رأيت هفوات طفيفة وهي :

ص ٢١ سطر ٣ والصواب تقطَّر بالقاف اي سقط وقيذاً أي مصروعاً ٠ كنت أعرف هذا البيت ولكن لا أذكر الآن أين قرأته ولم أجده في كتاب المعاني لابن قتيبة ولا في كتاب الحيوان للجاحظ ٠

ص ٣٧ سطر ٧ الظروف المزفَّتة

ص ٤٦ سطر ٥ والمسكر من كل شراب ٠ الحديث مكرر في كتب الحديث

ص ٥٢ سطر ٧ أبو العالية الرياحي بالعين محدث مشهور

ص ٥٦ سطر ٤ شبابة محدث مشهور روى عن غسان

ص ٥٨ سطر (١) اغترس

ص ٦٤ حاشية ٤ كانوا يمزجون الخمر بالزنجبيل في الجاهلية لتزيد حدتها وهذا يذكر كثيراً بما ورد في ديوان المعاني للعسكري ج ٢ ص ١٣٨

ص ٨٣ سطر ١٣ صعب عليّ تصحيح الكلمة المهملة ثم بعد البحث وجدتها في حلية الأولياء لأبي نعيم في ترجمة ايوب السختياني (طبعة الخانجي ٣/٢٧٤) وعندي نسخ مخطوطة أصح من المطبوعة وجدت في ظهر الورقة ٣٠ من هذه النسخة القديمة المحفوظة في الخزانة الفيضية بالأستانة (رقم ١٤٣٧) ... حدثنا حماد بن زيد قال : قدم أيوب من مكة فخرج الى الجمعة وعليه كُمَّة افواف فقيل له فيها فقال قدمتُ ولم يكن عندي غيرها ولم أر بها بأساً وكرهت أن ادعها لأعين الناس هـ . كُتب تحت كُمَّة (مضبوطة في الأصل) قلنسوة . وفوق افواف مخلط تخليط بيض (كذا) . فهذا الصواب بلا شك

ص ٨٤ سطر ١١ حفص بن غياث محدث مشهور

ص ٨٤ آخر هو البَخْتَرى بن عبد الله بالخاء المعجمة وفتح الباء والتاء المثناة

ص ١٠٨ سطر ٦ رَوْبَى بفتح الراء كما في بيت بشر من قصيدة مفضلية

ص ١١٠ سطر ٦ حديث عائشة موجود في مسند احمد بن حنبل ولكن بلفظ آخر وظني ان الكلمة جرتي فقط .

(كمبردج) سالم الكرنكوي



ابن خلدون وتيمورلنك

نقل محمد بن احمد الزملكاني الأنصاري من خط أستاذه ابن خلدون في تاريخه الذي كان موضوعاً في خزانة الكتب بالمؤيدية داخل باب زويلة بالقاهرة ، وذلك في مستهل سنة ثلاث وثلثين وثمانمائة ، صورة رحلة ابن خلدون من الديار المصرية الى دمشق لما غزا تيمورلنك عام ٨٠٢ هـ الشرق القريب وذكر اجتماعه به مراراً ومحاورتها . وقد ترجم تيمور ترجمة مطولة .

قال ابن خلدون : « قال لي أين بلدك ؟ قلت بالمغرب الجواني ، كانت للملك الأعظم هناك . فقال : وما معنى الجواني في وصف المغرب ؟ فقلت : هو في عرف خطابهم معناه الداخلي أي الأبعد ، لأن المغرب كله على ساحل البحر الشامي من جنوبه ، فالأقرب الى هنا برقة وافريقية (تونس) ، والمغرب الأوسط تلمسان وبلاد زناتة ، والأقصى فاس ومراكش وهو معنى الجواني . فقال لي : وأين مكان طنجة من ملك المغرب ؟ فقلت : في الزاوية التي بين البحر المحيط والخليج المسمى بالزقاق ومنها التعدية الى الأندلس لقرب مسافته لأن هناك نحو العشرين ميلاً فقال : وسجلماسة ؟ فقلت : في الحد ما بين الأرياف والرمال من جهة الجنوب . فقال : لا يقنعني هذا وأحب ان تكتب لي بلاد المغرب كله أقاصيه وأدانيه ، وجباله وأنهاره وقراه وأمصاره . فقلت : يحصل ذلك بسعادتك ، وكتبت له بعد انصرافي من المجلس ما طلب من ذلك ، وأوعيت الغرض فيه في مختصر وجيز يكون في قدر ثنتي عشرة من الكراريس المنصفة القطع . الى ان قال : وأقمت في كسر البيت واشتغلت بما طلب مني في وصف بلاد المغرب فكتبته في ايام قليلة ودفعته اليه فأخذه من يدي وأمر موقعه بترجمته الى اللسان المغلي » .

محمد كرد علي

فهرس الجزء الأول من المجلد الثالث والعشرين

الصفحة

مجلة المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٤٨ ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧

الألفاظ السريانية في المعاجم العربية

بعد حمد الله جلّ ثناؤه نقول: إن الذي دعانا الى تأليف هذه الرسالة مشتملة على ما أُدخل في اللغة العربية من الألفاظ السريانية ، اننا في اثناء مطالعتنا لمعاجم هذه اللغة وكتبها اللغوية ، وقفنا على الفاظ سريانية الأصل معرّبة وهي على أربعة أضرب : ضرب افصحت المعاجم باصله ولكنها قصّرت في تحديده واشتقاقه ، وضرب آذنت بكونه معرّباً غير انها لم تشر الى اللغة التي نُقل منها ، وضرب مرّت به مراً ولم تقم بحق بيانه مع بروز عجمته ، او انها وسمته بالمعرّب او المولّد او الدخيل ، على سبيل الحدس والظنّ ، وضرب أخطأت في نسبته الى لغة دون لغة ، تقصيراً ـ مؤلفيها في تحقيق اصله بالاستقصاء من اهل اللغة السريانية وغيرها .

فرأينا ان نجمع في رسالتنا ما وقفنا عليه من هذه الألفاظ وصحّ عندنا بعد تنقيب وتمحيص مما فات الأئمة ونبّهنا على اشياء نكّب بعضهم فيها عن جادّة الصواب غير طاعنين في فضلهم المتقدّم وبسطة علمهم ، واستدركنا على بعض

المعجمات في صحة تعريف الفاظ واشتقاقها ، وضممنا اليها عدة كلمات دخلت العربية ولم يصرّح مؤلف بسريانيتها ، وذلك بطريقة مفيدة وجيزة بعيدة عن دواعي الملل ، خلافاً لما يراه بعض الباحثين المعاصرين الذين يكتبون الصفحة بل الصفحات تنقيباً عن لفظة لا طائل تحتها أو قلّ محصولها ، لأن التطويل كان منه الهم لا سيما في زماننا هذا كما قال صاحب تاج العروس . وذلك وفاء لحق اللغة العربية الجليلة التي هبت همم لغويي عصرنا الى البحث فيها ، وخصوصاً اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ، وقد آنسنا رغبة في الوقوف على هذه الألفاظ من احدهم اللغوي الثقة الأستاذ سليم الجندي ، نفع الله بهم جميعاً .

وما أقدمنا على هذا التأليف الا بعد ان قطعنا اثنتين واربعين سنة في تحصيل لغتنا السريانية وممارستها ، واستقصينا دراسة معاجمها وكتبها اللغوية الخطّية والمطبوعة وجلّ ما أبقاه الدهر من مخطوطاتها العديدة ، ولم ندخر جهداً في النظر في أمهات الأسفار العربية البليغة وقواميسها فازهرت لنا المطالعة المديدة سراج التبصر ، ومهد لنا الكدح والجلد الخروج من وعورة الأبحاث الى سهولة النتائج .

ولما كنا من دعاة الفصيح والأنيق والعذب والمأنوس من الألفاظ ، فمن البديهي اننا لا نقصد من معرفة الدخيل السرياني ان يتداوله العالم والمتعلم اذا كان وحشياً لفظه مهجوراً استعماله بحيث أمسى من عداد الألفاظ التاريخية ، وله من الفصيح والمأنوس ما يرادفه ، ولكنها فوائد تفتقر اليها الأسفار اللغوية الكبرى في استدراك ما فات الأولين وتصحيح ما وقعوا فيه من الغلط كما قلنا [1].

(١) قال الأديب النابغة السيد محمد اسعاف النشاشيبي فى خطبته البليغة التي القاها فى القاهرة ، وعنوانها « كلمة فى اللغة العربية ص ٤٧ - ٤٨ » ان المحققين لا يعدّون الكلمات المشتقة او المولدة او المعربة من الانتخاب الطبيعي بل من الانتخاب الصنعي . وهذا الانتخاب فى اللغة ضروري أي ضروري ، وقد عوّل عليه العلماء الحكماء من السلف الصالح فى القرنين الثالث والرابع وغيرهما . وهذه كتبهم الخالدة فى العلم والحكمة شاهدة » ثم اشترط التمييز بين الحسن والقبيح .

وتمهيداً للبحث نقول: ان العرب في الجاهلية والقرون الاُولى للاسلام، خالطوا المسيحيين من عرب وسريان، في بلاد اليمن ونجد والحجاز ثم في بلاد الشام الفسيحة التي كانت تمتد من حد عريش مصر حتى جبال طوروس ونهر الفرات، ثم في بلاد الجزيرة اي ديار بني ربيعة والعراقين العربي والعجمي ثم بلاد فارس وخراسان، وعنهم اخذوا في عنفوان الأمر الألفاظ الخاصة بدين النصرانية وضموها الى لغتهم، ومنها سريانية بحتة ومنها يونانية، غير انهم بوساطة السريان وبحسب لفظهم نقلوا اكثر ما نقلوه منها، ثم ادخلوها في كتب اللغة والمعاجم عند تدوينها كما ادخلوا بعض الألفاظ اليونانية ونزراً من الحبشية والعبرية. ثم استعاروا الكلمات التي لا عهد لهم بها مما يتعلق بالزراعة والصناعة والملاحة والتجارة والعلوم وما اليها. وحينما عاشروا الفرس اخذوا عنهم ما اخذوا مما هو معروف. ولكن ظهور أئمة لغويين من الفرس الذين دانوا بالاسلام، وحذقوا لسان العرب واسدوا اليه بمصنفاتهم ايادي بيضاً مشكورة خالدة على الدهر، دعا الى العناية بجمع كثير من الكلمات الفارسية التي عربوها، وتجد فصلاً منها في كتاب فقه اللغة للثعالبي[1] ولم يعمد احد من قدماء الأئمة الى جمع الكلمات السريانية ولا اليونانية التي عربها العرب الا نزراً يسيراً تعرض له الامام ابو عبد الله محمد الخطيب الاسكافي المتوفى سنة ٤٢١ هـ (١٠٣٠ م) في كتابه مبادئ اللغة، وابو منصور موهوب الجواليقي البغدادي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤م) صاحب كتاب المعرَّب.

وانك لتستغرب هذا اذا علمت ان السريانيين والكلدانيين نقلوا معظم العلوم اليونانية الى لغة الضاد، وشاركهم في هذا العمل رهط من علماء الروم اليونانيين، ولا تجد فارسياً واحداً نهض بمثل هذه الخدم الجليلة للعربية. وكان من حق السريانيين على لغويي العرب ان يصرفوا الى هذه الناحية طرفاً من همتهم فلم

(١) صفحة ١٦٣

يفعلوا . بل انك تجد ان كثيراً منهم لا يتحملون كشف لفظة يرتاب في عروبتها بالاستقصاء من اولئك الذين كانوا نازلين بين ظهرانيهم ولطبقة صالحة منهم قدم راسخة في العلم وضرب بالسهام الفائزة في ادب اللغتين ، وعنهم اخذ جماعة من علماء العرب علوم المنطق والفلسفة والطب حتى المئة السادسة للهجرة .

هبطت العربيـة بلاد الشام والعراقين العربي والعجمي مع الفاتحين والقبائل العربية التي استوطنت هذه البلاد ، فوجدت لغتها الوطنية الآرامية السريانية بها يتكلم جمهور الناس وهم مسيحيون ما خلا الجالية اليونانية وبها يؤلف الكتّاب مصنفاتهم وبها يسبحون ربهم . فنزلت فيهم غريبة . واستعذب قوم منهم سحر بيانها وتثاقل عنها قوم استمساكاً بلسان لهم قديم عمّ فضله وشملهم أدبه فلم يهووا استبداله . حتى فُرضت عليهم العربية فرضاً . فدرسها المسيحيون وألموا بها الماماً ولم يُحكموا آدابهـا الا في صدر المئة التاسعة للميلاد فصاعداً — ما عدا القبائل العربية المسيحية بني طيء وتغلب وكندة وشيبان وتميم — وظلت لغتهم السريانية تصدح بها بلابل بيعهم وبها يحبرون تصانيفهم الدينية ، وعاشت في الأرياف والجبال قروناً متطاولة ، ثم تقلبت بها الأحوال بما لا يتسع بحثنا هذا لبيانه ، ولما تنبه الخلفاء العباسيون في صدر دولتهم الى ضرورة نقل العلوم الى لسانهم ، لم يجدوا الا هؤلاء المسيحيين للاضطلاع بهذه المهامّ الخطيرة التي اصبحت من اشدّ حاجات العمران . فكان لهم من حققوا آمالهم ولبوا مبتغاهم وشفوا صدورهم بنقول في شتى العلوم حتى طوّقوا جيد اوطانهم منها بكل علق نفيس . وكانوا خير الهداة للأمة العربية لدخول قصور العلوم ، فأجزل لهم الخلفاء والامراء الأجواد الهبات وأفاضوا عليهم الصلات .

وهذه الأمة السريانية التي كان صدور علمائها يضطلعون باللغة اليونانية والعلوم الفلسفية والطبيعية على اصنافها ، لم تلقَ عند تلاميذها العروب ما كان يوجبه عليهم حق العلم ، فبدلاً من التصريح باسمها اذا بهم ينحلونها على الغالب اسم النبط والنبطية .

والأنباط جيل من الناس غلبوا الآدوميين في بلادهم الواقعة في الجنوب الشرقي من فلسطين ، وأنشأوا لهم فيها دولة عربية عزيزة الشأن عاصمتها مدينة بطراء (الحجر) المسماة بالعبرية (سلع) ذكرهم ديودورس الصقلي سنة ٣١٢ ق.م[١] واستولى ملكهم الحارث الثالث على دمشق سنة ٨٥ ق . م ثم دخلت دولتهم في حوزة الرومان سنة ١٠٦ او ١١٥ م فتفرق فريق منهم في البلاد ، وكان لهم بعض الأثر في مملكة الرها المعروفة بدولة الأباجرة وغيرها من الامارات الشرقية التي أنشئت في شرقي الفرات . ونزل خلق منهم رستاقاً عظيماً عرف بسواد العراق ، واشتغلوا بالفلاحة ، ثم اختلطوا باهل البلاد وطمس اسمهم ورسمهم بعد زهاء اربعة قرون من الاسلام حوالي سنة ١٠٠٠ م

واختلف المؤرخون في اصلهم ، فأثبت اكثرهم انهم عرب كانوا بالعربية يتكلمون ولكنهم كتبوا بالآرامية باعتبارها لغة ادب ، وهذه اللغة الآرامية كتب بها قبائل واجناس غير النبط كاليهود والتدمريين ، واستعمل خطها الفرس في عهد الدولة الساسانية والمغول[٢] — وهؤلاء المؤرخون المعاصرون لهم كانوا يونانيين ورومانيين وهم ديودورس الصقلي[٣] وسترابون[٤] وتاسيت[٥] وپلين[٦] ، وواطأهم يوسيفوس الكاتب العبري المعروف[٧] . ومالأهم على رأيهم بعض المحدثين واخصهم الالمان المعروفون بالتحقيق والتمحيص ، والاستاذ جرجي زيدان[٨]

وزعم روبنس دوفال الفرنسي وغيره انهم آراميون اختلطوا بالعرب على تراخي الأيام[٩] ؟

---

(١) كتاب العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ٦٨ - ٨٣ واللغات الآرامية وآدابها للقس شابو الفرنسي ص ٢٩ (٢) اللغات الآرامية ص ٥١ (٣) كتاب ثالث : ٤٣ (٤) ٧٧٦ : ١٨ و ٧٦٠ : ٣٤ (٥) ١٢ - ١٢ و ١٤ (٦) التاريخ الطبيعي ٥ : ١١ و ٦ : ٢٨ و ١٢ : ١٧ (٧) التاليق اليهودية ١٣ ، ٥ : ١٠ (٨) اللغات الآرامية ص ٢٩ (٩) فيها وفي تاريخ الرها لدوفال ص ٢٤ - ٢٧

أما اللغة التي كتبوا بها فكانت اسمج اللهجات الآرامية في ما قال العلامة المتبحر ابن العبري الذي سماها الكلدانية النبطية (١)

ومن يطالع الكتابة النبطية التي وجدت مزبورةً على انقاض مدائن صالح وقد زبرت في السنة الأولى قبل الميلاد واوردها الأستاذ جرجي زيدان بنصها وترجمتها (٢) يحكم انها مزيج من لغتين غليظتين عربية وآرامية وان القلم النبطي الذي كتبت به ونحله علماء البحث المعاصرون اسم القلم الآرامي لا يشبه القلم السرياني أصلاً (٣)

ولما التقط بعض لغويي العرب من انباط السواد الفاظاً وسموها في تصانيفهم بميسم النبطية خبطاً منهم واعتباطاً (٤) ويندر تسميتهم اياها بالسريانية غير مبالين بالتمييز بينها وبين السريانية الفصحى

ان هذه اللغة كان موطنها ولاية الرها وحرّان والشام الخارجة اي سورية الفراتية • وكانت دمشق وجبل لبنان وسورية الداخلة اي المجوّفة موطن اللغة السريانية التي يقال لها الفلسطينية (٥)، فلا شك انها بعد تغلب العربية عليها ابقت الفاظاً شتى جرت على يراع الكتاب الثقات ودخلت المعاجم العربية • ولا نقول هذا عصبيةً للغتنا السريانية ولكن بياناً للحقيقة الراهنة •

وقد يشق على بعض الأدباء خزنة فرائد العربية وحفظة مجدها اللغوي ان يروا في لفظة انتسابها الى غير لغتهم، ولا غضاضة في هذا على هذه اللغة الجليلة،

---

(١) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ١٨ - وذكر اكلمنضس هوار في كتابه الآداب العربية ص ٧ ان رحالة الأنباط نقلوا الى بلاد العرب من سورية، القلم السرياني الاسطرنجيلي فتداولته اللغة العربية وذلك في القرن السادس للميلاد (٢) ص ٨١ (٣) ومن شاء الاستزادة من هذا البحث فلينعم النظر في الرسوم الآرامية الثلاثة التي نقلها المسيو هنري بونيون بشكلها وترجمها في كتابه الرسوم السامية رقم ٦٠ و ٦١ و ٨٦ ص ١٠٨ و ١١٣ و ١٥٦ وفي الصفحتين رقم ٢٧ و ٣٥ (٤) مروج الذهب للمسعودي مج ١ ص ١٢٩ و ١٣٦ و ٢٦٦ و ٢٦٧ ومعجم البلدان لياقوت مج ٥ ص ٤٠٧ ومج ٦ ص ١٦٩ (٥) تاريخ مختصر الدول لابن العبري ص ١٨

ذلك ان الناس تعير وتستعير، والأمم تأخذ وتعطي في كل زمان كما قال الاستاذ الألمعي النشاشيبي[١] واية غضاضة تلحق العربية التي احرزت من الغنى اللغوي السهم الأعلى وفازت من السعة والبسطة بالنصيب الأوفى، فضلاً عن كونها ابدع لغات الدنيا سحراً واروعها بياناً، اذا وجد فيها بضع مئات من السريانية وغيرها تسربت اليها بحكم الطبع والوضع واستعيرت لها بدافع الحاجة ؟

وقد انصف الأستاذ البارع السيد عارف النكدي بقوله في بحث له ونصه: « ليست هذه اللفظة بمنطوية على معنى جليل نحرص عليه، وما هي متضمنة تعبيراً دقيقاً نحتاج اليه فنطيل فيها الكلام لندعي نجرها ونحتكر فخرها، غير أن الذي يدعو الى معالجة هذه الموضوعات ليست قيمة الكلمة نفسها، ولكنه هذا الحرص الملح يظهره كثير من الكتاب في كثير من الأحيان ليجدوا للفظة العربية البحتة مخرجاً يخرجونها به من لغتنا ليدخلوها في لغة أجنبية. وما أدري لهذا سبباً الا ان يكون من قبيل رد الفعل لما كان عليه قومنا من قبل، من ادعاء الألفاظ واستلحاقها، بحيث كادوا لا يتركون لفظة اتصلت بهم، ولو كانت في بعض الأحيان علماً على بلد او شخص، وقد زعموها عربية فحاكوا لها صيغة واصطنعوا لها اشتقاقاً، منتحلين في ذلك اسخف السبب متكلفين اضعف النسب، يفعلون ذلك في الأكثر تعصباً للغتهم واعتزازاً بها » اهـ[٢] .

(١) احاديث في اللغة في مجلة المجمع العلمي بدمشق مج ١٩ ص ١٧

(٢) في بحثه لفظة « الفند » في مجلة المجمع العلمي مج ١٩ ص ٤٧٣ - ٤٧٦ ثم انه ذكر من مضحكات هذه التأويلات ما ورد في شرح تاج العروس ٢ : ٤٥٥ في مادة فند واشتقاق لفظة الأفندي منها ! - ومثله قال الأستاذ النشاشيبي مخاطباً بعض مؤلفي المعاجم : « البرهان يا أبا القاسم ليس من البرهرهة (وهي البيضاء من الجواري) وانما هي لفظة استعمرناها في الجاهلية من الجيران » وقال في « السلطان » ما معناه « انه ليس من اللسان السليط الحديد من السلاطة ولا هو من السطوة والحدة ، ومن يتلُ أقوال اللغويين في اشتقاق « السلطان » وتذكيره وتأنيثه وفي كونه مفرداً او جمعاً تطل بلبلته » اهـ وسيمر بك في ما يأتي ادلة صريحة على التمحل والتمحل الذي صار اليه اكبر أئمة اللغة في انكار اعجمية معظم الألفاظ الدخيلة -

فمن كان بعلم أصول اللغات عارفاً وآنس في بيّناتنا مقنعاً ، وافقنا على رأينا راضياً ، ومن آثر حواراً ونقاشاً فلسنا نفرغ له وليبق على مذهبه . ذلك اننا لم نقصد الا بيان الحقيقة اللغوية وتخفيف بعض العناء عن جماعة اللغويين الذين قد تشغلهم اللفظة المرتاب في أصلها أياماً وليالي ، وتستدعي من يراعهم تحبير عشرات الصفحات امعاناً في التنقيب عنها ، وبعد كل هذا قد لا يفوزون بطائل . وكل نقّاب في العربية عليم ، قد اتاه نبأ اختلاف أئمة اللغة العربية في تعليل الاسماء المعجمة حتى الظاهرة العجمة اختلافاً شديداً [1] .

وأما الاختلاف في المعاني والألفاظ فقد صرّح به فخر الدين الرازي في كتاب المحصول فقال « انا نجد الناس مختلفين في معاني الألفاظ التي هي اكثر الألفاظ تداولاً اختلافاً شديداً لا يمكن القطع بما هو الحق . كلفظة الله فان بعضهم زعم انها عبرية وقال قوم سريانية ، والذين جعلوها عبرية اختلفوا هل هي مشتقة أو لا ، والقائلون بالاشتقاق اختلفوا اختلافاً شديداً . وكذلك اختلفوا في لفظ الايمان والكفر والصلاة والزكاة ، فاذا كان هذا الحال في هذه الألفاظ التي هي اشهر الألفاظ والحاجة ماسة اليها جداً ، فما ظنك بسائر الألفاظ » ؟ [2] .

ـ وتكلفهم لاستنباط أصل لها عربي ـ راجع أيضاً معجم الأدباء لياقوت جزء ١ ص ٤٤ : ١-٤٧ ترَ كيف كان الامام اللغوي ابرهيم بن السري المعروف بالزجاج المتوفى سنة ٣١١ هـ ٩٢٤ م يزعم ان كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف ، وان نقص حروف احداهما عن حروف الأخرى ، فان احداهما مشتقة من الأخرى فيقول : الرَجل (بفتح الراء) مشتقة من الرِجل (بكسر الراء) والثور انما يسمى ثوراً لأنه يثير الأرض الخ !! وانت اذا طالعت تخريج بعضهم لحروف الابجدية السريانية المجموعة في ابجد هوّز ، تجد سخافة ظاهرة . (انظر المزهر للسيوطي ٢ : ص ٢١٥ و ٢١٨ و ٢١٩)

(١) راجع مثلاً شرح درّة الغواص للخفاجي ص ١٧٤ في لفظة « شطرنج » والذي عندنا في لفظة السلطان بالسريانية وهي ܫܘܠܛܢܐ Shoultono انها مصدر من فعل ܫܠܛ Shlat تسلط وتفيد معنى الملك والولاية والحكم ومنها أيضاً ܫܠܝܛܢܐ Shalitono بمعنى السلطان فاعلاً ومصدراً وهو باب وسيع

(٢) المزهر لجلال الدين السيوطي ١ : ٦٩ - ٧٠

وأما في تصرف العرب في الاسماء الأعجمية فقد قال الجواليقي في المعرّب «إن العرب كثيراً ما يجترئون على الاسماء الاعجمية فيغيرونها بالابدال . قالوا اسماعيل واصله اشمائيل [١] فابدلوا لقرب المخرج وقد يبدلون مع البعد عن المخرج ، وقد ينقلونها الى ابنيتهم ويزيدون وينقصون» [٢]

ولما كان لألفاظ الديانات اسمان لغوي وشرعي ، ولسائر العلوم اسمان لغوي وصناعي كما قال ابن فارس في فقه اللغة [٣] تحتم على مؤلفي المعاجم الاحاطة بها ، على ان اوسعها لم تتقيد بهذا الشرط في جميع الألفاظ . فعسى ان ينصرف اللغويون الى سدّ هذا الخلل في المعجم الذي ينوي المجمعان العلميان الجليلان المصري والدمشقي وضعه قياماً بحق اللغة .

ودونك الألفاظ السريانية التي عرَّبها العرب واقتبسوها من السريان وأثبتها كتاب ثقات [٤]

* * *

حرف الألف

الأبّ : ܐܶܒܳܐ ébo الثمرة الفاكهة ، والفعل في الكلدانية القديمة ܐܰܒܶܒ abèbe أي أغلّت الأرض واثمرت ، وفي حديث انس بن مالك ان عمر بن الخطاب قرأ «وفاكهةً وأبّاً» وقيل الأبّ من المرعى للدواب كالفاكهة للانسان ، ومنه حديث الاسقف قُسّ بن ساعدة «يرتع ابّاً وأصيدُ ضبّاً» ورد في النهاية لمجد الدين ابن الأثير ص ٩ ، وفي اساس البلاغة للزمخشري مج ١ ص ١ : وتقول فلان راع له الحبّ وطاع له الأبّ اي زكا زرعُه واتسع مرعاه .

---

(١) هو بالسريانية ܐܶܫܡܥܺܝܠ Ichmaïle اشماعيل فمنها اخذه العرب كما ورد في القرآن ولم يغيروه بالابدال (راجع مقالة الفنس منغانه في «اثر اللغة السريانية في القرآن» ص٨)
(٢) المزهر ١ - ١٦٢ (٣) فيه ص ١٧٢ (٤) وقد تركنا جانباً الفاظاً شتى سريانية الأصل استعملها السريانيون والكلدانيون والروم والأقباط في تآليفهم الدينية

ودونك ما قاله احمد بن فارس الرازي في كتابه « مقاييس اللغة » ص ٧٠ في بحث هذا الحرف : « اعلم ان للهمزة والباء في المضاعف اصلين ، احدهما المرعى والآخر القصد والتهيؤ . فأما الاول فقول القرآن : « وفاكهةً وأبّاً » قال ابو زيد الانصاري : لم اسمع للأبّ ذكراً الا في القرآن . قال الخليل وابن زيد او ابن دُرَيد : الأَبّ المرعى وأنشد ابن دُريد شعراً :

جِذْمُنا قيسٌ ونَجْدٌ دارُنا ولنا الأبُّ به والمَكْرَعُ

وانشد شُبيل بن عزرة لأبي داود :

يرعى بروض الحزن من أبّه قربانه في عانة تصحب

اي تحفظ . قال ابو اسحق الزجّاج (الأبُّ) جميع الكلأ الذي تعتلفه الماشية (كذا) رُوي عن ابن عباس . فهذا اصل .

واما الثاني فقال الخليل وابن دُريد : الأبُّ مصدر أبّ فلان الى سيفه اذا ردّ يده اليه ليستله . وقال احمد فارس الشدياق في (سر الليال) :

(والأبُّ) للكلأ من معنى القصد . ولك ان تقول انه من معنى الحركة المقرونة بالاشتياق ، اذ هو عند العرب من اعظم ما يُتشوق اليه ، ولهذا قال « ثم شققنا الأرض شقاً فأنبتنا فيها حباً . . . وفاكهةً وأبّاً » [1] وعدّ السيوطي (الأبّ) من الألفاظ الاعجمية التي وقعت في القرآن (الاتقان ص ١٣٨)

إبّار : ܐܒܳܪܳܐ aboro الأسرب : لفظة سريانية . جاء في تاج العروس ٤ : ٤٠٠ الرصاص ضربان اسود وهو الأُسرب والآبار ، وابيض وهو القلعي والقصدير . وقال الحسن ابن بهلول الطيرهاني الكلداني في معجمه مج ١ ص ٢٠ الآبار به يُكسر الماس .

أبزن : ܐܘܙܢܐ و ܘܙܢܐ wazno , ouzno لفظة سريانية معناها : مغسل أبزن جرن ، حوض وتستعمل عند السريان لجرن للمعمودية كما ورد في

(١) ابّ اي اشتاق مما اشتركت فيه اللغتان السريانية والعربية : ܝܐܒ : Yièbe

كتاب « صلاة المعاد » وقال فيها ابن بهلول عن حُنين وابن سروشوَيه « الحوض الذي يعمد فيه الأطفال ، ايزن » وخلت منها المعاجم العربية ولكنها وردت في معجم البلدان لياقوت مج ٦ ص ٤٠٧ « قال حمزة الاصبهاني في كتاب التنبيه : كان كلام الفرس قديمًا يجري على خمسة السنة ... واما الخوزية فهي لغة اهل خوزستان وبها كان يتكلم الملوك والأشراف في الخلاء وموضع الاستفراغ وعند التعري للحمام والآبزَن والمغتسل » اه وذكرها الخفاجي في شفاء الغليل عن البخاري ص ١٤ « قال انس ان لي ابزنا اتقحم فيه وأنا صائم » .

أَبَل : ܐܒܠ ébal سريانية : زهد تنسك حزن اغتمّ . يقال أَبَل الرجل أَبالةً تنسك وترهب اورده اللسان والتاج وذيل اقرب الموارد . ومثله ܐܬܐܒܠ éthébel تأبّل : وفي الحديث : تأبّل آدم على ابنه المقتول كذا وكذا عامًا : حزن — وجاء في النهاية لابن الاثير ١ : ١١ « وتأبّل عن النساء توحش عنهن وترك غشيانهنّ » ومثله في التاج ٧ : ١٩٩ وقال صاحب أساس البلاغة ١ : ٢ « تأبّل فلان اذا ترك النكاح ولم يقرب النساء ، من ابلت الابل وتأبلت اذا اجتزأت بالرُّطب عن الماء » ومنه :

الأَبيل : ܐܒܝܠܐ abilo الحزين وارادوا به المغموم على ما اسلف من ذنوب ، والزاهد والناسك ومنه قيل للراهب ابيل ، وقد أَبُل أَبالةً فهو ابيل كما تقول فقُه فقاهةً فهو فقيه . وفي لسان العرب ١٣ : ١٦ وكانوا يعظمون الابيل فيحلفون به كما يحلفون بالله . وسمى بعضهم السيد المسيح ابيل الابيلين ، قال عمرو بن عبد الحق ويُروى للأعشى :

وما سبَّح الرهبان في كلّ بيعةٍ ايلَ الابيلين المسيحَ بن مريما

ياقوت (٤ : ٧٨١) ومثل الابيل : الابيَلي والابيُلي والهيبلي

واما قول ابن دُريد صاحب الجمهرة ص ٣٣٩ ان الابيل الذي يضرب بالناقوس مستشهداً بقول الأعشى :

فاني وربِ الساجدين عشيةً وما صكّ ناقوس النصارى ابيلُها

فليس بصواب وانما هو الناسك المترهب وكان بعض هؤلاء يقيم في البيعة فيتولى الضرب بالناقوس ٠

أترّج وتُرُنج : ܐܬܪܘܓܐ étrougo فاكهة معروفة وقال فيه الامير مصطفى الشهابي في معجم الالفاظ الزراعية : ثمر شجر بستاني من جنس الليمون ناعم الورق والحطب ٠ وفي كتاب ملتقى اللغتين ص ٣٥٦ الاترج والترنج اصلها اتروغ كلة آرامية ٠ وعدّه السيوطي من الأسماء المعربة(١) ٠

اتون : ܐܬܘܢܐ atouno سريانية مخففة التاء : اخدود الجيّار والجصّاص ونحوه : وفي سفر التكوين « يصعد كدخان الاتون » ١٩ ـ ٢٨ وفي نبوة دانيال « في وسط اتون نار متقدة » ٣ : ٦ وجاء في كتاب المُعرب في ترتيب المُعرب لبرهان الدين المطرّزي المتوفى سنة ١٢١٣ م « الأتون مقصور مخفف على فَعول موقد النار ويقال له بالفارسية كُلخن وهو للحمام ويستعار لما يُطبخ فيه الآجرّ ويقال له بالفارسية توتو وداشوزن٠ والجمع أتاتين بتائين باجماع العرب عن الفراء ـ وعلق الاب انستاس الكرملي عليه بقوله : « المشهور ان أتُون المخفف يُجمع على أُتُن كعنُق ، واما اتّون المشدد كسفّود فيجمع على اتاتين » (مجلة المجمع مج ١٧ ص ١٠٠) وقال الخفاجي في شفاء الغليل ص ١٥ اتّون بالتشديد مولّد وتردد فيه الجوهري ٠

أثفيّة : ܬܦܝܐ tfoié احجار ثلاثة تُنصب عليها القِدر ، وفيها لغات ܬܦܝܐ و ܬܐܦܐ tafio tfaio والفعل tfo ثفّى

إجّار : ܐܓܪܐ égoro سريانية : السطح الذي لاسترة عليه : وفي المخصص لابن سيدة : ٥ : ١٢٦ السطح لا حاجز عليه : وفي قاموس الفيروزابادي ١ : ٣٦٢ السطح كالانجار ج أجاجير واجاجرة واناجير

(١) المزهر ١ : ١٦٦ واعتبره بعضهم فارسي الأصل (شرح الفصيح للمرزوقي) فيه ص ١٦٤

إجّاص : ܐܓܣܐ agoço شجر وثمر معروفان ، دخيل معرب لأن الجيم والصاد لا يجتمعان في كلمة واحدة «القاموس ٣ - ٢٩٤ » والمصباح ١ - ١٢ سريانية . وفي المزهر ١ : ١٦٠ ليس الجص ولا الاجاص بعربي

إجّانة : ܐܓܢܐ agono ، ܐܓܢܬܐ agonto سريانية جاء في الدليل للقس يعقوب منّا اجّانة ، حبّ ، دنّ . وقال فيها المطران توما اودو الكلداني في معجمه « كنز اللغة السريانية » اناء كبير من حجر او خزف او خشب او نحاس يوضع فيه الخمر والماء والعجين والطبيخ وما اليه . وقال الاسكافي في مبادئ اللغة ص ٥٦ ويقال اجّانة خزف وقد تكون من صفر . وقال البيروني في الآثار الباقية من القرون الخالية ص ٢٩٣ في صفة العماد « فان اساقفتهم وقسوسهم يملأون اجّانة ماء ويقرأون عليه . وفي فتوح البلدان للبلاذري ص ٢٩٧ وقيل ان الاجّانة التي في المسجد حملت على فيل وأُدخلت في هذا الباب . وفي طبقات الأطباء لابن ابي اصيبعة ١ : ١٤١ تقدم بان تجعل اجاجين السيلان في سطوح الدار ، واراد بالسيلان الدبس السيلاني . وفي انجيل مار يوحنا ٢ : ٦ وكان هناك ست اجاجين من حجر موضوعة لتطهير اليهود . فمن هذه الأدلة ترى ان تعريف المصباح واقرب الموارد ، انه اناء تغسل فيه الثياب . ثم استعير ذلك وأُطلق على ما حول الغراس ، فقيل في المساقاة : على العامل اصلاح الاجاجين ، والمراد ما يحوّط على الأشجار شبه الاحواض ، هو تعريف ناقص . ويقال فيها الايجانة والانجانة (القاموس ٤ : ١٩٥) واللغة الأخيرة دارجة عند اهل العراق للاناء تغسل فيه الثياب ولا يكون الاّ من حجر ، وقال صاحب المصباح والانجانة لغة تمتنع الفصحاء من استعمالها .

أجَم : ܐܓܡܐ ogmo حوض ، غدير ، سريانية وفي نبوة اشعيا ٤٤ : ٣ «وأُحدثُ في البدو آجاماً في الأرض العطشى ماءً معيناً » (كتاب الدين والدولة ص ٨٩ وقد اورد مؤلفه علي بن ربّن الطبري ترجمة قديمة طبعت على

غِرار الفصاحة ، وفي فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٠١ سمي ما استأجم من شق طريق البريد آجام البريد ، ومثله نقل صاحب معجم البلدان ١ ٥٤ وزاد : جمع أَجَمَة وهو منبت القصب الملتفّ . وقال الفيومي الشجر الملتفّ .

إِرَان : ܐܪܽܘܢܳܐ orouno سريانية من اصل عبري معناها : تابوت نريد به خاصة التابوت اي الصندوق الذي كان فيه عهد بني اسرائيل وهو في العبرية الإِرُون . وقال فيه التبريزي في شرح المعلقات ص ٣٣ الإِران تابوت كانوا يحملون فيه ساداتهم و كبراءهم دون غيرهم وقال الشارح : الاران سرير موتى النصارى وقال الشرتوني في معجمه : تابوت خشب كانوا يحملون فيه موتاهم وقال صاحب التاج عن ابي عمرو ٦ ـ ١٣١ تابوت يدفن فيه النصارى . وجاء في ذيل اقرب الموارد : والتبَوت كصَبور لغة فيه وتابوت الميت للصندوق الذي يُجعل فيه جثته [1] .

أُرُزّ ، رُزّ : ܪܽܘܙܳܐ ، ܪܽܘܙܳܐ rozo , rouzo هكذا ضبطه ابن شملي واورد ابن بهلول لغة فيه ܐܽܘܪܽܘܙܳܐ orouzo جاء في معجم الأَلفاظ الزراعية : جنس نباتات عشبية مائية من فصيلة النجيليات تُزرع لحبها المشهور . قال ياقوت في معجم البلدان ٢ : ١٩٤ في وصف مدينة البصرة عن نافع بن الحارث « فدخلنا الاجمة فاذا زنبيلان في احدهما تمر وفي الآخر ارزّ بقشره فجذبناهما حتى ادنيناهما من القصر ، واخرجنا ما فيهما . فقال عُتبة يعني الأُرزّ هذا سمّ اعده لكم العدوّ فلا تقربنّه . فأخرجنا التمر وجعلنا نأكل منه . فاننا لكذلك فاذا بفرس قد قطع قياده واتى ذلك الأُرز يأكل منه . فلقد رأيتنا نسعى بشفارنا نريد ذبحه قبل ان يموت . فقال صاحبه امسكوا عنه احرسه الليلة فان احسست بموته ذبحته . فلما اصبحنا اذا الفرس يروث لا بأس عليه . فقالت اختي يا أخي

(١) مما يُستدرك على صاحب التاج قوله في ارجان ٢ : ٥٠ بلد بين فارس والاهواز بها قبر ارجيان حواريّ عيسى عليه السلام ا هـ فلا حواريّ بهذا الاسم ولم يرد في تاريخ النصرانية بلوغ الدعوة المسيحية الى ارجان في ايام الحواريين :

اني سمعت ابي يقول ان السمّ لا يضرّ اذا نضج فاخذت من الأرز توقد تحته ، ثم نادت الا انه (يتفصّى) من حبيبة حمراء ، ثم قالت قد جعلت تكون بيضاء فما زالت تطبخه حتى انماط قشره فالقيناه في الجفنة . فقال عتبة اذكروا اسم الله عليه وكلوه فأكلوا منه فاذا هو طيب قال فجعلنا بعد نميط عنه قشره ونطبخه . فلقد رأيتني بعد ذلك اعدّه لولدي » اهـ . فمن هنا تعلم ان العرب لم تكن تعرف للارزّ طعاماً ولا اسماً فاخذت اسمه من السريانية . وقال الخفاجي في شفاء الغليل ص ١٤ انه معرب وذكره ابو منصور [١]

إرْزَبّة : ܐܪܙܦܬܐ arzafto مطرقة ، عصية من حديد وقال ابن بهلول تعني المطرقة من خشب من آلات النجار .

أرْفيّ : ܐܪܦܐ arfo سريانية معناها : من يمسح الأراضي ويعين حدودها (عن قاموس الدليل) والألباب للقس جبرائيل قرداحي مج ١ ص ٧٢ وفي القاموس : الأُرفة بالضم الحدّ بين الأرضين ، والأُرفيّ كقُمْريّ الماسح ، وأُرّف على الأرض تأريفاً جعلت لها حدود وقسمت . وفي أقرب الموارد : أرّف الدار والأرض قسمها وحدّدها . وهو مؤارفي : حدّه الى حدّي في السكنى والمكان ، وفي حديث جابر : اذا أُرّفت الحدود فلا شفعة . والارف : المعالم [٢]

إزْدَهِر : جاء في التاج : الازدهار بالشيء الاحتفاظ به ، وفي الحديث ازْدَهِر بهذا فان له شأناً وقيل الازدهار بالشيء الفرح به وليس هذا بصواب ، وقيل ان تأمر صاحبك ان يجدّ في ما امرته . قال ابو عبيد ازدهر : كلمة ليست

(*) الاَدَمة : قال في القاموس ٤ : ٧٣ الادَمة : محركة باطن الأرض وقال الشرتوني : ادَمة الأرض وجهها . ومما يستدرك عليها التصريح باصلها العبري ومنه أخذت السريانية ܐܕܡܬܐ ademtho ومعناها : تراب احمر حرّ ويرادفها ܥܦܪܐ ، ܡܕܪܐ medro , âfro مَدَر ، عفر .

(١) في شرح الفصيح للمرزوقي الاترج فارسي معرب قال وقيل ان الارز كذلك [المزهر ١ : ١٦٤] ولكن الثعالبي لم يذكرهما في فقه اللغة

(٢) شفاء الغليل للخفاجي ص ٢٨

بعربية كأنها نبطية او سريانية · وقال ابو سعيد هي كلمة عربية · وقال ثعلب ازدهر بها اي احتملها قال وهي كلمة سريانية ، وورد في اساس البلاغة ٢ : ٤١٣ ازدهر به احتفظ به واجعله من بالك قال جرير :

فانك قَيْن وابن قَيْنين فازدهر بكيرك ان الكير للقَيْن نافعُ

يريد انك حدّاد وابن حدادين فاحتفظ بزَقّك فانه ينفعك · ومثله قال ابن عبيد · وصوابه ان اللفظة سريانية وهي صيغة امر من فعل ܐܙܕܗܪ ezdhar ومعناه تحفّظ تحذّر ، حرص ، اعتنى وامتنع فتفسيرها : حذارِ · واذا كانت من فعل ܐܙܗܪ zahar تحذّر وتحرّز واحتفظ واعتنى فتفيد ايضاً معنى : الاحتفاظ والاعتناء ·

آس : ܐܘܣܐ oço نبات معروف برّي وُيزرَع وثمره يسمى حب الآس وهو يؤكل وفيه عفوصة · قال صاحب الجمهرة ١ : ١٧ احسبه دخيلاً [١] ، قلنا هو سرياني ، وفي نبوة اشعيا ٤٠ : ٢ « وأنبت في القفار البلاقع الصنوبر والآس والزيتون » في كتاب الدين والدولة ص ٨٩

أسا : ܐܣܐ âci داوى عالج أبرأ والفاعل :

آسٍ وآسي ܐܣܝܐ ocio طبيب وصناعته ܐܣܝܘܬܐ ocioutho وفي مقاييس اللغة : أسوت الجُرحَ اذا داويتُه ولذلك يسمى الطبيب الآسي : قال الحُطيئة :

هم الآسونَ امَّ الرأس لما تواكلها الأطبّـة والإماء

اي المعالجون ، كذا قال الأموي · سريانية ومثلها عبرية

أُسكُفّة : ܐܣܩܘܦܬܐ escoufto عتبة الباب التي يوطأ عليها : وفي مبادئ اللغة للاسكافي ص ٣٨ الاسكفة الخشبة التي تضم المضادتين من اسفل ، والعتبة التي تضمها من فوق · قال ثعلب هي من قولهم استكفّ به القوم احدقوا ·

(١) في المزهر للسيوطي ١ : ١٦٧ قال في الجمهرة [الآس المشموم] احسبه دخيلاً على ان العرب قد تكلمت به وجاء في الشعر الفصيح ·

وقال علي بن سيدة في المخصص ٥ ـ ١٣١ هذا من اقبح الغلط والحش الخطأ لأن استكفَ ثنائية من ك . ف واسكفة ثلاثي من س . ك . ف وليس في الكلام اسفْعلة فتكون السين زائدة اه وقال السيوطي في المزهر ٢ : ٢٣١ وذهب ثعلب في قوله اسكفّة الباب الى انها من قولهم استكفّ اي اجتمع ، وهذا امر ظاهر الشناعة ، لان اسكفة افعلة والسين فيهما فاء وتركيبها من سكف . واما استكف فسينه زائدة لأنه استفعل وتركيبه من كفف ، فاين هذان الاصلان حتى يجتمعا اه

وحسبك بهذا التمحّل من الشارح والناقدين من الشطط لأن اللفظة اعجمية سريانية لا شأن لها مع استكف وسكفَ . وصاغ العرب منها فعلاً قالوا : وما تسكّفت بابه ولا اتسكّف له بيتاً (اساس البلاغة ١ : ٤٥١) وجمعها اسكفات (المصباح)

أَسَل : ܐܣܠܐ ouçlo جنس نباتات عشبية تنبت في المناقع وتستعمل اوراقها الاسطوانية الطوال المنتصبة لصنع السلال وغيرها (معجم الالفاظ الزراعية عن المفردات) ورد في سفر اشعيا ٩ : ١٤ النخل والاسَل ، وذكرها حنين في تحرير مسائله : وفي مقاييس اللغة لابن فارس : قال الخليل الأسل الرماح قال وسميت بذلك تشبيهاً لها باسَل النبات ، وكل نبت له شوك طويل فشوكه اَسَل (مجلة المجمع ١١ ـ ٣٥٢) هي سريانية

إشنيام : ܐܫܟܢܬܝܡܐ ، ܐܫܬܝܡܐ échathīamo , échtimo لفظة مركبة من لفظتين سريانيتين معناهما اللفظي : قعر البحر ارادوا بها : مدبر السفينة بعد الرُبان ، والغوّاص في قعر البحر في سبيل نجاتها اذا اقتضت الحاجة . قال الحسن بن بهلول في معجمه مج ١ ص ٣٠٢ «وجدت هذه اللفظة في امثال الآراميين» والاشتيام هو صاحب المتاع المحمول في السفينة ، وفي الهامش : الاستيام ، بالمهملة : وهو خليفة تاجر الصحراء على الثمرة وهو الذي يحمل الفواكه

الى دُور البِطّيخ ويقبض الحواصل بمبالغ الوزن والتمر من البندار اي الحائط » .
وترجمه المطران ايليا ابن السني المتوفى سنة ١٠٤٩ م في ترجمانه بلفظة ܩܘܒܪܢܝܛܐ coubarnito اي الملاّح النوتي رُبان السفينة ، وفسره صاحب اللباب ٢ : ٥٩٩ بصاحب وسق السفينة وقال فيه مؤلف الدليل ص ٤٤ صاحب وسْق السفينة ، خليفة تاجر الصحراء ، ووكيله يحمل له الاثمار الى الاهراء لوقت الغلاء باجرة معلومة – وخلا منه معجم كنز اللغة السريانية للمطران توما اودو – وقال فيه اللسان « والاشتيام رئيس الركاب . ولم اعرف اصل هذا الحرف أعربي ام معرّب ، ولم ينصوا على شيء منه – ولعله ان كان خاصاً برئيس الملاحين ، ان يكون مشتقاً من الشتم لكثرته في هذه الطائفة ورؤسائها » اه!
فعلق الجهبذ الدكتور مصطفى جواد عليه بما نصه « وفي القول فكاهة لا علم ، وصورة « الشتم » اعني الشين والفاء والميم ابعد عن « الاشتيام » منها عن « الاستيام » التي تصلح لعبارات البحارة والتجارة – وقد خفَتَ صوت « الاشتيام » لشيوع « الرُّبان » و « الناخذة » بين « البحارة » اه [1]

وصرح بحقيقة معناه صاحب كتاب « العين » الليث بن سيار المتوفى سنة ١٧٠ هـ ٧٨٦ م في باب الجيم والسين مع الياء قال « السيبجي والجمع السيابجة قوم جُلداء في السند يكونون مع اشتيام السفينة البحرية ، والاشتيام رأس ملاّحي السفينة وهو بالنبطية (!) (اشتياما) اه وعنه نقل الجواليقي في المعرّب ص ١٨٣ .

ووردت هذه اللفظة في تاريخ الطبري ست مرات : قال في حوادث سنة ٢٥١ هـ ٨٦٥ م « ولخمس بقين من صفر دخل من البصرة (الى بغداد) عشر سفائن بحرية تسمى البوارج في كل سفينة اشتيام وثلاثة نفاطين ونجار وخباز وتسعة وثلاثين رجلاً من الجذافين والمقاتلة » مج ١١ ص ١١٢ طبعة مصر . وفي حوادث سنة ٢٦٥ (٨٧٨) واستخلف (الجبائي) على الشذوذات الاشتيام الذي يقال له

(١) مج ١٩ ص ٢٦٤ من المجلة في بحث له عنوانه اقول في [المقول]

الزنجي بن مهربان» ص ٢٥٢ ـ وفي صفحة ٢٦١ «قال محمد بن حماد فحدثني اخي اسحق بن حماد ومحمد بن شعيب الاشتيام في جماعة كثيرة ممن صحب ابا العباس في صفره ٠٠٠» وركب ابو العباس سميريته ومعه محمد بن شعيب الاشتيام ٠٠ وص ٢٦٣ قال محمد بن شعيب الاشتيام وكنت فيمن تقدم يومئذ اﻫ وص ٢٦٢ في حوادث سنة ٢٦٧ (٨٨٠) «خرج الجبائي وسليمان في الشذوات والسميريات، وقد كان ابو العباس احسن تعبئة اصحابه ٠٠٠ وامر اشتيامه محمد بن شعيب باختيار الجذّافين لهذه الشذاة» اﻫ

وجمع اشتيام اشاتمة قال شمس الدين المقدسي المعروف بالبشاري في كتابه «احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم» طبعة ليدن ص ١٠ «وصاحبت مشائخ فيه وُلدوا ونشئوا من رُبانين واشاتمة ورياضيين ووكلاء وتجار»

ووقعت اللفظة في قصيدة للبحتري مدح بها احمد بن دينار بن عبد الله قال:

يغضون دون الاشتيام عيونهم وقوف السماط للعظيم المؤمر

اي بين يدي الاشتيام. ديوانه طبعة بيروت مج ١ ص ٣٣٩ وفي سبيل تحقيق هذه اللفظة خاض الأساتذة المغربي والجندي والكرملي اعضاء المجمع العلمي في بحوث مسهبة وقعت في ٣٩ صفحة نشرتها مجلة المجمع في الاجزاء ٥ و ٦ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٢ ص ٢٤٥ و ٤١٩ و ٥٠٥ من المجلد ١٧ سنة ١٩٤٣ وكان الكرملي قد كشف معناها ٠ ومن اجل هذا تبسطنا في البحث عن هذه اللفظة السريانية القديمة من العصر الآرامي واستعارها العرب واستعملوها حتى المئة الثالثة عشرة للميلاد ثم أُهملت وتنوسيت فغمض معناها على المعاصرين ٠

وكانت تعني: رُبان السفينة ورأس الملاّحين، ورئيس المراكب البحرية والحربية، وان شئت فقل امير الماء ـ بحسب تعبير الكرملي ـ وصاحب وسق السفينة وخليفة تاجر الصحراء على الثار ٠

أَشنَة: ܚܢܬܐ chintho: عطر ابيض كأنه مقشور عن عِرق: سريانية

أشُوْل : ܐܫܠܐ achlo قَلْس : حبل السفينة ، الحبال كان يُذرَع بها ، سريانية وقال القاموس انها نبطية

اصحاح : ܨܚܚܐ shoho لفظة معربة عن السريانية بمعنى فصل من الكتاب ولم ترد الاّ في الاسفار المقدسة ج اصحاحات

أصيص : ܐܨܝܨܘܬܐ oçoutho جفنة قصعة (الدليل) مِجن (اللباب) اواني من خشب او من خزف (ابن بهلول) وفي معجم الألفاظ الزراعية ص ٥١٣ مِرْكَن وهو وعاء من خزف غالباً يُزرع فيه نباتات الزهر ، وسماه ابن العوّام القِدر والاجانة والقصرية (المجلة ١٧ — ٣٢٠)

إضّ : ܐܨ yaço · اصل ، قوم ، عشيرة قبيلة · اظن اصل اللفظة سريانياً ولا أقطع به ·

أكّار : ܐܟܪܐ acoro الحرّاث والفعل أكَر acar والاسم ܐܟܪܘܬܐ acoroutho

إكارة : الإكارة · قال ابو حنيفة : الإكارة كالفلاحة والاكّار كالفلاّح مأخوذ من الأكرة وهي الحُفْرة (ابن سيدة ١٠ — ١٥٠) واللفظة ومشتقاتها سريانية · ورد في نبوة ارميا ٥١ : ٢٣ «وابدّد بك الأكار وفدّانه» كتاب الدين والدولة ص ١٠٩ — وفي كتاب فتوح البلدان للبلاذري ص ١٥١ فدعا قوماً من مزارعيها واكرتها · وفي طبقات الاطباء ١ : ١٦٢ هذا كان اكاراً لي ·

أكاف : ووِكاف ، برذعة الحمار والجمع أُكُف ، وفي الأساس ١ : ٦١ كأنهم حُمُرٌ مؤكَّفة · ܐܘܟܦܐ oukfo ، سريانية

إمَّر : ܐܡܪܐ émro ، حَمَل : سريانية ، الصغير من ولد الضان (المخصص ١٣ : ٢٥١)

آمَنَ : آمَنَ به صدَّقه ووثق به ، والايمان التصديق مطلقاً والمؤمن المصدِّق . وقد انصح عنه ابن الأنباري والزمخشري والسيوطي انه فعل سرياني محض . اي بمعنـاه الشرعي ܗܰܝܡܶܢ haïmen والمصدر ܗܰܝܡܳܢܽܘܬܳܐ haimonoutho ايمان [1] والفاعل : ܡܗܰܝܡܢܳܐ mhaimno المؤمن

أُنبُوب : قناة الماء ، ناي ؛ ما بين الكعبين من القصب والرمح ، ومن النبات ما بين عقدتيه (الليث والصحاح وتاج العروس ١ : ٤ ـ ١ ومنه انبوب الحوض لمسيل مائه او على التشبيه بانبوب القصب ܐܰܒܽܘܒܳܐ بحذف نونها aboubo [1]

أَنْدَر : بيدر ، (شاميّة) الارض التي تُدرس عليهـا الحبوب بالنورج

---

(١) مرّ بك قول فخر الدين الرازي اختلافهم في لفظ الايمان [ص ١٦٨] وقال السيوطي ان العرب انما عرفت المؤمن من الامان والايمان وهو التصديق ، ثم زادت الشريعة شرائط وأوصافا بها سمي المؤمن بالاطلاق مؤمناً [المزهر ١ – ١٧٢] وقالوا في المصدر أيضاً « امانة » ارادوا بها ما فرض على العباد من الفرائض ومنه « وانا عرضنا الامانة على السموات والأرض » وقاموس الفيروزابادي ٤ : ١٩٧ واقرب الموارد ١ : ٢٠ وتجد كلمة الامانة بمعنى الايمان تداولها كتاب مسيحيون ، قال ابن العبري في تاريخ مختصر الدول ص ١٣٦ « فاجتمع ثلثمائة وثمانية عشر اسقفاً . . . ورتبوا الامانة المشهورة » يريد « دستور الايمان » وقال ايليا ابن السني مطران نصيبين في كتابه « المجالس السبعة » [وفي المجلس الأول قال الوزير ابو القاسم الحسن بن علي المغربي : اليس تقولون الامانة التي قررها ودوّنها الثلثمائة والثمانية عشر] وذكر ابرهيم بن يوحنا الانطاكي الملكي في الميمر الذي مدح به مار غريغوريوس النوسي مار افرام السرياني « الامانة والرجاء والمحبة » [ميامر مار افرام ، مخطوط في خزانتنا] وقال الاسقف سويرا ابن المقفع القبطي في كتاب سير البطاركة ص ٦١ « والأمانة المحيية » وابو شاكر ابن الراهب القبطي في تاريخه ص ١١٠ « وقد تعمدا بامانتك »

(٢) نستدرك على الجواليقي صاحب المعرّب ص ٢٣ - ٢٤ وعلى الخفاجي الذي نقل عنه في شفاء الغليل ص ١١ زعمه ان « الانجيل » اعجمي معرب وقال بعضهم انه كان عربياً فاشتقاقه من النجل وهو ظهور الماء على وجه الأرض واتساعه ، أو من النجل وهو الاصل فهو مستخرج به علوم وحِكَم أو أصل لعلوم وحِكَم ! على ان الكلمة يونانية الاصل اصلها « اونجيليون » مركبة من كلمتين معناها البشرى الحسنة كما علق شارح الكتاب .

او بالدقّ او بارجل الدواب . (معجم الالفاظ الزراعية ص ٢١) وردت في ترجمات الانجيل [١] : « وينقّي أندَرَهُ » انجيل متى ٣ : ١٢ ولوقا ٣ : ١٧ وفي كتاب العنوان للمطران اغابيوس المنبجي الرومي ص ٧٨ « ان الله أوحى الى داود ان يشتري ذلك الأندر « ܐܕܪܐ : édro بحذف النون .

الآنُك : ܐܢܟܐ onco الرصاص القلعي ، رصاص ابيض خالص او اسود (المخصص ١ : ٣٥) وفي مبادي اللغة للاسكافي ص ٥٨ الآنُك والصِّرفان : الأُسرب . وصيغ منه الفعل : طلى ، بيّض بالآنُك (الدليل) [٢]

إبّل ، أيّل : ܐܝܠܐ ج ايايل ، حيوان مجترّ من فصيلة الايّليات (المعجم ٢١٤) ورد في سفر التثنية « الظبيُ والإيّل » ١٢ : ١٥

(يتبع) مار اغناطيوس افرام الاول برصوم

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس



---

(١) القديمة والشدياقية والموصلية .

(٢) يستدرك على المصباح قوله ص ١ ؛ - ٢ ؛ في آمين : معناه اللهم استجب وقال ابو حاتم معناه : كذلك يكون ، وعن الحسن البصري انه اسم من اسماء الله تعالى . ووهم ابي العباس احمد بن يحيى في قوله « وآمين مثل عاصين » لغة وردّ ابن جني عليه . فان الكلمة عبرية معناها : كذلك يكون . وينقض قول الشرتوني ص ٢٠ والخفاجي ص ١٣ انه اسم فعل .

ويستدرك ايضاً على قول ابن حاتم في « اهيا اشراهيا » اظن اصله بالسريانية [المعرّب للجواليقي ص ٥٨ ٣] فانه ܐܗܝܐ ܐܫܪ ܐܗܝܐ ahiah echrahiah ومعناه : الموجود الكائن أو الأزلي الدائم ، وهو مركب من كلمتين عبريتين وردتا في التوراة ، ومن العبرية اخذتها السريانية بلفظها .

كنوز الأجداد

- ٨ -

ابن الداية

احمد بن يوسف الكاتب

(٣٣٠)

كان يوسف بن ابراهيم والد احمد بن يوسف المعروف بابن الداية ولَد داية ابن المهدي العباسي وكاتب ابراهيم بن المهدي ورضيعه ومدبّر امواله وضياعه يُعَدّ من كتاب الدرجة الأولى ، له كتاب الطبيخ وكتاب اخبار ابراهيم بن المهدي . وانتقل من بغداد الى مصر ولم يعرف سبب انتقاله ولا سنة هجرته وغاية ما عُلم انه جاء دمشق سنة ٢٢٥ ولعل في هذا العام كانت هجرته من بغداد

كان يوسف من اهل المروآت التامة والعصبيات العظيمة ، وكان متمولاً ابتاع الضياع وتقبّل المزارع فنمت امواله وافضل منها على عُفاته ، فكان يجري على عشرات من أهل الستر من الأشراف وغيرهم في مدينة الفسطاط . حبسه ابن طولون مرة في بعض داره ، وكان اعتقال الرجل في داره يؤيس من خلاصه فجاء جماعة الى احمد بن طولون وبكوا وطلبوا اليه ان يقتلهم ان كان معتزماً على قتله . وقالوا ان لهم ثلاثين سنة ما فكروا في ابتياع شيء مما احتاجوا له ولا وقفوا بباب غيره . وكل هذا يزيد في خوف ابن طولون من يوسف بن ابراهيم فيقوم في نفسه انه عَيْن عليه يتسقط أخباره وينهي بها الى بغداد وهو من صنائع خلفائها وربيب نعمتهم .

ولما هلك يوسف بن ابراهيم اخذ ابن طولون صندوقين من كتبه ، وبين يديه رجل من اشراف الطالبيين ، فوقع على دفتر جراياته على الأشراف وغيرهم فوجد اسم الطالبي في الجراية فقال له : وكانت عليك جراية بوسف بن ابراهيم ؟ فقال له : نعم أيها الأمير ، دخلت هذه المدينة وأنا مملق ، فأجرى عليّ في كل سنة مائتي دينار ، أسوة بابن الأرقط والعقيقي وغيرهما ، ثم امتلأت يداي بطَول الأمير فاستعفيت منها .

في هذه البيئة الرَّوِيَّة بمكارم الأخلاق ، العريقة في الآداب والفضل ، نشأ احمد بن يوسف في نعمة سابغة ، وسراوة ظاهرة ، تخرج في الآداب ، وتفنن في اخذ العلوم ، فجاء كاتباً سرياً ، وشاعراً مجيداً ، وطبيباً نطاسياً ، يحكم الرياضيات ، ويحذق الطبيعيات ، ويعلم النجوم . وصفه بعض واصفيه بانه مجسطي أوقليدمي ، وكان يعرف في العراق بالمهندس . ذكروا انه عرف بالشعر ولم يذكروا أن انشاءه فوق كل هذا . ولم يصلنا من شعره سوى بضعة ابيات قالها على البديهة لما خرج عليه الأعراب في بعض أرجاء مصر وأنقذه المُخَفِّرون من شرهم فقال فيهم :

جزى الله خيراً معشراً حقنوا دمي وقد شُرعت نحوي المثقفة السُّمرُ
دراهمهم مبذولة لضيفهم وأعراضهم من دونها الفَقْرُ والسترُ
اذا ما اغاروا واستباحوا غنيمة اغار عليهم في رحالهم الشكر
وان نزلوا قطراً من الأرض شاسعاً فما ضرهُ الا يكون به قَطْرُ

وكان كتب الى صديقه ابي الفياض سوّار بن شُراعة الشاعر لما اعتزم الرجوع الى بغداد مقدار خمسين ورقة من شعره ، وكان يستحسنه ويعجب به ولم يؤثر منه الا بيت واحد :

ظَلِلنا بها نستنزل الدنَّ صفوها فينزل اقباساً بغير لهيب

كتب احمد بن يوسف سيرة احمد بن طولون وسيرة ابنه ابي الجيش خُمارويه

وسيرة هارون بن ابي الجيش ، واخبار غلمان بني طولون اي رجالهم والقائمين بأمرهم ، وفسّر كتاب الثمرة وأصله لبطلميوس ، ولعله كان في علم الفلك . ومن تآليفه أخبار الأطباء وأخبار المنجمين ومختصر المنطق ألفه للوزير علي بن عيسى وغير ذلك والكتاب الصغير الذي عرّفنا في الحقيقة الى احمد بن يوسف كتاب «المكافأة» روى فيه قصصاً سمعها أو رآها هو أو رواها له من شاهدها في مصر والعراق ومنهم والده ورجال ابن طولون ، ساق احدى وثلاثين قصة في المكافأة على الحسن واحدى وعشرين قصة على القبيح وتسع عشرة قصة في حسن العقبى . رجاء « ان يكون ذلك عوناً للاستكثار من مواصلة الخير وتطلب العارفة في الحسن وزجر النفس عن متابعة الشر ، وابعادها عن سورة الانتقام في القبيح » قال في المدخل الى القسم الثالث : « رأيت ان أصل ذلك (حفظك الله) بطُرَف من أخبار من ابتُلي فصبر . فكان ثمرة صبره حسنَ العقبى ، لأن النفس اذا لم تُعن عند الشدائد بما يجدد قواها تولى عليها اليأس فأهلكها . وقد علم الانسان ان سُفور الحالة عن ضدها حتمٌ لا بد منه ، كما علم ان انجلاء الليل يُسفر عن النهار ، ولكن خَوَر الطبيعة اشد ما يلازم النفس عند نزول الكوارث ، فاذا لم تعالج بالدواء اشتدت العلة وازدادت المحنة ، والتفكر في اخبار هذا الباب مما يشجع النفس ويبعثها على ملازمة الصبر وحسن الأدب مع الرب (عز وجل) بحسن الظن في مواتاة الاحسان عند نهاية الامتحان . »

كل ذلك كتبه باسلوب رشيق وبألفاظ مختارة عذبة لا ترى أدنى أثر للتكلف في نسجها أصاغ كلامه صياغة صناع اليد فأبدع جديداً وأتى بغرائب من أخبار الناس ، ومن اتاهم بمثل هذا الضرب الطريف من الأدب تعاظموه وأكبروا بيانه . ولعل احمد بن يوسف لم يكن دون ابن المقفع ببلاغته وقد سلكَ معه في سلك واحد وينقل عنه ويقول ان هذا مما نقله ابن المقفع عن الفرس وتعاله العرب . وربما زاد على ابن المقفع انه كان أقرب الى الحياة لامتزاجه بالسوقة من

فلاحين وتجار ورجال الدولة وعلمائها ومهندسيها وقوادها وكان يعيش وابوه من قبله من الزراعة فعرف طرق الكسب الحلال وطرق تثمير المال وعرف طبقات الناس بكل ما انطووا عليه من خير وشر ٠

ولو قد أبقت الأيام على بعض ما كتبه هذا المؤلف العظيم لكان منه مادة في البلاغة والتاريخ والسياسة والعلم توفي على الغاية ولا سيما ما كان منه خاصاً بوصف عصره ورجاله ٠ ومن عجائب الدهر ان تفقد كتب من جودوا التأليف وتبقى مؤلفات من لم يحسنوا الاحسان المطلوب يتناقل الخلف تآليفهم ٠

وربما كان لنكبة الطولونيين (٢٩٢) وقضاء العباسيين على دولتهم صلة كبيرة بضياع كتب ابن الداية وفيها ولا شك الشيء الكثير من محاسن الطولونيين ، ومحاسنهم مما يشق على بني العباس نشره في الأمة ، وتخليده في الصحف لئلا يكون من بثها دعاية لهم ، وأبغض ما يكون الى المنافس الاشادة بفضائل منافسه ، لا سيما وقد كان المؤرخون يجمعون على ان احمد بن طولون بعلمه وسياسته وعدله أرقى من كثير من الخلفاء ٠

وعلى كثرة فضائل ابن الداية واتساعه في أدبه ونضجه في علمه ، لم يشتهر الشهرة التي هو قمين بها ٠ ولو لم يعثر له على هذا الجزء من كتاب المكافأة لغطت الأيام على اسمه خصوصاً وهو لم يذكر الا في بعض تضاعيف الكتب ذكراً يكاد يكون مبتوراً ، ومعظم كتب الأدب حتى ما ألفه المصريون منها لا تذكره بكلمة الا نادراً ، ومن العجائب أيضاً ألا يعده جهابذة الأدب في جملة أعلامه وألا يضموه في الصف الأول بين رعيل قدماء البلغاء ٠ وقديماً سدل الدهر قناع النسيان على كثير من العظماء بعد قليل من رحيلهم عن الأرض لفقد ما كتبوا بعامل من عوامل الفناء او لقلة أنصارهم ومن اهمه امرهم ٠ ومنهم من تضاعفت شهرتهم عند موتهم لسكوت حسادهم عنهم ومغالاة أحبابهم في تقريظهم ٠

ولعل انتقال والد ابن الداية من بغداد الى الفسطاط ونشأته في مصر في زمن

غضب فيه خلفاء بني العباس على مصر وعلى اميرها احمد بن طولون لاستقلاله بحكمها كان من جملة الدواعي في ضؤولة شهرته . على ان مصر الطولونية ومصر الفاطمية بعد حين ما ساوت العراق بمنزلتها ، ولا يتأتى أن يشتهر ابناؤها اشتهار البغداديين . والى الحضرة أو مدينة السلام كان يحمل كل جميل ، وينعت الناس اهلها بالنعوت الحسنة وتتأفق شهرة أدبائها وعلمائها لكثرة ما تردد اسماؤهم في كل مكان وكيف تتأتى الشهرة لاحمد بن يوسف في دولة ضعيفة لم تعترف بها دولة الخلافة وتعدها خارجة عليها .

لم يتصل احمد بن يوسف باحمد بن طولون اتصالاً وثيقاً في صباه وابن طولون مات سنة سبعين ومائتين وابن الداية مات سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة في اصح الأقوال والدولة الطولونية انقرضت سنة ثنتين وتسعين ومئتين فيكون ابن الداية على هذا كتب كتبه في بني طولون قبيل انقراض دولتهم .

نعم هذا هو الكتيّب الذي به ظهر احمد بن يوسف في أندية الآداب يحمل ابداعاً في موضوعه وابداعاً في وضعه ، موضوع قلما عاناه احد قبله يقصد به تربية النفوس على الخير ويحبب اليها فعله ويشيد بمن كان هذا مبلغهم من الأخلاق اشادة يقدسون بها تقديساً . ولم يصدر المؤلف في ما كتب به عن خيالٍ بل أخذ مادته من قلبه وخُلقه ، تغنّى بما سبق له ولأبيه ان اقتنياه وعدّا من الطبيعة القيام بمثله وأراد المؤلف ان يلقن أبناء المستقبل هذه المكرمات حتى لا تستغرق المادية الناس ويرتفع من بينهم التعاطف والايثار . فكتب فيها ورقات قليلة الجرم عظيمة النفع افادتنا لا تفيده المجلدات لأن المؤلف كتب وأخلص في تأليفه وأراد به الدعوة الى المروآت لا التبجح ولا التنفج . بضعة كتب خطتها أنامله الفنانة فقضى الله بذهابها وبقي له هذا الكتاب الصغير احيا به ذكره بعد ألف سنة على وفاته .

وهنا نكتفي بايراد قصص من قصصه رأيناها خير ما يترجم له ويقفنا على طريقته .

قال ابن الداية : « حدثني أحمد بن أبي يعقوب قال : أنكر المهدي على هَرْثمة ابن أعيَن (من أكبر قواد المهدي) تحككه بمعن بن زائدة وأمر بنفيه الى المغرب الأقصى ، فكلمه الرشيد فيه واستلّ سخيمته عليه . ومات معن ، وزادت حال هرثمة ، وشكر للرشيد ما كان منه . وأفضت الخلافة الى موسى الهادي فتمكن منه هرثمة . وحدثت الهادي نفسه بخلع الرشيد ، وجمع الناس على تقليد ابنه العهد بعده ، وعلم بهذا هرثمة ، وتذكر عارفة الرشيد فتمارض ، وجمع الهادي الناس ودعاهم الى خلع الرشيد ونصب ابنه مكانه فأجابوه وحلفوا له ، وأحضر هرثمة فقالوا له : تبايع يا هرثمة ؟ فقال : يا أمير المؤمنين يميني مشغولة ببيعتك ، ويساري مشغولة ببيعة أخيك فبأي يد أبايع ؟ والله يا أمير المؤمنين لا أكدت في الرقاب من بيعة ابنك أكثر مما أكده أبوك لأخيك في بيعته . ومن حنث في الأولى حنث في الأخرى . ولولا تأول هذه الجماعة بأنها مكرهة ، وإسرارها فيك خلافَ ما أظهرت ، لأمسكت عن هذا . فقال لجماعة من حضر : شاهت وجوهكم ، والله لقد صدقني وكذبتموني ، ونصحني وغششتموني . وسلم إليّ الرشيد ما قدره الهادي فيه » .

قصة ثانية : « حدثني هرون بن مَلُّول قال حدثني ياسين بن زُراة قال : كان ببعض أرياف مصر نصراني من أهلها كثير المال فاشي النعمة سمح النفس ، وكانت له دار ضيافة ، وجرايات واسعة على ذوي السَّتر بالفسطاط . فهرب من المتوكل رجل كَنّى عن اسمه لخطير منزلته ، لميل كان من المنتصر اليه ، فلما دخلها رأى فيها كثيراً من أهل بغداد ، فخاف ان يعرف فنزع الى أريافها ، فانتهى به المسير الى ضياع النصراني فرأى منه رجلاً جميل الأمر ، وسأله النصراني عن حاله ، فذكر أن الاختلال انتهى به الى ما ظهر عليه . فغير هيئته ، وفوض اليه شيئاً من أمره ، فأحكم ما أسند اليه واضطلع به . ولم يزل حاله يتزايد عنده حتى غلب على جميع أمره ، وقام به أحسن قيام ، فكان محل الرجل الهارب من النصراني بفضل كلّ ما ذهب له .

«وورد على النصراني مستحث يحمل مال وجب عليه . (وسأله) النصراني عن خبر الفسطاط فقال : ورد خبر قتل المتوكل وتقلد المنتصر . ووافى رسول من المنتصر في طلب رجل هرب في أيام المتوكل يعرف بفلان بن فلان ويوعز الى عمال مصر والشام بأن يتلقوه بالتكرمة والتوسعة فيلحق أمير المؤمنين في حال تشبه محله عنده . فعدل النصراني بالمستحث الى بعض من أنزله عليه ، وخلا الهارب بالنصراني فقال : أحسن الله جزاءك ، فقد أوليت غاية الجميل وأحتاج الى أن تأذن لي في دخول الفسطاط فقال : يا هذا إن كنت استقصرتني فاحتكم في مالي ، فاني لا أرد أمرك ولا أزول عن حكمك ، ولا تنأ عني ، فقال له : أنا الرجل المطلوب بالفسطاط وقد خلفت شملا جماً ، ونعمة واسعة . إنما عدل بي الخوف على نفسي . فقال له : ياسيدي فالمال في يدك وما عندك من الدواب فأنت أعرف به مني فاحتكم فيه ، فأخذ بغالاً وما صلح لمثله ، وخرج النصراني معه . وقدم كتاباً الى عامل المعونة من مستقره ، فتلقاه عامل المعونة في بعض طريقه ، ووصاه وجميع العمال بالنصراني ، وصار الى الحضرة فأصدر اليهم الكتب في الوصاة به الى أن قدم بعض العمال المتجرة فتتبع النصراني ورام الزيادة عليه فخرج الى بغداد .

« قال لي هرون إن ياسين قال له : إن النصراني حدثه أنه دخل الى بغداد فلم ير بها أرقى محلاً ، وأكثر قاصداً منه ، ثم استأذنت عليه وعنده جمع كثير فخرج أكثر غلمانه حتى استقبلوني فلما رآني قام على رجليه ثم قال : مرحباً بأستاذي وكافلي والقائم بي حين قعد الناس عني . وأجلسني معه وانكب على ولده وشمله ، وأنا أتأمل مواقع الاحسان من الأحرار ، وسألني عن حالي في ضياعي فأخبرته خبر العامل ، وكان أخوه في مجلسه فنظر اليه من كُنّا عنده ، وقال له : كنت السبب في تقليد أخيك فصار أكبر سبب في مساءتي ، فكتب من مجلسه كتاباً اليه بجلية الخبر وأنفذه . وأقمت عنده حولاً في أرغد عيشة وأعظم ترفه . وورد عليّ كتب أصحابي فخبروني بانصراف العامل عن جميع ما كان اعترض عليه

في أمري . وأخرج أمر السلطان في إسقاط أكثر خراج ضياعي والاقتصار بي على يسير من مالها . قال ياسين فكتب النصراني ببغداد حجة أشهد فيها على نفسي أن أسهمه في جميع الضياع التي في يده (وسماها وحددها) لهذا الرجل الذي كان هرب ، وصار بها اليه ، فقال له : قد سوغك الله هذه الضياع ، فاني أراك أحق بها من سائر الناس ، فامتنع الرجل من ذلك وقال له : عليك فيها عادات تحسن ذكرك ، وترد الأضغان عنك ، ولست أقطعها بقبض هذه الضياع عنك ، ورجع النصراني الى الفسطاط لجدد الشهادة له فيها . فلما توفي النصراني أقرها في يد أقاربه ، ولم يزالوا معه بأفضل حال » .

قصة ثالثة : وحدثتني أم آسية قابلة أولاد خمارويه بن طولون (وكان لها دين ومذهب جميل ومحل لطيف من خمارويه) وقد تذاكرنا لطف الله (عز وجل) في أرزاق عباده ، وحسن الدفاع عنهم ، انه تزوجها وأختها أخوان . فأقبلت حال زوج أختها وأدبرت حال زوجها . قالت وتوفي زوجها بأسوإ حالة ، وخلّف لها بنات ، وتعذر عليها تجهيزه من اختلاله . وتوفي زوج اختها وقد خلّف من العَيْن والمساكن والأواني لولد اختها .

قالت : فكنت أجاهد في مؤونة ولدي ، واذا وقف أمري صرت الى أختي فقلت : أقرضيني كذا وكذا استحياءً من ان أقول لها : هَبي لي . ودخل شهر رمضان فلما مضى نصفه اشتهوا عليَّ صبياني حلواءً في العيد ، فصرت الى أختي فقلت لها : أقرضيني ديناراً أعمل به للصبيان حلواء في العيد . فقالت : يا أختي تغيظيني بقولك : « أقرضيني » واذا أقرضتك من أين تعطيني ؟ أمن غلة دورك أو بستانك ؟ ! لو قلت هَبي لي كان أحسن . فقلت لها : أقضيك من لطف الله تعالى الذي لا يُحتسب ، وجوده الذي يأتي من حيث لا يُرتقب . فتضاحكت وقالت : يا أختي ! هذا والله من المُنى ، والمُنى بضائع النَّوكى ، فانصرفت عنها أجرُّ رجليَّ الى منزلي .

وكان في جوارنا خادم أسود لبنت اليتيم امرأة خمارويه . فلما بلغتُ جارتنا قال لي : في جوارنا امرأة تطلق قد أوجعت قلبي . ادخلي اليها فليس لها قابلة . قالت ام آسية : والله ما عاينت ممخوضةً قط . فدخلت اليها فمسحت جوفها واجلستها كما كان القوابل يُجلسنني في طلقي فولدت من ساعتها ، فلما امسك صياحها ، جاء الخادم يسأل عنها فقلت قد ولدت . فعجب من سرعة أمرها ، وظن ان هذا شيء قد اعتمدته بحذق صناعة ، ولُطف في مهنة ، فمضى الى سته بنت اليتيم وكانت مُقرباً بأول ولد حمل لأبي الجيش ، وقد عُرض عليها قوابل استثقلتهن ، فقال : في جوارنا قابلة أحضرناها لمرأة في حارتنا تطلق فوضعت يدها على جوفها فسقط ولدها . ووصفني بما لا يوجد في قدرة أحد الا بالله عز وجل . فقالت للخادم : اذا كان غدٌ فجئني بها . فأتى الغلام ودعاني الى مولاته فأجبت بانشراح صدر وثقة بالله تعالى . فاستخفت روحي وقالت : الى التمام تقدير الله تبارك وتعالى . ثم شكت مَغْساً تجده المُقْرِب ، فأدخلت يدي في ثيابها ومسحت جوفها ، وعجبتُ الى الله تعالى في سري بتوفيقي ، وكنت أدعو ، ومن حضر من أهلها يتوهم اني أرقي ، فسكن ما وجدته وتبركت بي ، ودخل اليها خمارويه وقال : ما وجدت ؟ فقالت : مغساً في جوفي ، فوضعت قابلة اردتها يدها عليه فزال ما أجده . وأخرجتني اليه (وكان قريباً من حرمه) فقال لي : أرجو أن يخلصها الله (عز وجل) ببركتك .

قالت ام آسية : ودخلنا في العشر الأواخر من شهر رمضان ، وقد تمسكت من الاخلاص لله (عز وجل) بما لا يصل اليه من ساح في الجبال ، خوفاً من شماتة أختي بي ، فلم تمض الا ثلاثة أيام حتى مَخِضَت فأجلستها الى كرسي الولادة (وكان مقدار طلقها ساعتين) فولدت ابناً أسهل ولادة ، وابو الجيش يقوم ويقعد ويذهب ويجيء ، فلما ولدت وكانت تتوقع من الولادة امراً عظيماً ، فلما ألقته ، قالت لي : هذا الطلق ؟ قلت : نعم . فقبّلت — يعلم الله — عيني من الفرح ،

وصاح خمارويه : أخبريني يا مباركة بخبرها فقلت : وحياة الأمير انها في عافية ، وقد ولدت غلاماً سوي الخلق بحمد الله ، فوجه الي بألف دينار ، وألح ابو الجيش في النظر اليها لفرط اشفاقه عليها . فاستوقفته الى ان تقلت حوائج الولادة ، وقلت لها يا سيدتي : اضحكي في وجهه لما تريْنه . فلما دخل اليها ضحكت في وجهه ، فتقدم بصدقة مال كثير عنها وعن ولده .

وقالت لي ام آسية : لما كان يوم الأسبوع «ووقع قبل العيد بيوم واحد» امرت لي بخمسمائة دينار ، وحصل من أتباعها الف دينار . فحصل لي ألفان وخمسمائة دينار . وخلعت عليّ وسائر حشمها اكثر من ثلاثين خلعة . وحمل اليّ مما أعد للعيد ثلاث موائد خاصة . وانصرفت الى منزلي فأرسلت الى أختي مائدة ، ووافتني مهنئة ، وقد تقاصر طولها ، فأريتها ما حصل لي من المال والخلع والطيب ، وقلت لها : يا أختي ، أنكرت عليّ قولي : «أقرضيني» ومن هذا كنت أقضيك ، فلا تستصغري من كان الله مادته ، وعليه مدار ثقته وتعويضه .

واكتسبت هذه المرأة بمحلها من ابي الجيش مالاً كثيراً ، وقضت لجماعة من وجوه البلد حوائج خطيرة اه .

وفي المكافأة فوائد طريفة وحقائق قد لا تجدها مكتوبة منها : وكنا لا نفضي من بلدان خراسان الى بلد الا وجدناه أغلظ طبعاً من البلد الذي فارقناه حتى بلغنا بخارى فرأينا قوماً في نهاية من غلظ الطباع . فقال لي مذ رآني أتعجب منهم : كيف لو رأيت الترك وبلدانهم ؟ يقتلون المستجير بهم ويغير بعضهم على بعض فيهلك النازع اليهم بينهم .

هذا في المعاني وفي الألفاظ تفرد المؤلف بالفاظ عذبة لا عهد لنا بمثلها قبله حاشا كبار البلغاء من الكتاب ومنها ما لم يعثر له على أثر في المعاجم العربية ومنها ما لا نزال نستعمله ولكن في معان غير المعاني التي عبر بها عنها . أما التراكيب فهناك الاعجاز . كتاب المكافأة معجز بالفاظه وتراكيبه تقف فيه

على ما ليس له اليوم ما يشبهه وتقرأ فيه صوراً من الظلم كان يقع من عمال السلطان بل على ما ليس لهم علاقة به وجمعوا ثروتهم من تجاراتهم ووصف ما يعمله زبانية الملك أو الأمير أو الخليفة لاستخراج الأموال بالتعذيب على صفة قلّ ان جرى مثلها في ادوار الانسانية ٠

الحافظ الذهبي

(٧٤٨)

محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز

شمس الدين ابو عبد الله التركماني الفارقي

مؤرخ ولا كالمؤرخين ومحدث ولا كالمحدثين ٠ هو رجل ساير العقل فتفرد في تآليفه ونظر في ما حواه صدره من أصناف العلم نظرة بليغة فأتى بجديد ضمه الى القديم فسد ثلمة كانت لولاه فارغة ، وقام بغرض كان بعضهم بعده نافلة هو امام تعب بعلمه حتى يستريح من بعده ٠

كتب الخليد والتأبيد لتآليفه وجاءت على توخيه فيها الاختصار زبداً من علم الاسلام وتكملة لتاريخ رجاله تلمح في صفحاتها بعد النظر وسداد الرأي ، وانصاف الحكم وتقف أمامها تكبر صنع واضعها ومدونها وتقول ان دمشق يحق لها اذا عدت في حسنها الحافظ ابن عساكر في القرن السابع ان تفخر بأنها كانت مطلع شمس الحافظ الذهبي في القرن الثامن وكلاهما لم تقف شهرته والانتفاع بما كتب عند حد دمشق او الديار الشامية بل تعدتها الى الشرق والغرب فعدا من أعظم المؤرخين في المسلمين ٠

ترجم الصفدي للذهبي في نكت الهميان وعده في العميان لأنه أضر قبل موته باربع سنين أو أكثر فقال : حافظ لا يجارى ولافظ لا يبارى ، أتقن

الحديث ورجاله ونظر علله وأحواله وعرف تراجم الناس وأزال الابهام في تواريخهم والالباس مع ذهن يتوقد ذكاؤه ، ويصح الى الذهب نسبته وانتماؤه ، جمع الكثير ، ونفع الجم الغفير ، وأكثر من التصنيف ، ووفر بالاختصار مؤونة التطويل في التأليف ، وقف الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني على تاريخه الكبير المسمى تاريخ الاسلام جزءاً بعد جزء الى ان أنهاه مطالعة وقال : هذا كتاب علم .

قال الصفدي : اجتمعت به وأخذت عنه وقرأت عليه كثيراً من تصانيفه ، ولم أجد عنده جمود المحدثين ، ولا كودنة النقلة ، بل هو فقيه النظر ، له دربة بأقوال الناس ، ومذاهب الأئمة من السلف وأرباب المقالات . واعجبني ما يعانيه في تصانيفه من انه لا يتعدى حديثاً يورده حتى يبين ما فيه من ضعف متن ، أو ظلام اسناد أو طعن في رواة » والكودنة من الكودن هو البرذون يوكف ويشبه به البليد يقال ما أبين الكدانة فيه أي الهجنة . وقالوا فيه هو « رجل الرجال في كل سبيل كأنما جمعت آلاته في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنها أخبار من حضرها » « ما زال يخدم هذا الفن — فن الحديث — حتى رسخت فيه قدمه وتعب الليل والنهار وما تعب لسانه وقلمه وضربت باسمه الأمثال » « ورغب الناس في تواليفه ورحلوا اليه بسببها وتداولوها قراءة ونسخاً وسماعاً » .

وهذه الجمل القليلة تنبئ بما حملت نفس الذهبي العظيمة وما صرف فيه أيام عمره التي بورك له فيهـا فصنف التصانيف الكثيرة الجليلة منها تاريخ الاسلام الكبير في احدى وعشرين مجلداً ومختصره سير النبلاء في عدة مجلدات ومختصر العبر وطبقات الحفاظ وطبقات مشاهير القراء والتاريخ الممتع في ستة أسفار وكل ذلك لم يطبع والمطبوع من تآليفه « دول الاسلام » ومشتبه النسبة وتذهيب التهذيب وميزان الاعتدال في نقد الرجال وغيره . ومن ألقى نظرة على المشتبه عرف تفرد الذهبي بمعارف وأدرك احاطته . وقد اختصر عدة تواريخ وكتب في الطبقات وله تصانيف أخرى لم تشتهر .

سمع الذهبي الحديث ببلاد كثيرة من خلائق يزيدون على ألف ومائتين والغالب أنه لم تتعدَّ رحلاته الشام ومصر . قال في الدرر الكامنة إنه تخرج على علماء عصره في دمشق والقاهرة ومهر في فن الحديث وجمع فيه المجاميع المفيدة الكثيرة حتى كان أكثر أهل عصره تصنيفاً وجمع تاريخ الاسلام فأربى فيه على من تقدمه بتحرير أخبار المحدثين خصوصاً وقطعه من سنة سبعمائة واختصر منه مختصرات كثيرة منها العبر وسير النبلاء وملخص التاريخ قدر نصفه وطبقات الحفاظ وطبقات القراء والاشارة وغير ذلك، واختصر السنن الكبيرة للبيهقي فهذبه وأجاد فيه وله الميزان في نقد الرجال أجاد فيه أيضاً واختصر تهذيب الكمال لشيخه المزي وخرج لنفسه المعجم الكبير والصغير والمختص بالمحدثين فذكر فيه غالب الطبقة من أهل ذلك العصر وعاشر الكثير منهم بعده الى نحو الأربعين سنة اخرج لغيره من شيوخه ومن أقرانه ومن تلامذته .

وطعن عليه ابن الوردي في ذيل تاريخ ابي الفداء وقال انه منقطع القرين في معرفة اسماء الرجال محدث كبير مؤرخ وقال انه استعجل قبل موته فترجم في تواريخه الأحياء المشهورين بدمشق وغيرها واعتمد في ذكر سير الناس على احداث يجتمعون به وكان في أنفسهم من الناس فآذى بهذا السبب في مصنفاته اعراض خلق من المشهورين .

وكلام ابن الوردي موضع نظر فان الذهبي يتعذر عليه ان يقف على تراجم المئات ممن ترجم لهم بدون ان يستعين بتلاميذه وأصحابه وهو ليس له تارات على أحد حتى يعلي منهم ويخفض على هواه ولكن الناس لا يرضيهم اذا اعطوا حقهم من الترجمة ولو بزيادة قليلة ويغتبطون اذا زادهم المؤلف ما يربو على حقهم فان غلطة واحدة غلطها ابن الوردي في المبالغة بابي الفداء أكبر من كل غلطة للذهبي اذا صح أنه غلط في ترجمة بعضهم وما راق ابن الوردي الا الطعن بالذهبي واي غلطة ان يقول ابن الوردي انه ليس في الملوك بعد المأمون أفضل

من ابي الفداء وما كان هذا في حقيقته أكثر من وال عند المماليك يقبل الأرض بين أيديهم لتصفو له عمالة حماة وهذه كل مملكته واذا رجعنا الى تآليفه فنجد تاريخه خلاصة ما كتبه ابن الأثير وغيره وكتابه تقويم البلدان منقول من كتاب آخر وليس هو بأكثر من فهرس معجم جغرافي فكيف يكون من هذه سياسته وهذا علمه ثاني المأمون العباسي !

وبالطبع كان المخالفون للذهبي في مذهبه يطعنون عليه بأنه يتحيز لجماعته ويحط من أقدار مخالفيه . شنشنة قديمة للنيل من المؤلفين بل لنيل المغمورين من المشهورين . قارن حافظ الشام ابن ناصر الدين بين الذهبي والبرزالي والمزي فحكم للمزي بالتفوق في معرفة رجال طبقات الصدر الأول وللبرزالي في العصرين ومن قبلهم من الطبقات القريبة منهم وللذهبي في الطبقات المتوسطة بينهما تأييداً لقول بعض مشايخه على ان الأهواء قلما تتغلب المزي والبرزالي في تراجم الناس بخلاف الذهبي .

وقالوا ان الذهبي شديد الميل الى آراء الحنابلة لا ينصف الأشاعرة في التراجم وقال فيه السبكي في طبقاته ، وبنو السبكي من غلاة الشافعية : صنف التاريخ الكبير وما أحسنه لولا تعصب فيه . وعداوة الشافعية للحنابلة مشهورة . ومثل الذهبي بعلمه يود كل شافعي وكل حنبلي ان ينطق باسم اهل مذهبه ويرعاهم وينحي على خصومهم وهذا يستحيل على من تشبع بروح التاريخ كالحافظ الذهبي ، وميله الى الحنابلة أمر طبيعي فهو امام الحديث والحنابلة لا يقيمون وزناً قبل كل شيء لغير الحديث .

تولى الذهبي مشيخة الظاهرية قديماً ومشيخة النفيسية والفاضلية والتنكزية وأم الملك الصالح وقيل انه كان له درس في قرية كفر بطنا من الغوطة وقيل انه ولد فيها والأرجح أنه ولد في دمشق وهو من أصل تركماني وفي اجداده من اسمه قايماز أما الفارقي فلم يعرف من أين أتت ومن شعره :

تولى شبابي كأن لم يكن   واقبل شيب علينا تولى
ومن عاين المنحنى والنقى   فما بعد هذين الا المصلى

ومنه : اذا قرأ الحديث عليَّ شخص   وأخلى موضعاً لوفاة مثلي
فما جازى باحسان لأني   أريد حياته ويريد قتلي

عاش الحافظ خمساً وسبعين سنة وأنتج هذا الانتاج العجيب فهو من أفراد الدهر ٠

ابو عبيد البكري

عبد الله بن عبد العزيز بن محمد

(٤٨٧)

كان جده قاضياً في لَبلة وأبوه من الأمراء وقائداً في شلطيش وأونُبة من قواد الخليفة الأموي هشام المؤيد ٠ ولما سقطت دولته لم يستطع ابنه عبد العزيز بعده أن يعصي أمير إشبيلية المعتضد وكان هذا يرمي الى توحيد امارات الأندلس بأسرها فرَّ من شلطيش بذخائره سراً ومعه ابنه عبد الله هذا ثم اعتصم بقرطبة ٠ وفي هذه المدينة نشأ ابو عبيد وأتم ثقافته على أعاظم علماء تلك الحاضرة ٠ ثم اتصل بأمير المرِيَّة وتصرَّف له ، وفيها أخذ عن ابن حيان مؤرخ الأندلس وسفر عن صاحب المريّة ٠ ولما استولى المرابطون على الأندلس اعتزل العمل في قرطبة وانصرف الى العلم والتأليف ٠

اشتهر البكري بالشعر ومعظم شهرته بابحاثه اللغوية والجغرافيـة والأدبية والتاريخية ٠ قال ابن مكتوم انه من أهل شلطيش سكن قرطبة يكنى اباعبيد روى عن ابي مروان بن حيان وابي بكر المصحفي وابي العباس العذري سمع منه بالمريّة وأجاز له ابو عمر بن عبد البر الحافظ وغيرهم وكان من أهل اللغة والآداب الواسعة والمعرفة بمعاني الشعر والغريب والأنساب والأخبار متقناً لما

قيده ضابطاً لما كتبه جميل الكتب مهتماً بما يمسكها في ثياب الشَّرْب (أي الرقيق من الكتان) وغيرها اكراماً لها وصيانة رواه ابن بشكوال .

وترجمه الفتح بن خاقان في قلائد العقيان بما صورته : عالم الأوان ومصنفه ، ومقرط البيان ومشنفه ، بتواليف كأنها الخرائد ، وتصانيف أبهى من القلائد ، حلى بها من الزمان عاطلاً ، وأرسل بها غمام الاحسان هاطلاً ، وضعها في فنون مختلفة وأنواع ، وأقطعها ما شاء من اتقان وابداع . وأما الأدب فهو كان منتهاه ، ومحل سُهاه ، وقطب مداره ، وفلك تمامه وابداره . وكان كل ملك من ملوك الأندلس يتهاداه تهاديَ المقل للكرى ، والآذان للبشرى ، على هنات كانت فيه فانه رحمه الله مباكر للراح ولا يصحو من خمارها ، ولا يمحو رسم ادمانه من مضمارها ، ولا يُريح الا على تعاطيها ، ولا يستريح الا الى معاطيها ، قد اتخذ ادمانها هجّيرة ، ونبذ من الاقلاع عنها نبذ عاجم بن الأيمن مجيره ، فاذا حان انقراض شعبان وانصرامه كانت فيه مستبشمة الذكر ، مستشنعة النُّكر ، تمجها الأوهام والخواطر ، ويثبتها السماع المتواتر .

وقد اثبت ما يشهد لك بتقدمه ، ويريك منتهى قدمه . رأيته وأنا غلام ما أقمر هلالي ، ولا نَبَع في الذكاء كوثري ولا زلالي ، في مجلس ابن منظور ، وهو في هيئة كأنما كسيت بالبهاء والنور ، وله سَبَلة يروق العيون ايماضها ، ويغرق السوادَ بياضُها ، وقد بلغ سن ابن محلم ، وهو يتكلم فيفوق كل متكلم . فجرى ذكر ابن مقلة وخطه ، وأفيض في رفعه وحطه فقال :

خط ابن مقلة من أرعاه مقلته   ودّت جوارحه لو أصبحت مقلا
فالدر يصفرُّ لاستحسانه حسداً   والورد يحمر من ابداعه خجلا

وله فصل من كتاب راجع به الفقيه الأستاذ أبا الحسن بن دريد رحمهما الله :

وتالله اني لأطعم جنى محاورتك فيقف في اللهاة ، وأجد لتخيل مجالستك ما يجده الغريق للنجاة ، وأعتقد في محاورتك ما يعتقده الجبان في الحياة

متى تخطئ الأيام فيّ بأن أرى بغيضاً يناني أو حبيباً يقرّب

ورأيت رغبتك فى الكتاب الذي لم يتحرر ولم يتهذب ، وكيف التفرغ لقضاء أرب ، والنشاط قد ولى وذهب ، فما أجده الا كما قيل :

نزراً كما استكرهت عائر نفحة من فارة المسك التي لم تفتق

وبعد فقد رأيت مما ترجم له صاحب القلائد كيف طعن عليه لادمانه ابنة العنقود وكيف شهد ضمناً بانه يمتنع عن تعاطيها في شهر رمضان اي أنه مؤمن معترف بخطيئته . والغالب ان طول عشرته للملوك والأمراء جنت عليه من هذه الناحية فزادته غراماً بالخمر ، وحسناته الكثيرة تغفر له هذه الزلة ولو لم يكن من كبار العلماء ما كانت تعد شيئاً يذكر والسكارى اكثر من الصحاة .

وأهم ما وضع ابو عبيد من التآليف معجم ما استعجم ذكر فيه جملة ما ورد في الحديث والأخبار والتواريخ والأسفار من المنازل والديار والقرى والأمصار والجبال والآثار والمياه والآبار والدارات والحرار منسوبة محدودة . وأفاض في المقدمة في الكلام على جزيرة العرب وحدودها وقبائلها وما الى ذلك من الفوائد الجغرافية واللغوية والنحوية وعده السيوطي في النحاة وترجم له في طبقاتهم .

ورتب ابو عبيد معجمه على حروف ابي جاد وهي طريقة المغاربة في المعاجم وغيرها وذلك لتسهل عليه المبالغة في التنقيح في كل صفحة من صفحاته ولكتابه من اسمه نصيب (معجم ما استعجم) وكان ، كما قال احد علماء المشرقيات ، ضرورياً يرجع اليه في دراسة التاريخ القديم وعلم تقويم البلدان وشعراء الأقدمين والحديث . وعلق أستاذنا طاهر الجزائري على نسختنا ان عدد الاسماء التي هذا المعجم نحو ٤١٠٠ وأما الأبيات فهي اكثر من ذلك بكثير .

ورزق ابو عبيد حظاً كبيراً من النقد يشهد له معجمه الذي طبقت الآفاق شهرته وكان آية تدقيقه وضبطه وكذلك كان كتابه « التنبيه على أوهام ابي علي في أماليه . تقد فيه أمالي ابي علي القالي وفيه أيضاً مثال من أدبه الجم قال في

مقدمته : «هذا كتاب نبهت فيه على أوهام ابي علي في أماليه تنبيه المنصف لا المتعسف ولا المعاند محتجاً على جميع ذلك بالشاهد والدليل . فاني رأيت من تولى مثل هذا من الرد على العلماء والاصلاح لأغلاطهم والتنبيه على أوهامهم ، لم يعدل في كثير مما رده عليهم ، ولا أنصف في جمل مما نسب اليهم ، وابو علي رحمه الله من الحفظ ، وسعة العلم والنبل ، ومن الثقة في الضبط والنقل ، بالمحل الذي لا يجهل ، وبحيث يقصر عنه من الثناء الأحفل ، ولكن البشر غير معصومين من الزلل ، ولا مبرئين من الوهم والخطل ، والعالم من عدت هفواته ، وأحصيت سقطاته . وكفى المرء نبلاً ان تعد معايبه» . وبهذا الأدب نقد ذاك الراوية العظيم المشهود له في كل نادٍ فدلَّ أيضاً على صفاء نفسه وعالي خلقه .

هذا غاية ما عرف من سيرة فريد قطره ووحيد فنه ، ابن الأندلس العظيم في عهد ترديها السياسي وقد وقاه الله شر السياسة فلم ينغمس فيها كما انغمس أجداده فأحبه ملوكهم وأخذوا يتهادونه ووسيلته اليهم بل وسيلتهم اليه أدبه وعلمه ألفته نفوسهم واغتبطوا بمنادمته فأعطى لكل عمل وقته حقق وأجاد في تحقيقه وأبدع فأحسن في ابداعه لا تقول وأنت تنظر في موضوعاته وهي مما لا تقبله كل الأذواق الا أنك في صحابة رجل جذّاب الحديث يأخذ كلامه بمجامع القلوب وانه تمثل ما حمل عن أولئك العظماء ولا سيما ابن حيان مؤرخ الأندلس وكاتبه الأكتب . واذا لم تكتب له الشهرة من طريق السياسة وفيها ما فيها من اضاعة العمر على الأكثر فقد كتب له الشهرة بتآليفه وكانت بيئته صالحة كل الصلاح لمن كان في مثل حاله من المؤلفين ، عرف ما عند المشايخ وما عند الخاصة والعامة وما عند الملوك والعظماء ووقف على ما يجري في مجالسهم وما تجول فيه أفكارهم .

محمد كرد علي

نظرية المعرفة

عند ابن حزم

تمهيد

لا تزال ذخائر الفلسفة الاسلامية بحاجة الى استخراج وجلاء فاستعراض ، فان في ثنايا الكتب آراء صائبة ونظريات على جانب عظيم من الأهمية . ولكن طريقة التأليف القديم تتطلب من الدارسين اليوم جلداً وأناةً ، وإلاّ ظلت تلك الذخائر مفقودة أو كالمفقودة .

ولعل من أغرب ما يعثر به المنقّب في ثنايا التراث الاسلامي — بالاضافة الى ما نتخيل نحن اليوم من الفرق بين أساليب التفكير العربية وأساليب التفكير الغربية — كلاماً مفصلاً في « نظرية المعرفة » ، وعند مؤلف شُهر في تاريخ التأليف بالأدب والفقه خاصة : ذلك هو ابن حزم الأندلسي .

موجز ترجمته وزبدة تآليفه

يهمنا هنا من ترجمة ابن حزم أنه نشأ نشأة مترفة في بيت علم وأدب ، وفي أسرة تمرّس أهلها بالسياسة وتقلبوا في محنها . على ان محن السياسة لم تكف في أول الأمر لأن تخرجه من قرطبة فبقي فيها الى أن مزقتها الحروب الأهلية وتغلب البربر على آل حزم وأجلوهم عن دورهم وسكنوها هم ، فخرج ابن حزم عن قرطبة اول المحرم سنة اربع واربعمائة وغادرها الى المرية ، ولكن النكبات لم تفارقه .

وعاد ابن حزم الى قرطبة في شوال سنة تسع واربعمائة ونازعته نفسه الى الدنيا التي أصابها أهله من قبله فتولى الوزارة لعبد الرحمن المستظهر بالله بن هشام

ابن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر . الا ان ابن حزم لم يستمتع طويلاً بالدنيا الجديدة ، فان عبد الرحمن قتل بعد توليته بسبعة اسابيع في ذي القعدة ٤١٤ (كانون الثاني ١٠٢٤) ، ورأى ابن حزم نفسه من جديد بين جدران السجن . وهكذا أدرك ان الدنيا لا يمكن أن تقبل عليه بوجهها فولى وجهه نحو ما هو به أليق من قراءة العلوم والتأليف .

ولما نجا ابن حزم من السجن كانت قرطبة قد خربت من جديد وكانت جميع دورهم فيها قد امّحت آثارها فانتقل الى المرية ثانية ، ولكن دسائس الفقهاء عليه لم تَفتُر حتى اعتكف بتربة منت ليشم[1] (ويروون ان اجداده كانوا منها) ، وهنالك تُوفيَ في الثامن والعشرين من شعبان سنة ٤٥٦ (١٥ آب عام ١٠٦٤) ، وعمره اثنتان وسبعون سنة .

* * *

لابن حزم كتب كثيرة في المنطق والأدب والفقه والتاريخ والأخلاق ، لعلها تزيد على ثلاثين . على انه شُهِرَ باثنين منها شهرةً واسعة : بكتاب « طوق الحمامة في الألفة والألّاف » ، كتبه في شاطبة بين سنة ٤١٨ وسنة ٤٢٠ للهجرة ؛ وبكتاب المِلَل والنِحل ويسميه ابن حزم نفسه « الديوان » او « ديواننا » (١ : ١٠٧ ، ٤ : ١٧٨ ، ٢٠٧ ، ٥ : ٦١ ، ٧٠) . و « الملل والنحل » في الأصل ثلاثة اجزاء (٥ : ١٤٢) ولكن الناشر جعله خمسة أجزاء (المطبعة الأدبية ، بسوق الخضار القديم – كذا – بمصر ١٣١٧ هـ) ، وجميع شواهد هذا المقال ترجع الى صفحات هذه الطبعة .

ولا ريب في ان اعظم كتب ابن حزم انما هو كتاب الملل والنحل ، ويسمى أيضاً كتاب « الفِصَل في الملل والأهواء والنِحَل » ، فهو مستقر فلسفته وجامع آرائه .

(١) منليجم في معجم ياقوت ، ومَنتليشَم في ارشاد الأريب له أيضاً .

مذهب ابن حزم، توطئة الى نظرية المعرفة عنده

قال القفطي عند الكلام على مذهب ابن حزم: وصنّف فيه مصنَّفات كثيرة العدد شريفة المقصِد معظمها في أصول الفقه وفروعه على مذهبه الذي ينتحله؛ وهو مذهب داود بن علي بن خلف الاصفهاني ومن قال بقوله من أهل الظاهر (أخبار العلماء ١٥٦).

أما مقام المذهب الظاهري في الفقه الاسلامي فقد دل عليه ابن خلدون في المقدمة (ص ٤٤٦) حيث يقول: « وانقسم الفقه .... الى طريقتين: طريقة أهل الرأي والقياس، وهم أهل العراق؛ وطريقة أهل الحديث، وهم اهل الحجاز. وكان الحديث قليلاً في أهل العراق .... فاستكثروا من القياس ومهروا فيه، ولذلك قيل [فيهم إنهم] أهل الرأي. ومُقدَّم جماعتهم الذي استقر [هذا] المذهب فيه وفي أصحابه ابو حنيفه. و[أما] إمام أهل الحجاز [فهو] مالك بن انس، والشافعيّ من بعده ».

ويتابع ابن خلدون القول فيقول: « ثم أنكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا العمل به، وهم الظاهرية، وجعلوا المدارك كلها منحصرة في النصوص والاجماع، وردوا القياس الجليّ والعلة المنصوصة، لأن النص على العلة نص على الحكم في جميع محالّها. وكان امامَ هذا المذهب داودُ بن علي وابنه واصحابهما .... ثم درس مذهب أهل الظاهر .... بدروس أئمته وانكار الجمهور على منتحليه ولم يبق الا في الكتب المجلدة. وربما يعكف كثير من الطالبين ممن تكلف بانتحال مذهبهم على تلك الكتب .... وقد فعل ذلك ابن حزم بالأندلس على علو رتبته في علم الحديث وصار الى مذهب أهل الظاهر ومهر فيه .... (ص ٤٤٦ – ٤٤٧) ».

وابن خلدون يحمل على ابن حزم لإغراقه في المذهب الظاهري ولتعرضه

لأئمة المسلمين الذين خالفوه في رأيه . على أن فان ارندنك يقول [1] : « والناحية المبتكرة عند ابن حزم هي تطبيقه لأصول الظاهرية على العقائد ؛ وفي هذه المسألة أيضاً لم يأخذ الا بالمعنى الظاهري للقرآن وللأحاديث الموثوق بها » .

وحقيقة مذهب ابن حزم انه يقبل كل ما نص عليه القرآن الكريم او ورد في الأحاديث الموثوقة على ظاهر معناه فقط ، الا ان يكون هنالك ضرورة من عقل أو حسٍّ تدعو الى صرف المعنى والى الأخذ بالتأويل . ولذلك قال ابن حزم نفسه : « بل الآيات كلها حق على ظاهرها لا يحل صرفُها عنه (٣ : ١٥٢) ، وإنما نتبّع ما جاءت به النصوص (٣ : ١٦٢) . والنص لا يحلّ خلافُه (٤ : ٨٥ س) ، لأن الله تعالى بنص أحياناً نصاً لا يحتمل تأويلاً (٣ : ١٤٤) فاذ جاءت النصوص كما ذكرنا متظاهرة لا تحتمل تأويلاً .... فقد علمنا (اذن) ضرورةً ان كلام الله تعالى لا يتعارض ولا يختلف ولا يتناقض (٣ : ١٥١ ، ٤ : ٤٩ س) . وكذلك الأحاديث الموثوقة ٥ : ١١٣) .

وصرفُ الايات الكريمة والأحاديث عن ظاهرها لا يجوز الا ببرهان (٣ : ٢٠٧ ، ٥ : ٧٧) ، أو ما لم يأتِ نص في احدهما (الآية او الحديث) أو إجماعٌ متيقَّنٌ أو ضرورةُ حسٍّ على خلاف ظاهره فيوقَفُ عند ذلك ؛ ويكون مَنْ حمله على ظاهره حينئذ ناسباً الكذبَ الى الله عزّ وجل ، أو كاذباً عليه وعلى نبيه عليه السلام [2] . وابن حزم ينكر ان يكون الله قد أنزل في القرآن آياتٍ لا نفهمها ، فانه قد خاطبنا بقوله : « افلا يتدبّرون القرآن أم على قلوبٍ أقفالُها » .

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية ، الترجمة العربية ١ : ١٣٩

(٢) ١ : ٨٢ ، ٣ : ٣ ، راجع أيضاً ١ : ٧٨ وما بعدها ، وخصوصاً ٤: ٨ - ٨٧ ، أما الأمثلة المضروبة على ذلك فتجدها في ٣ : ٣٤ - ٣٦ : وما بعدها ، ثم في ٤ : ١٤٤ - ١٤٨ ، وكلها في الجزء الثالث .

واذا كان ابن حزم قد أجاز صرف الآيات والأحاديث أحياناً عن ظاهر معناها اللغوي فإنه لم يقبل أن يتأوّلها كلُّ مَنْ شاء على هواه (٣ : ٣٥١) .

فينتج معنا من كل ما تقدم ان ابن حزم لا يقبل « القياس » (الحكم ، في الأمور التي لم تجر في أيام رسول الله ، بما حكم رسول الله في أشباه تلك الأمور او قريباً منه) ، ولا يؤمن به (٤ : ٨٥ ن) ، بل هو يقول : « والقياس كله باطل » (٥ : ٤٨ ن) .

نظرية المعرفة

« نظرية المعرفة » تبحث « في السُّبُلِ التي يُدرك بها الانسانُ حقيقةَ الوجود ، وحقيقة الموجودات » . اما اذا أحببنا ان نضع التعريف في شكل أبسط فوجب ان نقول : هي الطرق المنطقية الى توصلنا الى إدراك ماهية الأمور المعقولة والمحسوسة ، (والمعقولة هنا تعني الأمور التي تقومَ عليها البراهين العقلية المطلقة من الرياضيات والطبيعيات) . فنظرية المعرفة اذن قسم من المنطق ، أو هي ثمرة المنطق على الأصح .

ويحسن ان نقول هنا ان « نظرية المعرفة المطلقة » لا تتناول البحث في الله ولا في القضاء والقدر (الجبر والاختيار) ولا في الخلود (بعد الموت) ، كما قال بذلك كبار الفلاسفة . ولم يشذ ابن حزم عنهم ، بل هو الذي تقدم مُعظَمَهم في التصريح بذلك وجعل معرفة هذه الأمور الماورائية لا تتأتّى الا من ظاهر نص الآيات الكريمة والأحاديث الموثوقة .

* * *

ولا أرى ان أستعرض هنا نظرية المعرفة « قبل ابن حزم او بعده » بل أكتفي بهذه المقدمة الطويلة إذ كانت ضرورية لما نحن بسبيله .

ابن حزم ونظرية المعرفة

سبل المعرفة عند ابن حزم أربعة ، ولكنها في الحقيقة ثلاثة فقط :

١ — النصوص الدينية كما هي مثبتة في القرآن الكريم وفي الأحاديث الموثوقة .

٢ — ما أوجبته اللغة من المعاني التي تحملها الكلمات ، وما اتفق عليه العرب من الفهم لدى سماعهم هذه الكلمات .

٣ — الحس السليم وبديهة العقل .

٤ — الاكتساب ونقل التواتر .

أما النصوص الدينية وأما اللغة فلا تدخل في نظرية المعرفة المطلقة ، وانما هي من « طرق المعرفة » المقبولة بلا برهان . فالقرآن الكريم والأحاديث الموثوقة صادقة الأخبار لا شك في ذلك ؛ ونحن نقبل ما فيها قبولاً مقروناً بالتصديق من غير تعرض للتساؤل عن اسباب ذلك (راجع مقدمة ابن خلدون ٤٥٨ ـ ٤٥٩، الخ).

وأما اللغة فطريق من طرق المعرفة أيضاً ، لأن الكلمات حوامل للمعاني . . . . فاللغة من هذه الناحية ذات أهمية في نظرية المعرفة ، ولكنها ليست نظرية المعرفة نفسها .

بقي لدينا « الحس السليم وبديهة العقل » ثم « الاكتساب ونقل التواتر » . فهذه عناصر نظرية المعرفة على الحصر . وان الحق ليحملنا على القول بان ابن حزم قد تقوم بآرائه في ذلك كثيراً مما انتجته العبقرية الغربية (بالغين المعجمة) .

وفي ما يلي عرض لهذه الطرق كلها كما يراها ابن حزم :

أولاً : النصوص الدينية

هذه النقطة راجعة في حقيقتها عند ابن حزم الى مذهبه الظاهري ، وآرائه الفقهية ، وهاك مجمل صلتها بنظرية المعرفة عنده :

يقول ابن حزم : فانما نتّبع ما جاءت به النصوص فقط (٣ : ١٦٢) .

فعلينا ان نصدّق بكل ما ورد في القرآن الكريم وفي الأحاديث الموثوقة من غير طلب استدلال ، لأنه لما صحّ لنا أنّ هذا الكتاب من عند الله وأن نبوّة محمد صلى الله عليه وسلم حق وجب ان نؤمن بكل ما جاء منهما ، ونحن مضطرون الى التصديق به (٥ : ١٠٩ وما بعدها) .

ثم إن الله تعالى هو الذي يسمّي الأشياء ويكسبها حقيقتها ، وكلّ ما سماه البشر من عندهم فليس بشيء (٣ : ٨٦ س ، ٧٢ ، ١٥٢ س ، ١٩١ ، ١٩٣، ٢٠٨ ، ٥ : ١١٠) ؛ والتسمية ليست لنا وإنما هي لله تعالى (٣ ، ٢٠٨) ، فمن سماهم الله كفاراً فهم كفار ، وما سماه الله تعالى إيماناً فهو ايمان (٣ : ٢١٣ و ٢٢٦ ، ١٩١ ـ ١٩٣) بصرف النظر عن خصائص ذلك او ميزاته (عندنا) ، إذ « صحّ بالضرورة التي لا محيدَ عنها انه ليس في العالم شيء محمود ممدوح لعينه ولا مذموم لعينه ولا كفر لعينه ولا ظلم لعينه .... فإنْ وُجِد له تعالى أمرٌ بمدح شيء أو ذمه وجب الوقوف عند امره تعالى ، كأمره تعالى بمدح الكعبة والمدينة والحجر الأسود .... والصلاة وغير ذلك ، وكأمره تعالى بذم الخمر والخنزير .... والكفر والكذب .... وليس لأحد ان يسمي شيئاً الا بما أباحه الله تعالى في الشريعة او في اللغة التي أمرنا بالتخاطب بها (٣ : ٧٢ ـ ٧٣) .

ثانياً : اللغة وما أوجبته

يرى ابن حزم أيضاً أن الله أنزل القرآن الكريم باللغة العربية ليفهمه العرب (٣ : ١٥٢ ، ١٨٩) ، ثم يستنتج من ذلك ان اللغة مهمة في فهم ما تدل عليه . وكذلك الاسماء موضوعة للتفاهم ولتمييز بعض المسميات من بعض (٥ : ٤٥) ، فيجب ألاّ تُصرَفَ الكلمات عن ظاهر ما وُضِعت له (٥ : ١١) ، إلاّ اذا جاءت الشريعة بنقل اسم منها عن موضوعه فى اللغة (٣ : ١٩٠ ـ ١٩١ ، ١٩٧ ، ٢١١) .

ثم أن للغة مسموعاً يوجب فهم المراد منها (راجع ٤ : ٢١٤)، وذو العلم باللغة لا يشك في المقصود من الفاظها (راجع ٥ : ١١) . وما يصدق على اللغة العربية يصدق على كل لغة أخرى (٣ : ٨٠) .

وابن حزم يرى ان اللغة « توقيفيّة » ، يعني بذلك ان الله « خلق اللغة وأهلها » ، ولذلك كان الله ، املك بتصريفها وإيقاع اسمائها على ما يشاء (٣ : ١٩٢) » . فلا عجب اذن اذا رأينا ابن حزم يعجبُ من الذين يحتجون في صواب التسميات بقول امرئ القيس والحطيئة وجرير ، ثم اذا هو رأى قولاً لله أو لرسوله « تحيَّل في احالته عما أوقعه الله عليه » (٣ : ١٩٢) . فكلام الله وكلام رسول الله مُقدَّم إذن في صواب التسمية والمُراد منها على كلام سائر العرب .

ثالثاً : الحس والعقل

هنا نأتي الى « نظرية المعرفة » الصحيحة في فلسفة ابن حزم : يرى ابن حزم ان كل ما عُرف بأول العقل أو ببديهة العقل أو بالحس أو بالحس السليم أو بالقلب فانما يُعرَف بالضرورة من غير اختيار ولا حاجة الى برهان .

حد المعرفة « العلم والمعرفة اسمانِ واقعان على معنىً واحدٍ ، وهو اعتقاد الشيء على ما هو عليه وتيقُّنه به وارتفاع الشكوك عنه ؛ ويكون (العلم) :

أ — إما بشهادة الحواسّ وأوّل العقل ؛

ب — وإما ببرهانٍ راجعٍ من قرب أو من بعدٍ الى شهادة الحواس وأوّل العقل ؛

ج — وإما باتفاقٍ وقع له (للانسان) في مصادفة اعتقاد الحق خاصة ، بتصديق ما افترض الله عز وجل عليه اتّباعَه خاصة دون استدلال (٥ : ١٠٩) (*)

أما (ج) فقد مر الكلام عليها في الكلام على النصوص الدينية . وسيتناول الكلام الآن (أ — ب) :

(*) هذا الحد للمعرفة لا يتناول علم الله عند ابن حزم (راجع ٥ : ١٠٩ ن) .

تحليل أ يجعل ابن حزم العلم بأول العقل وبالحس شيئاً واحداً معروفاً بالضرورة ، فهو يقول مثلاً :

— فبضرورة العقل ندري (٣ : ١٧٧ س) .

— وقد علمنا بضرورة العقل وبديهته (٤ : ٨٧) .

— وهو معروف بأول العقل ؛ لكن علمنا بضرورة العقل (٥ : ١٣) .

أو هو يقول :

— ندري بضرورة الحس (٣ : ١٧٠ ن) .

— فبيقين يدري كل ذي حس سليم (٣ : ٢٠٢ ن) .

— لا يشك احد ذو حس سليم (٣ : ٢٥١) .

— فبالضرورة يدري كل ذي حس سليم (٣ : ٥٩) .

وقد يجمع ابن حزم بين العقل والحس في مرتبة واحدة فيقول : هذا أمر يُعرَف بضرورة العقل وضرورة الحس (٥ : ٤٧ ع) ؛ أو تراه يقول عن البراهين انها « ضرورية منتَجة من بديهة العقل والحس لا يغيب عنها الا جاهل » (٣ : ٥٥) ، أو « مما شهدت به الحواس والعقول » (٣ : ١٥٢) .

وأحياناً : يتكلم ابن حزم عن العلم الضروري فقط من غير ان يضيفه الى العقل أو إلى الحس (١ : ٧ ، ٣ : ١٩٧ ، ٥ : ٥٤ ، ٥ :) . أما ذِكرُه « الخواس » (٣ : ١٥٢) فأعتقدُ أنها تعني هنا ما يعني ابن حزم بالحس تماماً ، وان كانت قد وردت مجموعة .

ويرى ابن حزم صراحةً أنّ للانسان ستّ حواس . ان النفس تدرك المحسوسات (المادية) بالحواس الخمس كعلمها (أي : كعلم النفس) ان الرائحة الطيبة مقبولة من طبعها وان الرائحة الرديئة مُنافِرَة لطبعها ، وكعلمها أن الأحمر مخالف للأخضر والأصفر والأبيض والأسود ، وكعلمها الفرق بين الخشن والأملس .... والحار والبارد .... والحلو والحامض والصوت الحاد

والغليظ والرقيق والمطرب والمفزع (١ : ٥ راجع ٣ : ١٠٧ س ١٠٨، ع) .

والحواسُّ الخمس هذه لا تدرك أحوال المحسوسات الا بالمقابلة والتفاضل ؛ أو أن يعظُمَ الفرقُ بسرعةٍ ، أو يجتمع منه جملةٌ ما يمكن أن تدركها الحواسُّ . فالانسان لا يدرك تبدُّلَ الظل على الأرض الا بعد ان ينتقل ذلك الظل انتقالاً يستطيع البصر ان يقدِّرَه ، وكذلك لا ترى الانسان يدرك ببصره نموَّ الشجرة الا بعد أن تكون قد نمت قدراً تسهل ملاحظته . وكذلك الشبعُ والريُّ وكثير من أغراض العالم (٥ : ١٠٨) .

* * *

أما الخاصة السادسة فهي علم النفس بالبديهيات : يقصد ابن حزم بذلك ان ثمت أموراً يدركها الانسان [ذو العقل] بداهةً من غير ان يعرف دليلاً عليها . « فمن ذلك علمها (أي علم النفس) بان الجزء أقلُّ من الكلّ ؛ فان الصبي الصغير في أول تمييزه إذا أعطيتَهُ تمرتين [وبكى ثم](*) زدته ثالثةً سُرَّ . وهذا علم منه بان الكل اكثر من الجزء ، وان كان لا ينتبه لتحديد ما يعرف .... ومن ذلك علمه بانه لا يكون الجسمان في مكان واحد ، فانك تراه ينازع على المكان الذي يريد ان يقعد فيه علماً منه بانه لا يسعه ذلك المكان مع شخص آخر ؛ وما دام ذلك الشخص يشغل المكان ، فان المكان لا يتسع له أيضاً .... ومنها علمه انه لا يكون فعل الا لفاعل ، فاذا رأى شيئاً قال : مَنْ عمِلَ هذا ؟ ولا يقنع البتَّة بانه انعمل دون عامل ؛ الى آخر ما هنالك (١ : ٥ ـ ٦) .

فهذه أوائل العقل التي لا يختلف فيهـا إلاّ مَنْ دخلت عليه آفة في عقله كالجنون أو عاهة في بدنه أو عجز في أعضائه كالأمراض المختلفة والاضطرابات العصبية . وتلك « الاوائل » أمورٌ هي مقدماتٌ صحيحة لا شك فيها ولا سبيلَ الى أن يطلَبَ عليها دليلاً الا مجنونٌ ، او جاهلٌ لنقصٍ في إدراكه او مكابرٌ

(*) في الأصل : بكى واذا

مُغالط . ودليل ابن حزم على ان هذه الأمور لا تحتاج الى الاستدلال قوله :
« لأن الاستدلال على الشيء لا يكون الا في زمان (يعني : يقتضي زمانا) ، ولا بدَّ ضرورة (من أن) يُعلم ذلك بأوّل العقل ؛ لأنه عُلم بضرورة العقل أنه لا يكون شيء مما في العالم الا في وقت . وليس بين اول اوقات تمييز النفس وبين ادراكها لكل ما ذكرنا مُهلةٌ البتة ، لا دقيقةٌ ولا جليلة ، ولا سبيل الى ذلك (١ : ٦ ـ ٧) .

في بعض ما تقدم غموض ، ولكن فكرة ابن حزم مفهومة ، هي ان الانسان اذا أُلقِيَ اليه أمر عرفه حالاً ، ولو ان معرفة كل شيء تقتضي استدلالاً على حقيقته لوجب ان يُلقى الأمر الى الانسان ثم يمضي على ذلك الأمر (امام الانسان أو في عقله) وقت كثير أو قليل قبل ان يدرك ماهيته . وهذا مناقض للواقع كما يرى ابن حزم .

على ان البشر ليسوا ـ في رأي ابن حزم أيضاً ـ متساوين في سرعة الادراك وصحة الفهم . ثم إن المقدمات نفسَها قد تكون قريبة فيسهل معها الفهم عموماً ، أو قد تكون بعيدةً فيعسر معها الفهم أحياناً ؛ ان هذا لا يقدح في البشر ولا في المقدمات : اننا نعلم مثلاً انه كلما زادت أرقام الأعداد صعب العمل بها وجاز وقوع الخطأ الا على الحاسب المُجيد ، حتى ان الحاسب المجيد قد يجد صعوبة في العمل بها .

* * *

والآن ، ماذا يعرف الانسان ؟

حينما يتكلم ابن حزم على الشياطين والجن يأتي بحكم خاصٍ بهم وصائب في وقت واحد . من أجل ذلك سنجرد نحن هذا الحكم ونجعله عاماً .

قال ابن حزم عن الشياطين (٥ : ١٢) : « لم ندركْ بالحواسّ ولا علمنا وجوبَ كونهم ولا امتناع كونهم في العالم أيضاً بضرورة العقل ؛ لكن علمنا بضرورة العقل امكانَ كونهم » .

هذا الحكم ينطبق على جميع المبادئ العامة وعلى جميع الأحوال أيضاً : إننا لا نعرف ببديهة العقل وجوب كون الشيء أو امتناع كونه ، ولكننا نعلم امكان كونه . انني لا أعلم من طريق العقل (كما يقول ابن حزم) ان الجن موجودون ، ولا أعلم من طريق العقل انهم غير موجودين ، ولكنني اعلم من طريق العقل ان الجن يُمكن ان يكونوا موجودين « لأن قدرة الله تعالى لا نهاية لها ، وهو عز وجل يخلق ما يشاء ، ولا فرق بين ان يخلق خلقاً عنصرهم التراب والماء .... وبين ان يخلق خلقاً عنصرهم النار والهواء .... بل كل ذلك سواء وممكن في قدرته » (٥ : ١٢) . ان هذا المنطق الشكلي محبوك عند ابن حزم مقنع .

وكذلك يمكن تطبيق هذا المبدأ على الأحوال : انني لا أعلم اذا كان صاحبي الآن مريضاً او معافىً ، او يقظانَ او نائماً ، ولكنني اعلم بضرورة العقل انه يمكن ان يكون معافىً او مريضاً او يقظان او نائماً ، كما اننا ، نعلم بالبداهة أن الانسان يمكن ان يمرض او ينام او يستيقظ الخ . فنحن اذن « نعلم » الكليات (او المبادئ الكلية والأحوال الشاملة) ببديهة العقل ولو لم نطّلع على اعيانها ؛ على ان الجزئيات (اي الحوادث الفردية التي تقع في مكان خاص وزمان محصور) فنحن « نعرفها » بالحواس الخمس الظاهرة ثم اننا لا نعرفها الا اذا وقعت تحت حواسنا هذه .

ونخطو الآن خطوةً اخرى .

ان العلم بالبداهة (ببديهة العقل) علم ضروري اضطراري ، اي لا خِيَرَةَ لنا في تصديقه او ردّه ، بل يجب ان نقبله حتماً لأنه صحيح . اننا نعرف بالبداهة ان نصف الشيء أصغر من الشيء نفسه ، وان غصن الشجرة اقل من الشجرة نفسها ، وان التفاحتين اكثر من احداهما ، وان النور غير الظلمة . والمعارف — يعني ابن حزم الأمورَ التي تُدرك بأوائل العقل — كلها باضطرار ، بل « هذا هو الاضطرار بعينه ، وليست الضرورة في العلم شيئاً غير هذا ، انما هو معرفة

لا يشوبها شك ولا يمكن اختلاف ما عرف بها ، فهذا هو علم الضرورة نفسه . وهذا النوع من المعرفة يكون باليقين (راجع ٣ : ١٨٠ ، ٥ : ١٠٩) . والدليل على ذلك أنك لو اردت ان تنزع من النفس ما تعرفه (النفس) لما قدرت (٥ : ١٠٩) » .

فمن كل ما تقدم يتبين ان المعارف ، سواء من ذلك ما أدرك العقل او وقعت عليه الحواس ، نوع واحد هو ما عقد عليه المرء قلبه وتيقّنه . غير ان هذا النوع الواحد ينقسم من حيث النتيجة قسمين : احدهما حق في ذاته قد قام البرهان على صحته ، وهذا وحده يسمى علماً . وأما ثاني القسمين فلم يقم على صحته برهان . وكل ما لم يتيقّن الانسان صحته في ذاته فليس عالماً به ولا له به علم ، وانما هو ظانٌ له .... اذ ما لم يُعرف بيقين فانما عُرف بظن ؛ وما عُرف بظن فليس علماً ولا معرفة (راجع ٥ : ١٠٩ و ١١٣) .

فالمعلومات والمعارف التي يدركها الانسان باوائل العقل فانه يعرفها بالاضطرار ولا يحتاج الى ان يطلب عليها برهاناً . وهذا النوع عامٌ في البشر بما هم بشرٌ يتساوَوْن فيه جميعهم ما لم يكن في احدهم آفة عقلية او عاهة بدنية تمنعه ذلك . ولكن قد يتفق لرجل أن يطلب برهاناً على امر ندركه بالبداهة . ان هذا الطلب يسمى استدلالاً . مثال ذلك : ان كل انسان بلغ من التمييز مرتبةً ما يعلم ان واحداً وواحداً يساويان اثنين ، نعلم ذلك بالاضطرار وضرورة العقل ، ويتساوى في معرفته كل البشر . فاذا أحب أحد ان يستدل على صحة ذلك جاز له ان يتتبّع برهان ما أراد في معادلة جبرية طويلة فيستدل حينئذ ويقنع شخصياً ان واحداً وواحداً يساويان اثنين ، الا ان هذا الاستدلال اكتسابي يكتسبه شخص دون شخص ، ولا يقدر عليه الا من بلغ من العقل والتمرُّس مبلغاً رفيعاً (راجع ٥ : ١٠٩) .

ولكن علامَ بنى ابن حزم نظريته في العلم الاضطراري ؟ ان متابعة أقواله تدل على أن نظرية العلم الاضطراري مخالفة لنظريته العامة في المعرفة : -

قد يسبق الى الوهم ان ابن حزم متأثر بنظرية المعرفة عند أفلاطون ، او عند افلوطين ومن تبعه من الاسكندرانيين [١] من ان النفس كانت في اول الامر (قبل اتصالها بالجسد) في الملأ الأعلى ، في عالم الصور المطلقة أو عالم الألوهية ، ترى الصور المثلى لجميع المحسوسات وتعرفها معرفة صحيحة . ثم ان هذه النفس غفلت عن التأمل في بهاء الألوهية فهبطت او أهبطت الى الأرض لتتصل بجسد ما . فلما اتصلت بالجسد نسيت ما كانت قد عرفته من قبل في عالم الصور المطلقة . ولكنّ النفس أخذت بعد ذلك في التمييز شيئاً فشيئاً فكانت كلما رأت موجوداً في هذه الأرض تذكرت أنها كانت قد رأت صورته المطلقة في الملأ الأعلى فتذكرته بها وعرفته . وهكذا تعرف النفس الموجودات . لقد كانت هذه النظرية شائعة في العصور الوسطى ولكن العرب لم يأخذوا بها كثيراً حتى ان ابن سينا تهكم عليها في قصيدته العينية المشهورة :

هبطت اليك من المحل الأرفعِ ورقاءُ ذات تعزُّز وتمنُّعِ [٢]

وقد فعل ابن حزم ما فعله ابن سينا فقال : « ان الانسان يخرج الى هذا العالم ونفسه قد ذهب ذِكرُها جملةً في قول من يقول إنها كانت قبلَ ذلك ذاكرةً .... فاذا أخذت يعاودها ذِكرُها وتمييزها .... كالمفيق من مرض فأوّل ما يحدث لها من التمييز الذي ينفرد به الناطق من الحيوان فهمُ ما أدركت بحواسّها الخمس (١ : ٤ ـ ٥) .

إلا ان ابن حزم يقص ذلك على الحكاية ولا يؤمن به فانه يخالف مذهبه الظاهري : وعلى هذا يقول (٥ : ١٠٨) : « والصحيح في هذا الباب ان الانسان

---

(١) قد يسمى المذهب الاسكندراني الفلسفة الافلاطونية الحديثة أو الجديدة ، ولكن هذا خطأ في التسمية وان كان قد اشتهر بين الباحثين في العربية (راجع : الفلسفة اليونانية في طريقها الى العرب للكاتب ، ص ٧٦) . (٢) راجع الفارابيات للكاتب ص ٣٠ – ٣١ ، وعبقرية العرب في العلم والفلسفة ص ١٠٢ – ١٠٤ .

يخرج الى الدنيا ليس عاقلاً ولا معرفةً له بشيء كما قال عزّ وجل : واللهُ أخرَجكمْ مِنْ بطونِ أمّهاتكمْ لاَ تعلمونَ شيئاً (١) » .

واذا كانت الأنفس تخرج الى الدنيا لا تعرف شيئاً ، فكيف تعرف بعدئذ الموجودات ؟ ثم كيف تعرفها بالضرورة والاضطرار ؟

لا يعدَمُ ابن حزم وسيلةً يوفقُ بها بين المعرفة بالاضطرار وبين خروج النفس لا تعلم شيئاً ، فهو يقول عن الانسان :

« إذا كبرَ وعقَل وتقوّت نفسه الناطقة وأنست بما صارت فيه وسكنتْ اليه وبدأتْ رطوباتها تجف بدأتْ نفسه بتمييز الأُمور في الدار التي صارتْ فيها . فيُحدث الله تعالى [حينئذٍ] لها قوة التفكير واستعمال الحواسّ في الاستدلال ، وأحدث الله تعالى لها الفهم بما تشاهده وما تخبر به » (٥ : ١٠٨) .

وهكذا أخذ ابن حزم النصف الأول من رأيه عن المذهب الاسكندراني (٢) وأخذ النصف الثاني من مذهبه الظاهري ومن الرأي التوقيفي الوارد في القرآن الكريم من ان الله تعالى « عَلَّم الإنسانَ ما لَمْ يعلمْ » (٣) وانه « علَّم آدَمَ الأسماءَ كلَّها » (٤) . . . حتى النصفُ الأوَّلُ ، إنه وإن كان في ألفاظه مأخوذاً من المذهب الاسكندراني ، فإنه في أساسه من القرآن الكريم ، وقد أشار ابن حزم الى ذلك صراحة حتى استشهد بقوله تعالى : « واللهُ أخرجكم من بطونِ أمهاتكمْ لا تعلمونَ شيئاً » .

ويمس ابن حزم نقطة مهمة جداً ، هي « الشَّكُّ الممَهِّدُ لليقين » . يذكر ابن حزم طائفة من المتكلمين تعتقد ان المعرفة اليقينية لا تتأتى الا بالاستدلال

(١) القرآن الكريم ١٦ (سورة النحل) : ٧٨ .

(٢) راجع القصيدة العينية لابن سينا :

أنفت وما أنست ، فلما واصلت ... ألفت مجاورة الخراب البلقع

(٣) راجع القرآن الكريم ٩٦ (سورة العلق) ٥

(٤) (سورة البقرة) : ٣١ الخ الخ .

وإقامة البراهين ، وبعد ان يكون الانسان شاكاً بما علم من بعدُ . ولقد قال بذلك جماعة من المتقدمين ومن المتكلمين كالنظّام مثلاً . وكذلك رأينا الشك عمدة في نظرية المعرفة عند القديس اغسطينوس قبل ابن حزم وعند الامام الغزالي وديكارت بعد ابن حزم . على ان ابن حزم نفسه ينكر ان الشك يجب ان يسبق اليقين او ان يكون الاستدلال ضرورياً للمعرفة الصحيحة ، ويرمي من يقول ذلك بالحمق (٥ : ١١١ الخ) .

ولكن هل هنالك علم ضروري واضطراري ببديهة العقل عند ابن حزم نفسه ؟

يبدو بجلاء أن ابن حزم يقول بعلم ضروري اضطراري ببديهة العقل لأن ذلك يتفق مع مذهبه الديني ، ولأن قوله هذا هو المخرج الوحيد له من مأزق العالم المادي ، ومن جعل المحسوسات المادية وحدها مصادرَ المعرفة مباشرةً . ولكن ابن حزم ليس صاحب مذهب ديني فحسبُ ، انه مفكر كبير أيضاً ، فلقد انجلى له أن المعارف كلها ترجع في حقيقتها الى الحواس الظاهرة :

حينما يجعل ابن حزم الحواسَ الخمس (الظاهرة) سبيلاً للتمييز بين المحسوسات (١ : ٥) فإنما يضع أساساً ثابتاً للمعرفة بالاكتساب لا ببداهة العقل . حتى الأمثلةُ التي يقدمها ابن حزم على المعرفة بالحاسة السادسة فانه يبنيها أيضاً على أمور محسوسة في عالم المادة لا يمكن ان تعرف الا بالحواسّ الخمس الظاهرة (١ : ٥ ، ٥ : ٦٩ ، ٨٠ ـ ٨١ ، ١٠٨) .

ثم يعود ابن حزم فيؤكد ما ذهب اليه حينما يصرّ على وجوب صحة الحواسّ حتى تتمكن من القيام بتمييز المحسوسات تمييزاً صحيحاً (٣ : ١٠٧ س ـ ١٠٨) . وابن حزم يعترف بأن قوى الحواس غير متكافئة في البشر جميعاً ، ولذلك كانوا مختلفين في ما يحسونه أو يرَوْنه (أي يعرفونه) ، فهو يقول : « فدليل برهاننا على هذا ما وجدناه من اختلاف الناس ؛ واختلافُهم دليل على كثرة الخطأ منهم . وقد وضّحنا أنّ وجود الخطأ يقتضي ضرورةً وجودَ الصواب منهم ، ولا بدّ .

و (لكن) ليس اختلافهم دليلاً على أنْ لا حقيقةَ في شيء من أقوالهم ، ولا على امتناع وجود السبيل الى معرفة الحق (٥ : ١٣٣) » .

ويرجع ابن حزم مرة أخرى فيعلن انه لا يميل الى الافتراض ، بل يعالج العالم الواقع فقط ، فهو يقول : « ولا فضولَ أعظمُ من فضول من اشتغل بشيء قد أيقن انه لا يكون أبداً ؛ ولكنّ الذي كان ووقع فاننا نتكلم فيه (٣ : ٢٥٦) » .

وأخيراً يعبّر ابن حزم عن هذه الحقيقة العظمى تعبيراً واضحاً ، حيث يقول (٥ : ١٠٩ ع) : « وهو (أي الانسان في أول أمره) ان لم يحسن العبارة عن ذلك فان أحواله كلها تقتضي تيقّنه كلّ ما ذكرنا ، و (قد) عرف أولاً صحة ما أدرك بحواسّه ؛ ثم أُنتجتْ له سائر المعارف بمقدمات راجعة الى ما ذكرنا من قُرْب أو بُعْد .... والمعرفة تكون إما بشهادة الحواس وأوّل العقل واما ببرهان راجع من قرب أو بعد الى شهادة الحواس أو أوّل العقل .... » .

فمن كل ما تقدم يبدو لنا أن مَرَدّ المعرفة الحقيقي انما هو الى الحواس ، حتى العقلُ فانه لا يستطيع أن يميز الأمور تمييزاً صحيحاً الا اذا كان الحواس في جسم صاحبه سليمة . وهكذا يكون ابن حزم قد حلّ أعظم مشكلة في تاريخ نظرية المعرفة ، تلك المشكلة التي زعم مؤرخو الفلسفة الأوروبية أن حلها كان نتاج عبقرية الفيلسوف الألماني كانْتْ Kant (توفي ١٨٠٤ م) . لقد كان هم هذا الفيلسوف محاولة الجواب على هذه المشكلة الكبرى : « كيف تكون الأحكام المبنية على الاختبار الحسي ممكنة بالبديهة ؟ » ولقد حل ذلك بأن جعل المعرفة التي نعتقد أننا قد عرفناها ببديهة العقل A priori راجعة الى الحواس في زمن متقدم وسمى ذلك a posteriori A priori ، مما لا مجال لمدّ القول فيه هنا . على ان ابن حزم جاء قبل كانْت Kant بسبعة

قرون ووقف أمام المشكلة نفسها ثم حلها حلاً ينقصه بسط القول وشكل المنطق اللذين امتاز بهما كانت ، ولكن لا تنقصه العبقرية المبدعة البصيرة الناقدة .

* * *

وأرى أن أقطع الكلام هنا بعد أن عرضت صفحة من تاريخ الفلسفة الاسلامية عظيمةً براقةً ، كانت من قبل مغمورة بل مجهولة . انني لم أنقد ولم أحلل ولم أعارض ولم أوازن ، لأنني لا أزال أعتقد ان واجبنا الأول ان نجلوَ تراثنا القديم ونرتب موادّه وننسق بحوثه ، أما النقد فيأتي بعد حين .

الدكتور عمر فروخ

ملاحظات على معجم

عندما طبعتُ معجم الألفاظ الزراعية في أواخر سنة ١٩٤٣ أهديت منه نسخة الى العلاّمة الفقيد الأب أنستاس ماري الكرملي ، ورغبت اليه ان يدلني على ما يرى في ذلك المعجم من هفوات لكي أتلافاها في الطبعة الثانية . وقد بعث إليّ من بغداد برسالة طويلة مؤرخة في ٢٩/١٠/١٩٤٤ أطرى فيها المعجم كثيراً ، وذكر رأيه في بعض الاصطلاحات الواردة فيه . وأجبته في ١٨/١٢/١٩٤٤ عن رأيي في الألفاظ التي انتقدها ، فقد كان على ما أرى مصيباً في بعضها ومخطئاً في بعض .

ولما كانت هذه الموضوعات مفيدة لقرّاء مجلة المجمع ولمن يؤلفون في المواليد أو يصنفون المعجمات الفرنجية العربية كتبت فيها هذه العجالة :

(١) وضعتُ في المعجم أمام كلمة Abricotier مشمش ، وأمام كلمة Poisson سمك . فقال الأب رحمه الله منتقداً :

(Abricotier مشمشة أي شجرة المشمش ، أما المشمش فشبه جمع أي Abricotiers) .

فأجبته بما يلي :

عندما يذكر الفرنسيون كلمة Abricotier مثلاً في المعجمات وفي كتب الزراعة والنبات فهم يشيرون الى الجنس النباتي لهذا الشجر لا الى شجرة واحدة من هذا الجنس . وهذا معروف عندهم لا يستلزم وضع ال التعريف الفرنسية أمام كلمة Abricotier ، ولا إضافة علامة الجمع اليها .

وهكذا نحن عندما نضع أمام الكلمة الفرنسية المذكورة لفظ «مشمش» فاننا نعني جنس المشمش لا مشمشة واحدة ولا عدداً مجموعاً من المشمش .

واذا راجعنا تحلية النبات في الأمهات من المعاجم العربية كالمخصص ، أو راجعنا أبحاث زراعة النبات في كتب الزراعة القديمة ، نجدهم يذكرون كل نبات باسم جنسه لا باسم واحده المنتهي بالتاء . فيقولون مشمش لا مشمشة وغار لا غارة ورمان لا رمانة وزيتون لا زيتونة اخ .

أما أسماء الثمار فسيان عندنا أأريد بها نوع الثمر أم ثمرة واحدة منه (اي L'abricot أو Un abricot) فأنا رجحت الإفراد فقلت مشمشة (ثمرة المشمش) وتفاحة (ثمرة التفاح) ومعناه ثمرة واحدة من المشمش وثمرة واحدة من التفاح . ولو أردت النوع لقلت مشمش وتفاح ولفسرتها بقولي ثمر المشمش وثمر التفاح بلا تاء .

وأما في تسمية الحيوان فكل حيوان له اسم جنس جمعي يُفرَّق بينه وبين مفرده بالتاء فقد سميته على الأكثر باسم الجنس لأنه هو المقصود في مثل معجمي ، فوضعت أمام Pigeon حمام لا حمامة . وهكذا قلت يمام وحجل وفأر اخ . ومع هذا لم أتقيد دائماً بما ذكرت ، فوضعت كلمة دجاجة لا دجاج (اسم الجنس) أمام كلمة Poule ، ونحلة لا نحل أمام Abeille مشيراً الى الواحد لا الى الجنس .

(٢) قلت في المعجم مثلاً « صف من الدود الخيطيات » و « شائكات الزعانف » أي انني نعتُّ جموع الكثرة كالدود والزعانف بالمؤنث السالم وهو للقلة . فانتقد رحمه الله ذلك وأوجب ان أقول « دود خيطية ، وشائكة الزعانف اخ . » فأجبته بقولي :

لا يتقيد العلماء بجموع الكثرة أو القلة في أبحاثهم العلمية . ولا لزوم لهذا القيد في مثل معجمي العلمي . ففي المخصص مثلاً (ج ١١ ص ١٥٠) : « واللوف نبات له ورقات خضر رواء طوال اخ . » فقد نعت الورقات بطوال لا بطويلات مع انها ليست جد طويلة . وأمثال ذلك كثير في الأمهات .

(٣) انتقد الفقيد قولي عنكبوتيات وطلحيات وقمليات وزيتونيات ونجيليات ووورديات وأمثالها ورأى جعلها جميعاً بالتاء أي عنكبوتية ونجلية اخ . فكان

جوابي اليه انني رجحت منذ عدة سنين كتابة الأسماء الدالة على الفصائل النباتية والحيوانية بصيغة جمع المؤنث السالم . وكذا الأسماء الدالة على حلقات التصنيف التي هي فوق الفصائل . وقد اتبع مجمع مصر للغة العربية من بعدي هذه الطريقة . أما اسماء القبائل فقد كتبتها بالتاء تمييزاً لها . ففصيلة Oléacées مثلاً سميتها زيتونيات . أما القبائل الثلاث في تلك الفصيلة أي Oléées و Jasminées و Fraxinées فقد سميتها زيتونية وياسمينية ومرّانية وهكذا . وهذه الطريقة أصلح من غيرها ، وذلك لأسباب يطول شرحها . وعلى المؤلفين في المواليد أن يتبعوها تمييزاً لأسماء الفصائل وما فوقها عن أسماء ما هو دون الفصائل .

(٤) انتقد تعريب Azote بلفظ آزوت على وزن فاعول . وطلب ان تُعرب بلفظ أزوت على وزن فعُول . وهكذا طلب ان نقول أشورية لا آشورية .

والجواب ان العرب عربت كثيراً من الألفاظ على وزن فاعول كناقوس وتابوت وكابوس . وليست الألفاظ التي على هذا الوزن بقليلة كجاموس وساعور وراقود وغيرها . وعندما تكون الكلمة المعربة أقرب الى الكلمة الأصلية يكون استعمالها أصلح . ولا حاجة بنا الى التشدد في مثل هذا الموضوع ، أي لا لزوم الى الابتعاد عن الكلمة الأصلية لأن فَعول في العربية أشهر من فاعول .

(٥) وضعت في معجمي أمام Acacia arabica كلمات سنط عربي . سنط . قَرَظ . شوكة مصرية . شوكة قبطية . وقلت في الشرح : « نوع من السنط يكثر في جزيرة العرب وفي الحبشة ، ويُستخرج من صمغ مشهور » .

فاعترض الفقيد قائلاً بالحرف « فَطلْكَ ان تقول سنط . ولا يُزاد عربي » .

فأجبته بما يلي : « لم أكتف بكلمة سنط لأن معجمي معجم علمي لا بد فيه من ذكر الألفاظ الدالة على الأنواع النباتية Espèces . فلو أخذنا مثلاً نبتة من الحنطة القاسية أي Blé dur أو قل Triticum durum ونبتة من الحنطة اللينة أي Blé tendre وباللسان العلمي Tr. sativum وكلاهما مبذول في

بلادنا ، لوجب على رأيكم ان نسمي النبتتين باسم واحد معروف وهو حنطة ، على حين أنه من الضروري ان نفرق بينهما في التسمية بذكر اللفظ الدال على النوع . ولهذا سميت الأولى حنطة قاسية والثانية حنطة لينة . وهكذا في مئات من الأسماء كأنواع البلوط وانواع الورد وغيرها كثير ، وكقولي سنط صمغي وسنط مفتول لأن كلمة طلح تطلق عليها جميعاً . فعندما يكون النبات مشهوراً باسم واحد يذكر هذا الاسم . لكنه لا بد أيضاً في المعاجم العلمية من ذكر الاسم العلمي لمعظم النبات والحيوان كاملاً ، أي ينبغي ذكر اللفظ الدال على الجنس واللفظ الدال على النوع منعاً للالتباس . فمن المفيد ان تنتبهوا الى ذلك في معجمكم المساعد الذي نرقب طبعه ونشره على العالم العربي .

(٦) وضعت كلمة مَلساوات أمام Anacanthiniens وهي رتبة من الأسماك المظلميات . فاعترض قائلاً : يقال مُلْس ولا يقال ملساوات . فأجبته بأنني أنزلت الملساوات هنا منزلة الاسم وهو جائز كقولهم الخضروات والعجاوات :

(٧) قال يجب أن نضع امام Poissons سَمَك لا أسماك ، وأمام Oiseaux طير لا أطيار ، لأن الافرنسية جمع كثرة وأسماك وأطيار جمع قلة .

فأجبته بأن من الأفصح ذكر اسماء الأجناس أمام بعض الأسماء الفرنسية الدالة على الجمع كقولنا نبات وحيوان وطير وسمك ترجيحاً على نباتات وحيوانات وطيور واسماك ، لكن في اللغة شواذ كثيرة . فقد قالوا مثلاً حشرات ولم يقولوا حَشَرة (والحشرة في اللغة اسم للجميع) ولا حَشَر . وقالوا حيّات ولم يقولوا حَي (الحي والحية كالبَطّ والبطة) . وعذرهم واضح . فهذه الأمور ترد اليوم الى الذوق ودفع الالتباس والمقتضيات العلمية .

(٨) استعمل في جوابه كلمة مُسَنَّن ترجمة لكلمة Denté فأجبته بأنني لم أجد المسنن في اللغة . وقد ترجمتها بكلمة مُحَزَّز . وهكذا ترجمها من قبلي الدكتور امين المعلوف صاحب معجم الحيوان في مقال نشره في مجلتنا هذه .

(٩) اعترض على قولي «عملية جراحية» وقال هو البَطّ او البَضْع او العمل الجراحي . فأجبته بأني من القائلين بفائدة إقرار العملية والنظرية ترجيحاً على العمل والنظر . وأرجح كون مجمع مصر قد أقرهما . هذا والعملية الجراحية تتناول أكثر من البط والبضع .

(١٠) قلت الحوامض ثلاثة أشكال أولاً كذا وثانياً كذا الخ . فلم يرق له ذلك وجاء في رسالته : لا يقال أولاً وثانياً وثالثاً ، بل يقال الحوامض ثلاثة الأولى كذا وكذا والثانية كذا الخ .

ولم أجبه عن انتقاده هذا . والذي احفظه من كتب اللغة أن «أول» تُصرف في مثل هذا المكان اذا ما أجريت مجرى الاسم . وتقدير الجملة الحوامض ثلاثة أشكال أذكر منها كذا اولاً . أما الثاني والثالث حتى العاشر فالمعروف انها صفات تعرب بالحركات وتنوّن .

(١١) بعث اليّ رحمه الله في ٢٨/١٢/١٩٤٤ بطاقة بريدية يذكر فيها ارتياحه للملاحظات التي تضمنها هذا المقال ، ويعدني بأنه عندما يعود من مصر الى بغداد سيكتب اليّ ايضاً بما يعنّ له أثناء مطالعة معجمي . ثم أنهى كلامه بقوله : « والآن أجلب نظركم الى ما أدرجتُه في مجلة دمشق من الفاظ بعض الحيوان وكذلك في المقتطف في جزء نوفمبر وديسمبر . فقد أوضحت ان العرب عنوا بوضع كثير من الفاظ علم المواليد لما دخلوا اميركة وافريقية واسترالية . وقد جهل لغويو الغرب اصول تلك المصطلحات . وعلى العرب ان يتمسكوا بما وضعه اسلافهم لا أن يأخذوا عن الافرنج تلك الكلم ويمسخوها مسخاً شنيعاً » .

وقد كنت هيأت له جواباً انكر فيه هذا الرأي واوضح ان مجرد تقارب لفظين من الألفاظ لا يستلزم ان يكون احدهما من الثاني . فالفقيد كان عنده في السنين الأخيرة من حياته فكرة لا يريد ان يقلع عنها وهي ان كل لفظ اعجمي يختلف اصحاب المعاجم الأعجمية في اصله او لا يهتدون الى اصله ،

وكان مقارباً للفظ عربي ، فهو إذن من اصل عربي . وهكذا جعل Acheter من اشترى العربية و Agréer من أَغْرَى يُغري و Aigle من العقّال الى آخر ما كنت دحضته في مقال سابق في مجلتنا هذه . وكنت في مقال آخر بينتُ الأدلة العلمية التي يجب ان يستند الباحث اليها في ردّ الكلم الى اصولها .

(١٢) كتبت العرب اسماء المدن والنباتات المعربة بالتاء ترجيحًا على كتابتها بالألف فقالوا غرناطة واشبيلة ودومة وداتورة الخ . لكن هذا لم يكن عندهم قاعدة ملزمة . فقد قالوا ايضاً داريّا وبيت لهيا ودير بُوَنّا وماميثا واقاقيا وسقمونيا وغيرها كثير وكلها بالألف .

فالأب اعترف بأن معظم اسماء النبات التي عربتُها عن الاسماء العلمية قد كتبتها بالتاء . لكنه اعترض على كتابة بعضها بالألف مثل لاتانيا ودوربنيا ؛ إذ كان عليّ ان اجعلها بالتاء . قلت كتابتها بالتاء للترجيح . ولا يغلط من يكتبها بالألف . لكن اتباع الأفصح أصلح .

(١٣) من جنس التَّنُّوب Sapin نوع اسمه تنوب كيليكية . ويسمى في الشام الشوح . وقد ذكرت في معجمي انني لم أجد كلمة الشوح في المعاجم الأصلية ولا في المفردات . فجاء في رسالة الأب انستاس : « الشوح معروفة في جزائر بني مَزْغَنّان . واتفاق هؤلاء الناس مع اهل جبل لبنان ، وكلا القومين عرب ، يدل على صحة استعمالها . وعدم ذكر المعاجم لها لا عبرة له » .

قلت لقد اتفق جميع الذين يتدارسون مفردات العربية على ان معجماتنا خلت من كثير من الألفاظ التي استعملها الثقات من قدماء العلماء والأدباء . لكنني لم اجد كلمة الشوح في كتاب زراعي او أدبي قديم . وهذا لا يمنع اضافتها واضافة أمثالها الى الفصيح من كلم اللغة العربية ، فيكون حظها حظ الألوف من اسماء المواليد المعربة على الأقل . وذكر الأب في رسالته أن بعض الأسماء العامية للنبات كالعنبر والقتنة والدفران والشوح وغيرها مما أوردتها في معجمي يجب

ان نقرها وان نرجحها على الأسماء المعربة لتلك النباتات . قلت انني اشاطره هذا الرأي .

(١٤) قال الأب : « فلتم Abornage تأريث . وصوابها تأريف من الأُرفة لئلا تختلط بمعان أخرى استعملت لها » .

فأجبته بأن التأريث والتأريف في اللغة بمعنى ، وهو وضع الحدود بين الأرضين . والحد يسمى أُرْثة وأُرْفة ومَنار . فأنا استعملت التأريث في معجمي لهذه الكلمة الفرنسية . ووضعت التأريف والمساحة تقابل Cadastre . في القاموس : « أُرِّفَ على الأرض تأريفاً جعلت لها حدود وقسمت » .

(١٥) وقال « Abornement وَضْع الأُرَف » . قلت الكلمات الفرنسية الآتية Abornage و Abornement و Bornage كلها بمعنى وهو التأريث ومعناه وَضْع الأُرَث والمناور Bornes . يقال أُرِّثَ الأرضين اي جعل بينهما أُرْثة جمعها أُرَث . وفي الحديث عن المنار : لعن الله من غيَّر منار الأرض اي اعلامها ، وقيل اراد من غيَّر تخوم الأرضين .

(١٦) في معجمي : Abreuvage سَقي . ترويَة . إرواء . فاعترض الأب قائلاً هو السقي . أما الترويَة فهو إشباع الأرض ماءً .

قلت : في الأساس : « أرْوى إبله وروّاها » . وفي المعاجم يستعمل الإرواء للإنسان والحيوان والنبات والارض . وليست الترويَة مقصورة على إشباع الارض ماء .

(١٧) استعملت العرب في القديم والحديث كلمة « مقياس » مضافةً الى الأشياء التي تقاس ، فقالوا مثلاً مقياس الحرارة ومقياس الرطوبه ومقياس الماء ومقياس الحموضة الخ . فنبهني الأب انستاس الى كون مجمع مصر قد رجح وضع كلمة واحدة لأمثال هذه الآلات ، فقال مِحَرّ بدلاً من مقياس الحرارة ، ومِرْطَب بدلاً من مقياس الرطوبة وهلم جرا .

قلت لقد ذكرت في معجمي معظم الأسماء التي وضعها مجمع مصر للأدوات

المذكورة . لكنني سهوت عن ذكر بعض تلك الأسماء كالمحماض لمقياس الحموضة والمشعاع لمقياس الأشعة والمكحال لمقياس الكحول .

ويظهر ان المجمع المشار اليه أوجد مصدراً صناعياً لعمل تلك الادوات فقال محماضيّة لقياس الحموضة ، ومِشعاعية لقياس الأشعة ومِكحالية لقياس الكحول .

(١٨) وضعتُ أمام Alcool كُحول . غَوْل . وقلت في الشرح : لم يجز بعض اللغويين الكلمة الثانية . ومن المعروف ان من معاني الغول في اللغة الصداع والسكر وما زال به العقل . فقال الأب : «الغول غلط . وقد بين الدكتور شوشه في مؤتمر المحفى (ويعني به مجمع مصر) سنة ١٩٤٤ ان الصواب هو الكُحْل ، وأن الغول خطأ ، وبرهن على ذلك بأدلة لا تقبل النقض البتة» .

قلت لم أطلع على بيان الدكتور شوشة . ومن الثابت في معاجم أصول الكلم الفرنسية ان الاسم الفرنسي Alcool مستعار من كحل العربية بمعنى الإثمد المشهور ، وان الفرنسيين أطلقوه قديماً على الإثمد وأضرابه مما تكحل او تداوى به العيون . ثم حرفوا معناه في اوائل القرن السادس عشر ، وجعلوا له معنى جديداً ، أي اطلقوه على السائل المعروف المسمى سبيرتو بعامية معظم البلاد العربية . اما الإثمد فسموه Kohl وهي كحل العربية . لكننا نحن العرب لم نطلق الكحل في القديم ولا الحديث على هذا السائل اي السبيرتو . ولست أرى لزوماً لتضمين كلمة كحل هذا المعنى الجديد . وأرجح ترجمة Alcool بالكحول او الغول وكلاهما مرى على الألسنة ، وشاع في الجرائد والكتب العلمية . ولو عدنا الى أصل الكلمة الفرنسية وأطلقنا كلمة كحل على السبيرتو لحصل التباس شنيع فشتان ما بين الكحل الذي تسوّد او تداوى به العيون وبين السبيرتو .

(١٩) اعترض الأب على تعريب Physique بفيزياء ، وقال انها كلمة قبيحة لم يقبلها المحفى اللغوي . ورأيه هذا قديم اي منذ وضع أحد أعضاء مجمعنا هذه الكلمة . ولست أرى رأيه فيها لأنها ليست قبيحة . وهي أصلح من الطبيعة

والطبيعي القديمتين لتضمنهما معاني أخرى . وقد شاعت الفيزياء في مدارس الشام والعراق .

(٢٠) من الألفاظ التي ذهب الأب الى كونهما من أصول عربية لفظ Albizzia الدالّ على جنس من النبات . قال انه من العربية البُوصيّة من البُوص وهو الدمقس والحرير في لغتنا الفصيحة .

ومنها لفظ Alburnus الذي يطلق على جنس من السمك . قال هو البُرنُسي نسبةً الى البرنس .

قلت لم أهتد الى أصل هاتين الكلمتين الأعجميتين في ما لديّ من المراجع ، ولم يذكر الأب لي كيف حكم بأنهما عربيتا النجار ، لأن تقارب اللفظين لا يكفي على ماذكرته سابقًا .

(٢١) ذكرت ان كلمة القيقب تطلق اليوم على الشجر المسمى Erable . وقلت في الشرح ان دوزي سماه أيضًا الجَرْمَشَق نقلاً عن لين في كتاب عن مصر ظن فيه ان هذه الكلمة الأعجمية تطلق على الشجر المذكور .

ففي رسالة الأب : « يجب نبذ جرمشق لأنها مصرية عامية . وهي من التركية كُرّمشيك ويقابلها بالفرنسية Cornouiller sauvage وليس Erable كما وهم دوزي » . قلت لقد اصاب الأب في اعتراضه .

(٢٢) من انواع القيقب نوع ينسب الى صقع ايران يسمى بالفرنسية Hyrcanie . قال الأب اسم هذا الصقع في إيران مازَندران . وهذا الشجر يجب تسميته القيقب المازندراني . وقد أصاب .

(٢٣) جاءت كلمة آبنوس في معجمي مفتوحة الباء . فقال الأب : « ضبطت في اللسان بكسر الباء . راجع فيه مادة فرفار وسامم » . قلت راجعت سامم في اللسان فألفيت آبنوس مفتوحة الباء خلافاً لما ذكره الأب . ولم اجدها في مادة فرفار . وجاءت بباء مكسورة في القاموس مادة سامم .

وجاء أمام Affinité إلفة بكسر الألف . « فقال «ألفة بالضم لأن الإلفة بالكسر معناها المرأة تألفها وتألفك على ما في المعاجم» .

وجاء أمام Aigremoine غافَث بفاء مفتوحة . فقال هي بفاء مكسورة .

(٢٤) Acanthus mollis أُقنثا رَحِلة . فقال : الأصلح رخصة بدلاً من رحلة . وقد أصاب لأن رخصة معروفة وشائعة .

(٢٥) Actaea خمانِيَّة بَلَسانية . فاعترض قائلاً : هي أُقتى ، هكذا عرّبها الأقدمون . فأجبته بما يلي :

عرب القدماء Akté اليونانية فقالوا أُقطى . وهي تدل باليونانية والعربية على الشجر المسمى خمان وباصطلاح اليوم البَلَسان والبيلسان وهو بالفرنسية Sureau وباللسان العلمي Sambucus من فصيلة الخمانيات . لكن علماء النبات في أيامنا هذه استعاروا الكلمة اليونانية المذكورة اي Akté وأطلقوها على نبات آخر من فصيلة اخرى وهي فصيلة الحوذانيات لأن ثمار هذا النبات تشبه ثمار الخمان . وهكذا أصبحت كلمة Actaea تدل اليوم على نبات بعيد جداً عن الخمان . ويتضح من ذلك انه لا يجوز تبديل معنى أُقطى الدالة على الخمان اي Sureau وإطلاقها على النبات الآخر الذي سموه Actaea وان كان اللفظ العلمي واللفظ العربي من أصل يوناني واحد .

ولما كانت منابت Actaea في غير بلادنا العربية لم أجد له اسماً عربياً ، ولهذا سميته خمانية وبلسانية إلماعاً الى كون ثماره تشبه ثمار الأقطى اي الخمان . ويمكن أيضاً تسميته أقطية إشارة الى كون الاسم العلمي Actaea من Akté اليونانية .

ويجب الانتباه الى كل اسم نبات من هذا القبيل مما غير علماء النبات مدلوله .

(٢٧) أطرى قولي إنبق ولنفة بالنون ، وخطأ من يكتبها بالميم .

(٢٧) عثر على كلمة دسقوريدس فاعترض قائلاً اشتهر عند العرب باسم ديوسقوريدس · قلت اذا راجعنا المفردات والقانون وطبقات الأطباء نجد اسم هذا العالم اليوناني مرسوماً عشرات من المرات على خلاف ما ذكره الأب اي ديسقوريدوس وديسقوريدس · وثمة كتابات أخرى في بعض الكتب القديمة · وعلى كل يجب الرجوع في مثل هذا الموضوع الى القواعد الواجب اتباعها في نقل اسماء الأعلام اليونانية الى العربية · ولكل من زميلينا المأسوف عليهما الدكتور أمين المعلوف والدكتور احمد عيسى بحث ممتع في هذا الموضوع ·

وبعدُ يتضح من هذه الملاحظات ومن رأيي فيها ان العلامة الأب أنستاس رحمه الله قد أصاب في بعضها وأخطأ في بعض · ولو بقي حياً لداوم على قراءة معجم الألفاظ الزراعية بما عرف فيه من جلد ، ولأبدى لي ملاحظات فيها فائدة للمطالعين · ومن المؤسف ان يفارق الحياة قبل ان يطبع معجمه « المساعد » الذي ذكره لي مراراً وألمع اليه كثيراً في مقالاته اللغوية الممتعة ·

مصطفى الشهابي

طريقة الخفاجي في التهذيب اللغوي

ظهر منذ اوائل العصر العباسي طبقة من اللغويين كان جلّ همّهم ضبط معاني الألفاظ واصلاح اخطاء الأدباء والعامة . ومصنفاتهم نوعان : نوع تقريري يقرّرون فيه الكلمات المناسبة للمعاني ويشمل ما صنف في الفصيح والنوادر والأضداد والمشتركات والمترادفات وما الى ذلك . ونوع نقدي يتناولون فيه ما جرى على الأقلام والألسن من أخطاء فيشرحونها ويشيرون الى وجه الصواب منهـا .

ومن أمثلة النوع الأول ما يلي :

كتاب الأضداد	لقُطرب محمد بن المستنير	المتوفى سنة	٢٠٦ هـ
« المثلثات	«	«	«
« النوادر	لأبي زيد الأنصاري	« «	٣١٥
« الألفاظ الكتابية	لعبد الرحمن الهمذاني	« «	٣٢٠
« ليس	لابن خالويه	« «	٣٧٠
« فقه اللغة	لأبي منصور الثعالبي	« «	٤٢٩

ومن أمثلة النوع الثاني :

لحن العامة	لأبي بكر الزبيدي	« «	٣٧٩
التصحيف والتحريف	لأبي احمد العسكري	« «	٣٨٢
التكملة	للجواليقي	« «	٤٦٥
درّة الغوّاص	للحريري	« «	٥١٦
تنبيه الانام	لخيروزاده	« «	٩٩٨

ومن هذه المصنفات اللغوية ما يجمع النوعين كأدب الكاتب لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ والمزهر للسيوطي المتوفى سنة ٩١١ هـ ٠

ولم تنقطع هذه الحركة اللغوية في عصر من العصور على انها على ما يظهر لم تكن بعد عهد شهاب الدين الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ نشيطة او ذات نتائج تسترعي الانتباه ٠

فلما بزغت تباشير النهضة الحديثة عقب اتصال الأقطار العربية بمدنية الغرب كانت اللغة العربية هي الاداة التي استخدمت اولاً لنشر المعارف كما تبيّن من المناهج الأولى للمعاهد الأجنبية العالية في بيروت والقاهرة وسواهما ٠ وقد دفع ذلك اولي الأمر الى الاهتمام بتوسيع اللغة ورفع مستواها فنتج عن جهودهم في هذا السبيل أن الانشاء العربي اخذ يتقدم نافضاً عنه ما لحقه في القرنين السابقين من شوائب الركاكة والابتذال ٠ وكان لا بدَّ من الاقبال على العلوم الحديثة ونقلها عن اللغات الافرنجية فظهر في اللغة العربية جملة من المؤلفات العلمية والفنية التي زادت ثروة اللغة بما أحيت من الفاظ قديمة وأحدثت من اوضاع جديدة ٠

وصحب ذلك نشوء الصحافة وهي تقوم على نشر الأخبار والمعلومات ومهما حافظت على المقاييس اللغوية العُرفية فانه لا يسعها الاّ مراعاة الجمهور بالاعتماد على السهولة والسرعة وعدم التكلّف ٠

كل ذلك أدّى بالكتبة والعلماء الى التساهل باقتباس اوضاع والفاظ اعجمية واعتماد كثير من المصطلحات المولَّدة التي لا ذكر لها في كتب اللغة ٠ مما أثار الخواطر وأنشأ في بعض البيئات العلمية حركة جديدة لتهذيب اللغة الانشائية والرجوع بها الى الأصول القديمة وكان ذلك من أهم الأسباب التي دعت الى انشاء المجامع العربية المختلفة ولعلي اتناول في بحث آخر هذه المجامع وما قامت به ٠ أما الآن فأكتفي بذكر من صنَّف في نقد الأخطاء اللغوية لكي أعود الى الخفاجي واقابل طريقته بطريقتهم ٠

ومن أشهر المحدّثين في هذا الباب ابرهيم اليازجي فقد نشر في السنة الأولى من مجلته الضياء (سنة ١٨٩٩) سلسلة مقالات في لغة الجرائد ثم نشر في السنة الثامنة منها سلسلة اخرى في اغلاط المولّدين تناول على طريقة الحريري في درّة الغوّاص وابن قتيبة في ادب الكاتب الألفاظ والأوضاع الشائعة مثبتاً خطأها وأوجه الصواب فيها . وكان دقيقاً جداً الى درجة التحرّج الزائد .

وتبع اليازجي في آجال مختلفة عدد من الأدباء فنسجوا على منواله ونشروا على صفحات المجلاّت أو في مجموعات خاصة ما رأوه او توهموه من مغالط الكتاب ومن ذلك :

تذكرة الكاتب لأسعد داغر
الدليل في مرادف العاميّ والدخيل لرشيد عطيه
رسالة لابرهيم المنذر قدّمها الى المجمع العلمي العربي
اصلاح الفاسد من لغة الجرائد لسليم الجندي
مغالط الكتاب للأب جرجي جنن البولسي
اخطاؤنا في الصحف والدواوين لصلاح الدين الزعبلاوي
عثرات الأقلام — مجلة المجمع العلمي العربي ١ و ٢ و ٣

وأشباه هذه المصنفات مما تجد فيه الغثّ كما تجد السمين . وطبيعيّ ان يكون للتحرّج اللغوي بعض الأثر الصالح في المحافظة على أصول اللغة والعناية بقواعدها ولكنه قد أدّى الى حركة عكسية قام بها جماعة من العلماء والأدباء ممن يرون في التحرّج أو التقيّد بما ورد في المعاجم وكتب اللغة القديمة خنقاً لروح اللغة وعثرة في سبيل تقدّمها ومُستَنَدهم في ذلك المبادئ التالية :

١ — ان اللغة كائن حيّ يرتقي ويتطوّر مع الزمان
٢ — ان المعاجم العربية ناقصة لا تستوعب كل الكلام الفصيح وأنها مشوّشة فلا تصلح ان تكون المقياس النهائي

٣ — ان ابواب القياس والاشتقاق والنحت والمجاز يجب ان تظلّ مفتوحة لمن يرغب في ولوجها

٤ — ان للألفاظ دلائل معنوية لا يحصرها نصّ أو رواية وانما يستعملها اهل الفطنة مع قرائنها المناسبة

٥ - ان شيوع لفظة صحيحة التركيب على ألسن الكتّاب كافٍ لرفعها الى مصاف الألفاظ الفصيحة ٠

وقد اتخذت هذه الحركة العكسية في مقاومتها للمحافظين المتحرّجين طريقين — طريق التهكّم الأدبي والاقناع الخطابي وذلك ما لسنا بصدده الآن — وطريق النظر العلمي اي محاولة تجديد اللغة عن طريق البحث ٠ والذين جروا في هذه الطريق كثيرون اذكر منهم هنا ثلاثة فقط : جرجي زيدان ـ وجبر ضومط ـ وعبد القادر المغربي ـ ولكلٍ منهم مباحث واسعة في هذا الباب ٠ وتظهر نزعة الأول في كتابه « تاريخ اللغة العربية » حيث يتناول المفردات والتراكيب وما طرأ عليها خلال العصور المختلفة من تطوّر وتبدّل ويضرب لذلك كثيراً من الأمثلة ثم ينتهي الى قوله : « يتبين للقارئ ان اللغة سارت سير الكائنات الحية بالدثور والتجدّد المعبر عنه بالنموّ الحيوي ٠ فتولّد في العصر الاسلامي الفاظ وتراكيب لم تكن في العصر الجاهلي ٠ وتولّد في العصور التالية ما لم يكن في ما قبلها ٠ وأخيراً تولّد في نهضتنا الأخيرة ما لم يكن معهوداً من قبل ٠ فالوقوف في سبيل هذا النموّ مخالف لناموس الارتقاء فضلاً عن انه لا يجدي نفعاً »

وبينا ترى زيدان يشدّد على مسألة « النمو الحيوي » في اللغة ترى جبر ضومط يدعو الى التحرّر من التقليد الأعمى ومن قوله في ذلك [1] : « ان التقيّد بالألفاظ والتراكيب القديمة مخالف أحياناً للبلاغة ولناموس الترقي وليس الخروج عنه بمفسد للغة بل ان بقاءنا على تحدّي بلاغة الجاهلية وتوخّيها في كتاباتنا لا يجوز لنا »

(١) تقتبس هذه الفقرات من رسالته « اللغة العربية ما أخذت وما أعطت » المقتطف ٤٣ ج ٢ و ٣ ؛

واللغة عنده « لا تمتاز بمفردات ورثناها من القدماء بل بأمرين جوهريين هما الاشتقاق والقياس فهما عماد اللغة وعليهما يتوقف ارتقاؤها وانحطاطها » .

ولو أردنا ان نلخص اجتهاده اللغوي في كلمتين لقلنا : هو اعتماده القياس وتفصيحه للاستعمال العام .

أما الأستاذ المغربي فقد جرى شوطا بعيداً في مضمار المباحث اللغوية والأدبية على انني اكتفي منها بالاشارة الى اقتراحاته بشأن الكلمات غير القاموسية (١) . فهو يطلب الاهتمام بها وتصنيفها ثم التمييز بين الجائز وغير الجائز منها . ويدلك على نزعته التجددية أنه يجعلها سبعة أصناف ويجوّزها جميعاً الا اثنين هما العامي والثقيل من المقتبسات الأعجمية .

* * *

ولعلك تقول وما علاقة كل ذلك بشهاب الدين الخفاجي وطريقته فأقول : ذكرنا في صدر بحثنا ان جماعة من الأوائل عُنوا بضبط المفردات واصلاح الأخطاء الشائعة بين الكتّاب . ومن هؤلاء الحريري صاحب المقامات الذي وضع كتاب « درّة الغوّاص في اوهام الخواص » متابعاً فيه ادب الكاتب لابن قتيبة وسواه من كتب اللغة . وقد ضمنه اكثر من ٢٢٠ خطأً من الاخطاء الجارية على اقلام الكتّاب في زمانه وانتقدها مُورداً أوجه الصواب في استعمالها . على ان نقده على ما يظهر لم يشبع نفساً علمية كنفس الخفاجي فتناوله هذا الأخير شرحاً وتجريحاً . وقد راجعتُ هذا الشرح فأعجبتني طريقته ورأيتها ملائمة لروح عصرنا الحاضر وقلت في نفسي هو ذا رجل وجد في عصر مظلم من عصورنا الأدبية ومع ذلك تبرز فيه روح البحث الحقيقي التي أراها تبرز في أحرار هذا العصر . فلا يخشى ان يناقش علاّمة كالحريري سبقه باكثر من خمسة قرون وعُرف بين الخاص والعام بتضلّعه من اللغة ومعرفته الواسعة بشواردها واوابدها .

(١) راجعها في مجلة المجمع العلمي العربي ٨ ص ٢٩

والذي يظهر لنا من مطالعة شرح الخفاجي لدرّة الغوّاص انه يأخذ على الحريري المآخذ التالية :

١ — تحجير الواسع : فالحريري عنده مُسرف في التضييق على نفسه وعلى سواه . ومن أمثلة تضييقه انه لا يستهلّ في المجاز فلا يسمي الخوان مائدة الاّ اذا وضع عليها الطعام ولا القَدَح كأساً الاّ اذا كان فيها ماء ولا المجلس نادياً الا اذا كان فيه أهله وينكر قولهم تشوّش الأمر وتشويش الأمور ويقول هو التهويش أما الخفاجي فيجوّز ذلك ويثبت ان بعض الفصحاء المشهود لهم لا يرون حرجاً في استعماله [١] . ويميل دائماً الى استعمال الأشهر أو المعروف .

ويمنع الحريري تعريف « كافّة » بأل او اضافتها ويزعم انها لا تأتي الاّ نكرة منصوبة مثل « جاء القوم كافةً » . ويرى الخفاجي انها لما كانت بمعنى الجميع فهي تساوقها في الاستعمال وقد استعملها الزمخشري والحريري نفسه [١] .

ومن جميل قوله « لو اقتصرنا في الألفاظ على ما استعملته العرب العاربة والمستعربة فقط حجّرنا الواسع وعسر التكلّم بالعربية على من بعدهم » [٢] . وما أشبه هذا القول باقوال المجدّدين في هذا العصر .

وقد يؤدي اسراف الحريري في التضييق الى الخطأ وهو عين ما وقع فيه بعض نقّادنا المحدثين .

٢ — سوء الرواية والدراية : ويقصد الخفاجي بذلك ان الحريري على سعة اطلاعه اللغوي كان أحياناً يتسرّع في الحكم إما دون تدقيق في الرواية كما في منعه جمع « حاجة » على « حوائج » وهذا الجمع ورد في الحديث وشعر الفرزدق والأعشى وأقرّه الخليل وابن دريد وابو عمرو بن العلاء وسيبويه [٣] . وكذلك منعه

(١) شرح الدرّة ٦١
(٢) شرح درّة الغواص (الجوائب) ص ٧٠
(٣) شرح درّة الغواص ص ٨٥ — ٨٦

دخول « لعلّ » على الماضي مع انه يجوز فيها الشك في ما كان كما يجوز في ما يتوقع حدوثه ويستشهد على ذلك بابن برّي وابن هشام والفرزدق والحديث [1] . وعلى هذا النحو منعه لفظة « قرابتي » وهي فصيحة مشهورة وقد وردت في أقوال الأئمة .

وأما لقلة الدراية كإنكاره تمغّر لمن تغيّر وجهه من الغضب وجعلها تمعّر . يقول الخفاجي ان تمغّر استعملت تشبيهاً للوجه المحمرّ غضباً بالمغرة كما يقال تحمّم وجهه اذا اسودّ كالحمم ويستشهد على ذلك باقوال الثقات [2] .

ومثل ذلك انكار الحريري قولهم تتابعت النوائب بدل تتايعت (بالياء المثناة) وقولهم أبدأ به أولاً بدل اوّلُ وحكّني رأسي بدل أحكّني وغير ذلك مما يشرحه الخفاجي ويبين فيه خطأ الحريري وهو كثير .

٣ - عرجه بين السماع والقياس : فهو تارة ينكر السماع ويأخذ بالقياس وطوراً ينكر هذا ويأخذ بذاك . فمن انكاره للسماع منعه قولهم الفاكهاني والباقلاني . وجمعهم ارض على اراضي لأن القياس ان يقال فاكهي وباقليّ وان لا يجمع الثلاثي على افاعل . وكل ذلك مسموع ومقبول عند الفصحاء.

ومن انكاره للقياس منعه اجتمع فلان مع فلان والصواب عنده اجتمع فلان وفلان . على ان ذلك عند الخفاجي لا يمتنع في قياس العربية بدليل انه يمكن استعمال الواو للمعية . واذا كانت للمعية جاز استعمال مع بدلها [3] . ومثل ذلك انكاره قولهم ما عتب ان فعل كذا بدل ما عتم . وقياسيّة تعاقب الباء والميم وابدال احداهما من الأخرى [4] . وفي تهذيب الأزهري ضرب فلاناً فما عتم ولا عتب ولا كذب .

---

(١) شرح درّة الغواص ص ٥٣
(٢) المصدر نفسه ص ٥٠
(٣) الشرح ص ٥١
(٤) الشرح ص ١٠٥-٦

وعلى هذا النحو تخطئته لمن يقول جاءوا واحدا واحدا واثنين اثنين الخ بدل أُحاد وثُناء الخ . مع ان ذلك مقيس كثير في كلام العرب [١] .

٤ — اعتماده مذهباً دون مذهب : فالبصريون والكوفيون مثلاً مختلفون في لفظتي احمرّ واحمارّ والتسوية بينهما . وكذلك في النسبة الى الجمع مثل شعوبي وحرائري وفرائضي . وهو يتبع البصريين وليس المذهب الآخر بخطأ . وعلى هذا النحو تخطئته لفظة مَغَص بفتح العين للداء المعترض في البطن فيحتم اسكانها وذلك مذهب ابن السكّيت ويخالفه غيره من أهل اللغة . ويقول الخفاجي فهي اذن فصيحة فلا يغرنّك ما قاله المصنف [٢] .

٥ — تشبثه بالحرف دون التأويل المعقول : فهو يمنع استعمال القافلة الا للرفقة الراجعة من السفر (اذ هي مشتقة من قفل بمعنى رجع) اما الخفاجي فيقول بل هي للمبتدئة بالسفر وسميت كذلك تفاؤلاً برجوعها سالمة كما سمي اللديغ سليماً [٣] .

ويمنع قولهم أقطعه من حيث رقّ لأن السماع من حيث ركّ اي خفف . ويقول الخفاجي ان باب المجاز واسع [٤] فرقّة الثوب يلزم منها عدم قوّته فلا مانع من ارادة لازمة .

ويخطّئ الحريري من يقول رَكض الفرسُ والصواب عنده رُكض على المجهول . اما الخفاجي فيجوّز الأمرين وتأويل ذلك عنده انه اذا كانت للمعلوم كان معناها ضربَت الفرس بحوافرها الأرض فأسرعت وللمجهول ضربت برجل الراكب حثّاً على الاسراع .

---

(١) الشرح ص ١٩١ (٢) الشرح ص ١٤٩ (٣) الشرح ص ١٥٧
(٤) الشرح ص ١٥٣

وينكر الخفاجي تثبت الحريري باستعمال على بعد الفعل «بنى» في قولهم بنى الرجل بأهله اي تزوّج ويقول ان معنى بنى بها دخل بها وعلى ذلك قول ابي تمام :

لم تطلع الشمس فيه يوم ذاك على بانٍ باهلٍ ولم تغرب على عَزَبِ

ويرى جواز الحرفين وان يكن الأصل ان يبني الرجل قبّة على عرسه اذا أراد الاعراس . وكثيراً ما تجيء الباء للاستعلاء[1] كقولهم مررت بفلان وعلى فلان .

٦ — انه لا يطبّق أحكامه على نفسه : ففي مقاماته يرخّص لنفسه باستعمال ما ينهى عنه في درة الغوّاص . فقد خطّأ من يستعمل الفعل في غير المستقرّ الثابت من الألوان[2] . ومع ذلك فقد جاء له في مقامته الكوفية «حتى انثنى محقوقفا مصفرّا» وفي الحرامية «واحمرت وجنتاه»[3] .

وخطّأ استعمال اذ بعد بينا كقولهم بينا زيد قائم اذ جاء عمرو يقول الخفاجي «والعجب من المصنف انه قال في مقاماته[4] «فبينا انا أطوف اذ رأيت الخ» وقال : «فبينا أنا عند حاكم الاسكندرية اذ دخل شيخ» .

* * *

ولستُ أزعم ان الخفاجي مُصيب في كل ما ذهب اليه على اني لا أجاري جمال الدين القاسمي بقوله «ان له ولعاً بالمناقشة غريباً وان لم يحظَ الواقف عليه بطائل» .

فالخفاجي واسع الاطلاع وطريقته في شرح درّة الغوّاص تدلّ على نظر واسع في الأمور وهو حريٌّ ان يكون قدوةً لبعض كتّابنا الذين يعالجون مثل هذه المباحث .

أنيس المقدسي

استاذ الأدب العربي في جامعة بيروت الاميركية
وعضو المجمع العلمي العربي

(١) الشرح ص ٢٢٠ (٢) الدرّة ص ١٥ (٣) الشرح ص ٥١
(٤) الشرح ص ٩٧

العامي والفصيح

— ٩ —

زَأَط زأطه — وتقول العامة زأط الشيء اذا ملأ يده منه بالقبض عليه فلا يفلت . وفي اللغة كما في اللسان ذأط الإناء يذأطه ذأطاً ملأه . والذأط الامتلاء . وذأطه وذأته : خنقه أشدّ الخنق حتى دلع لسانه (وهو من القبض بشدَّة أيضاً) .

زأم — ويقولون زَأَمَه اذا اطعمه الطعام بيده لقمة فلقمة وهذه الهمزة اما ان تكون أصلية فيكون المأخذ العامي من الزأم قال في اللسان وهو ان يملأ بطنه . وقد أخذ زأمته أي حاجته من الشبع والريّ . وفي الصحاح الزَأمة شدَّة الأكل والشرب او تكون الهمزة بدلاً من القاف (كما جرت عادة الأكثرين منهم) فتكون من الازدقام وهو الابتلاع قال ابن سيدة ازدقم الشيء وتزقّمه ابتلعه . وقال ابوعمرو الزَقْم واللقم واحد زقَم يزقُم ولَقِم يلقَم وهو يزقُمُ اللقم زقْماً أي يلقَمها وعلى هذا فزقَم وزقَّم : كلمة فصيحة صحيحة

ز ب ر — ويقولون زَبَر الكَرْم اذا قطع رؤوس أغصانه الجافة لكي يجود ويقولون قلَّمه أيضاً وهذا يكون للكرم ولغيره ويقولون جَمَّه .

أما قولهم زَبَرَه فهو من قول اهل اللغة كما جاء في مستدرك التاج جزّ شعره فَزَبَره : لم يُسَوِّه وكان بعضه أطول من بعض .

وأما قلَّمه فهي اما من أنه براه كبَرْيِ القلم او من قلْم أظافره اذا قطع أطرافها أو محرفة من قنَّبَه . يقول في اللسان وقنَّب العنب قطع عنه ما يفسد حملَه وقنب الكرم قطع بعض قضبانه للتخفيف عنه واستيفاء بعض قوته عن ابي حنيفة .

وأما جمّه ففي اللسان عن ابي حنيفة أيضاً أجمّ العنب قطع كل ما فوق الأرض من أغصانه · فهو اذاً بالمعنى اللغوي أعم منه بالمعنى العامي ·

واكثر ما تقول العرب في معنى زَبَر الكرم · حطَبَه والاسم الحطاب قال في التاج (والحِطاب ككِتاب) هو (ان يقطع الكرم حتى ينتهي الى حدّ ما جرى فيه الماء) من المجاز (استحطب العنب : احتاج ان يقطع) شيء من (اعاليه) ·

ز ب ق الزّبِق — وقالت العامة فلان زَبِق لبِق وزَلِق لبِق وذلك اذا كان صاحب روغان وحيل فلا يقع في شَوكهِ ·

وكأن الزَبِق مأخوذ من الزئبق لأنه لا يُمسك باليد ولا يمكن القبض عليه فكأن هذا الزَبِق مطليّ بالزئبق وفي اللسان : درهم مزئبق مطليّ بالزئبق والعامة تقول مُزَبَّق · وفي التاج مُزَبَّق كمحدث · ونسبه ثعلب الى العامة · اهـ ·

وفي كتب الأئمة زَبَقت المرأة بولدها رمت به ·

وأما الزّلِق فهو الزَلَق (محركة) وهو الأملس وفي التنزيل : صعيداً زَلَقاً أي املس لا يثبت عليه قدم ·

ز ب ن الزبون — ويسمون المُعامِل (الحَرِيف) الزَّبون وهو كما في اللسان مولّد والظاهر ان استعمال العامة له قديم وأصل معناه من الدفع ، زَبَن الشيء وزَبَن به اذا دفعه · وبيع المزابنة هو من زابنه اذا دافعه ويراد به بيع كل ثمر على شجره بتمر كيلاً أو هو كل جزاف لا يعرف كيله ولا عدده ولا وزنه او هو بيع كل معلوم بمجهول من جنسه او مجهول بمجهول من جنسه · وقد قيل ان الزبون إرَميّة بمعنى الصديق والمشتري ويقول في المصباح وقيل للمشتري زبون لأنه يدفع غيره عن أخذ البيع · يريد بذلك أفضليته عند البائع · ولكني أرى ان هذا التعليل لا يروي الغليل وانما ساق صاحب المصباح اليه ان الأصل في الزبن الدفع والزَّبون فعول منه ولو قال ان الزبون هو الذي يأخذ زِبْنَه منك اي ما يحتاجه لأصاب · قال في القاموس وشرحه (و) الزِبن (بالكسر

الحاجة وقد أخذ زِبْنَه من المال) والطعام اي (حاجته) أو من الزَّبْن بالفتح وهو الناحية وكأنه لزم زَبْنَك اي ناحيتك . والزبون عند عامة العراق وأهل البادية يراد به الثوب المعروف في الشام بالقنباز (وهو القباء) ويقال له في اللغة الزَّبَن وفسره الأئمة بأنه ثوب على تقطيع البيت كالحَجَلة [1] ويقول صاحب التاج ومنه الزبون للثوب الذي يقطع على قدر الجسد ويلبس .

ز خ خ زخَّ المطر — ويقولون زخَّ المطر وزخَّت السماء بالمطر اذا دفعت به دفعاً شديداً . والزَّخَّة الدفعة الشديدة منه فهو على هذا استعمال صحيح فصيح .

وفي اللغة زخَّه اذا دفعه وهو أصل المعنى وزخَّ ببوله اذا رمى به .

ز خ م الزَّخْم — الزَّخْم القوة والشدة عند العامة وهو في اللغة الدفع . زخمه يزخَمه زخماً دفعه شديداً والدفع الشديد تلزمه القوة فهو من اطلاق اللفظ على لازمه فيكون من المجاز .

والزَّخمة عند العامة السَّيْر الذي يعلق به الركاب في سروج الخيل اذا كان من جلد وربما كانت هذه دخيلة وهي في الفصحى الاساقة كما في لسان العرب .

ز ر ب الزاروب انزرب — الزاروب في اصطلاح الساحل الشامي المدخل وهو الطريق الضيق لا منفذ له ثم عمّوا به كل طريق ضيق نفذَ أو لم ينفذ وهو فاعول من الزَّرْب وهو في اللغة المدخل قال في اللسان زربت الغنم أَزْرُبها زَرْباً وهو من الزَّرْب الذي هو المدخل وانزرب في الزَّرْب انزراباً اذا دخل فيه اهـ.

ويقولون زرَبه المطر في البيت فانزرب أي منعه من الخروج وهو من قولهم انزرب الصائد في قترته والغنم في الزريبة أي دخل واكتنّ .

ز ر ب زرب الابريق الزَّرْزُوبَة — زرب الابريق اذا سال من شقٍّ فيه أو ثقب خفي وهو فصيح وقول أهل اللغة زرب زرْبا الماء سال والزِّرْبُ مسيل الماء والمِزراب : الميزاب وقد أنكره بعض الأئمة (والمنكر انما هو المرزاب

(١) الحَجَلة مثل القبة أو موضع يتخذ للعروس يزين بالستور والأسرة ولها أزرار كبار ج حجل وحجال .

بتقديم الراء) . ومن الزرب سمّت العامة بلبلة الابريق زَرْزُوبَة لأن ماءه يُصَبُّ من ثقبها الضيّق .

زرب ل الزّربول — الزربول في لبنان اسم للمداس الذي يلبس في الرجل وقال في شفاء الغليل هي عاميّة مبتذلة والعامة تزيد في التحريف فتبدل لامه نوناً قال ابن الحجاج :

مُرْني بصفع الاعدا اذا اضطربوا   من حسد اليوم بالزرابيل

قلت الابدال الذي أشار اليه بالنون غير معروف عند عامتنا اليوم .

زردم الزردمان — الزَرْدُمان عند العامة البلعوم وهو موضع الابتلاع ويقولون زَرْدَمَه اذا عصر زردمانه أي خنقه وهذا الفعل صحيح ذكره الجوهري في صحاحه وفي اللسان أيضاً زردمه بمعنى ابتلعه والزردمة والازدرام الابتلاع

وقال صاحب التاج الزردمة الغلصمة وقيل هي فارسية ثم قال قلت فان كان مركباً من (زر . ودمه) فان دمه هو النفس وزر هو الذهب وان كان مركباً من (زرد . ومه) . فان زرد هو الأصفر ومه هو القمر فليتأمل ذلك اه .

وأقول ان تحليله اللفظ الفارسي بما ذكره لا يلائم المعنى المراد من الزردمة ويمكن لنا ان نقول انها عربية من زرِد اللقمة زَرَداً وزرَدها يزرُدها زرْدا وزرداناً كما جاء في افعال ابن القطاع وازدردها وتزرّدها وكل ذلك بمعنى ابتلعها وجاء في كتب الأئمة زردمه بمعنى ابتلعه بزيادة الميم وقد جاء مثل هذه الزيادة في بلع فقيل بلعم اللقمة بمعنى ابتلعها والبلعوم هو مَزْرَد الطعام كما لا يخفى وقد قال الأئمة ان الزردمة الغلصمة فالزردمة والبلعوم والمَزْرِد بمعنى واحد فلماذا والحال هذه الذهاب الى أنها فارسية . وجاء في شفاء الغليل انهـا معرب زيردم فتأمل .

زرزر الزَرْزَرة الزَرْزور — الزَرْزَرَة هي التحريش عند العامة ومعنى زرزره وزرزر له حرّك غضبه وهيّجه .

وفي اللغة من معنى الزَّرِير التوقد يقال زرّت عيناه تزرّان زريراً اي توقدان كما في اللسان وفلان كيّس زُرازر أي وقاد تبرق عيناه وقال الفراء عيناه تزرّان في رأسه اذا توقدتا وفي القاموس وتزرزر تحرك والعامة انما تريد بالزرزرة التحريك وهيج الطبع وايقاد الغضب فهو اذاً من هذا المعنى .

زرق تَزْرق العنب والتزاريق — ويقولون تزرق العنب وهذا أوانُ التزاريق وذلك اذا لأنّ الثمر وصفا لونه وبدأ فيه النضج . وهو للعنب كالارطاب للتمر وأرى انه من زرق زرَقاً الشيء اذا اكتسب لونه الزُرقة . والزُرقة في الماء صفاؤه ومنه قول زهير :

فلما وردن الماء زُرقاً جمامه وضعنَ عصيَّ الحاضر المتخيّم

وفي مجاز الأساس ماء أزرق وأسنة زُرْق ونطفة زرقاء وكل ذلك يراد به الصفاء والعنب حين يأخذ في النضج يصفو لونه وماؤه .

أما في الفصيح فيقال ألْمَص الكرمُ قال في مستدرك التاج ألمصَ الكرم لأنّ عنبه واللامص حافظ الكرم ، وكأن معنى ألمص احتاج الى اللامص اي الذي يحفظه بعد بدوّ صلاحه بهذه التزاريق .

زرك زرّك عليه زَرَكه وفي هذا المحلّ زَرْكة — وقالوا زرّك عليه اذا ضيّق بمثل طلب دين أو قضاء حاجة وزرّك له اذا ضيّق عليه حتى يزرك أي يسوء خلقه ويثور غضبه ثم استعمل لمطلق الحشك والجمع فيقال زركني في المجلس اذا ضيّق علي مكان الجلوس بجلوسه الى جانبي والمكان مزروك اذا كان فيه جمع يضيق بعضهم ببعض . وزَرَك الوعاء اذا حشاه بأكثر من ملئه والزَرْكة الضيق ويسمونها الحشرة . وفي اللغة زَرِك الرجل زَرَكاً ساء خلقه عن الصاغاني . وهذا ربما يفسر زَرَك له وزرّك عليه .

وربما كانت زَرَكه من زَكَره على القلب فقد جاء في اللغة زكر الاناء زَكْراً اذا ملأه كزكّره تزكيراً . أو من زكّه على البدل وقد جاء عن

الصاغاني زكَّ القربة زكّاً اذا ملأها وزدكَّ الزرع امتلأ والتفَّ . وفي النوادر رجل مزَكّ غضبان وهو زاكّ عليه بمعناه وزكه بالماء أرواه وفيه معنى الامتلاء والله أعلم . وجاء في معنى زرك الاناء . وزأه ووزّأه اذا شدَّ كنزه ووزأ القربة ملأها .

زرم زرَّم عينه — وقالوا زرَّم عينَه . وعينُه زارمة اذا كانت لا تدمع ولا ترفّ ويكنى به عن ضيقها بخلاً ولؤماً وجفاء وفي اللغة زَرِم الدمع انقطع وزرمه قطعه . وكأن زرَّمها جعلها لا تدمع ولا ترف أي ينقطع دمعها جفاء ولؤماً أو زرَّمها بمعنى ضيَّقها وجاء في اللغة أيضاً الزرِم البخيل والمضيق عليه وزرَّمه الدهر تزريماً قطع عنه الخير كذا في مستدرك التاج .

على أنني أجد فيما أتيت به من تقريب المأخذ العامي من الفصيح شيئاً من البعد لذلك أعود فأقول انه ربما كانت زرَّم عينه العامية مأخوذة ومحرفة من قولهم زرَّد عينه على صاحبه اذا غضب عليه وتجهمه ومعناه ضيَّقها عليه لا يفتحها حتى لا يملأها منه كذا جاء في مجاز الأساس والميم والدال يتعاقبان في الفصيح مثل رضد المتاع ورضمه اذا نضده وكوَّم التراب وكوَّده اذا جمعه وماق الرجلُ وداق بمعنى حمق وزأمه وزأده بمعنى ذعره وخمشه وخدشه وكثير أمثال ذلك .

زرنق الزرنقة — الزَّرنقة عند العامة في الشرب ان يصب الشاربُ الماء في فمه من بلبلة الابريق بحيث ترتفع عن شفتيه ولا تمسها وكأنه من يستقي بالزرنوق حيث ينحدر الماء منه الى الساقية انصباباً والزرنوق واحد الزرنوقين وهما منارتان تبنيان على جانبي رأس البئر تعرض عليها خشبة تسمى النعامة وتعلق بها البكرة فيستقى بها . والسقي بها يسمى الزرنقة والزرنوق أيضاً الساقية التي يجري فيها الماء المستقى به لأنها من سببه كذا جاء في التاج وربما يقال الزرنوق غير عربي النجار . ويشبه معنى الزرنقة العامي الدغرَقة في الفصيح بقول صاحب لسان العرب في مادة ع ب ب «والعبُّ ان يشرب الماء دَغرقة

بلا تَغذَث . الدغرَقة ان يصب الماء مرة واحدة والغَذَث ان يقطع الجرع »
والفصيح في الزرنقة العَبُّ وهو شرب الماء من غير مصٍّ كما في لسان العرب .

ز ط م زَطَمَ الاناءَ وزطَّمه فانزطم — ويقولون زطم الوعاء اذا امتلأ وزَطَّمه فانزطم وفي اللغة زَكَمَ القربة ملأها وفي اللسان الزَّكْم الملء وزُكِمَ وُملِئَ بمعنى واحد . فالعامة أبدلت والحرفان يتعاقبان مثل لكمه ولطمه وارتطم وارتكم .

ز ع ب الزَعْب — ويقولون زعبه يزعبُه زعْبًا اذا طرده . وأصل الزعب في اللغة الدفع كما في اللسان يقال سيل زاعب وزعوب يزعب بعضه بعضًا اي يدفع .

وفي التاج وزعبته عني زَعْبًا دفعتة وفي اللسان اصل الزعب الدفع والقسم والطرد دَفع بالمعنى الأعم فهو اذًا منه .

زع ر الأزعر والزُعران — والعامة تقول لمن يطلق لنفسه عنانها في الشهوات بلا مبالاة هو ازعر وجمعه الزُعران والاسم الزَعْرَنَة . وقد تزعرنَ اذا تشبه بالزعران .

وأما في اللغة فقد جاء في لسان العرب . في خلقه زعارّة وزَعارَة عن اللحياني أي شراسة وسوء خلق لا يتصرف منه فعل . وربما قالوا زَعِر . والزعرور السيء الخلق والعامة تقول زَعِر . اهـ . وعامتنا تقول ازعر كما كانت العامة زمن صاحب اللسان تقول زَعِر والجمع فيهما زعران .

والمراد في أصل المادة الشراسة وسوء الخلق . وقد صاغت العامة تزعرن والزعرنة من الزعران من باب توهم الاصالة كما جاؤا بالشيطنة من الشيطان على القول بانه شاط والنون زائدة وكما قالوا تسلطن من السلطان .

وقالت العامة لمن لم يكن ذا مال يحرص عليه ويدافع عنه هو أزعر والاصل فيه من زَعِر الشعر والريش والوبر اذا قلّ وتفرّق .

وعند العامة الأزعر المحذوف الذنب المقطوعه فكما ان هذا الأزعر الأبتر

اذا هرب امامك لم يكن له ذنب تمسكه وتقف به عن فراره فكذلك ليس لذلك المعدم شيء يقف للدفاع عنه ·

وقد صح في اللغة اطلاق الزعران على الاحدث لأنه لا شعر في وجوهم كما في لسان العرب · وفي القاموس رجل زَعِر قليل المال على التشبيه · وعليه يحمل المعنى العامي للأزعر · ويجوز ان يكون الأزعر العامي من دَعِر الرجل قال ابن شميل دَعِر الرجل دَعَراً اذا كان يسرق ويزني ويؤذي الناس وهو الداعر والدال والزاي يتعاقبان كما في دحل وزحل اذا تباعد والمستوفز والمستوفد في قعدته وتوكد وتوكز بالأمر اذا قام واستعد والعرب تسمي العيّارين (وهم الزعران عند العامة) الدُغّاش ·

ز ع ط زَعَط · الزعطوط · زَعْوَط — وقالوا زَعَط اذا لغط بصوت عالٍ وزَعوط اذا اكثر من ذلك وهو في اللغة زأط يزأط زِئاطاً اذا اكثر اللغط واعلاه وقالت العامة زعط عليه اذا صاح به فذعره وأفزعه وأرى ان هذه من زَعَق به · وأما الابدال بين الهمزة والعين في زَأط وزعط فهو اوضح من ان يثل له · وأما بين الطاء والقاف في زعط وزعق فكذلك هما يأتيان على التعاقب في الفصيح كما في المِزلطة والمزلقة للمكان الزلق واحاط به العذاب وأحاق · والحيطّة والحبقّة للقصير والشطة والشقة لبعد المسافة ·

وأما الزعطوط فهو عندهم للصبي الجاهل وقد قال بعضهم انها ارميّة ويمكن ان تكون عربية محرّفة من الزعكوك وهو الولد القصير اللئيم قال الجوهري وزاد غيره المجتمع الخلق جمعه زعاكيك وزعاكك وأنشد الجوهري للقنانيّ :

تستّنّ أولاد لها زعاكك (١)

والعين والكاف يتعاقبان في باع المتاع وباكه ·

ز غ ت زغته الزاغوتة — زغته وكزه بالزاغوتة وهي عند العامليين عصا في رأسها حديدة ينخس بها ثور الحرّاث لينشط ·

(١) تستن تعدو في مرح ونشاط ·

وقال عامة جبل عاملة زغت فلاناً اذا جرى في اثره مطارداً له وأحسب ان الزاغوتة اسم الآلة من الزغت والعامة تصوغ اسم الآلة على فاعول والزغت هذا محرف من الذعت وهو الغمز الشديد كما في التاج وأما زغته في المطاردة فأرى أنها من قولهم نهر زَغّاد زخّار كثير الماء اي متدفق وجاء في كلام العرب المزغئد (والهمزة زائدة) الغضبان كأنه نهر يتدفق . وكأن المطارد بشدته واندفاعه واندفاع المطارَد أمامه كالماء المتدفق يدفع بعضه بعضاً .

والفصيح في الزاغوتة المِهمَز والمهاز وفسّروه بالعصا عامة أو بالتي في رأسها حديدة ينخس بها الحمار قاله شمر وجمعه المهاميز .

ز غ غ زغزغ نيّته — ويقولون زغزغ فلان نيته اذا تردد بعد عزم في المضي فيها يريد نقضها أو مال عما كان ينتويه .

وفي اللغة زغزغ اذا احجم وقد نقل عن الكسائي لقيته فما زغزغ أي فما أحجم وشك في ذلك الأزهري وجاء في اللغة زغزغ الشيء اذا أخفاه وخبأه وقالوا لا تزغزغ الكلام وبيّن الحق . وكأن المزغزغ في ميله عما ينتويه وتردده قد احجم عنه ولم يستقرّ عليه عزمه وربما كانت دخيلة او تكون من تزعزع الشيء اذا لم يستقر (على البدل) كما أبدلوا عين لعلّ فقالوا فيها لغلّ وكما تعاقب الحرفان في العسر والغُسر للأمر الملتاث .

والزغزغة في مصر والزكزكة في الشام كلتاهما بمعنى الدغدغة .

ز غ ل الزغل — الزَغَل الغش والخديعة قال صاحب اللسان هكذا تقول العامة والخاصة . ولا تزال العامة تقوله وهو مزغول اي مغشوش وهو خال من الزَغَل أي بريء من العيب والعرب تقول هو زغلي على النسبة .

ز ف ر الزفر — الزفر في العامية هو ما يخرج من البناء ناتئاً في وجه الحائط ليبنى عليه ويحمل ما فوقه وهو مستعار من الزُفَر وزان صُرَد . قال شمر الزُفَر الرجل القوي على الحمالات . والزِفر بالكسر لغةً الحمل على الظهر . وقالت العرب على رأسه زِفر أي حمل يزفر منه .

ز ق ر زَقَره — وقالت العامة في جبل عاملة زَقَره اي رماه ببصر حاد نظرة مغيظ هكذا تقولها العامة بالراء المهملة ولكن صاحب التاج أوردها عن العامة باللام مكان الراء فقال زقله زقلاً . أما في اللغة فقد جاء صقر صاقر أي حديد البصر . وقاعدة الخليل بن احمد ان كل صاد قبل قاف تبدل زاياً او سيناً فجاءت العامة بها على هذه القاعدة فقالوا زقره بمعنى صقره أي أحدّ بصره فيه وهو زاقر حديد البصر على حدّ قولهم صقر صاقر .

وفي بعض جبال لبنان يقولون زنقر اذا احدّ النظر وهي اما من زقر بزيادة النون او من زنهر بالهاء مكان القاف . قالت العرب زنهر اليَّ بعينه اي اشتد نظره وأخرج عينه والهاء والقاف يتعاقبان كما في المشيم والقشيم ليابس البقل ومن المحتمل أيضاً ان يكون العامليون أخذوا من جيرانهم زنقر وحذفوا النون وأخذ منهم جيرانهم زقر وزادوا فيها النون وزقر العاملية أقرب مأخذاً من الفصيح .

ز ق ط زَقَطَه — ويقولون زقط الشيء اذا تلقفه بسرعة وهي في الأصل بالذال المعجمة فهي فصيحة صحيحة وهذا الابدال من دأب العامة في بلاد مصر والشام

ز ق ق زَقَّه الزَقّ — من أمثال العامة « فرخ زَقّ عتيق » يضرب للصغير الضعيف يخدع الرجل عن رأيه وُيغرّر به . وقالوا زقَّه بمعنى ازلقه وأوقعه في الشرك . وقالوا زَقَّه بمعنى رماه في صراع ونحوه . وقالوا زَقّ المتاع على كتفه أو على ظهره بمعنى نقله شيئاً فشيئاً فهي من زَقّ الطائر فرخه اذا أطعمه شيئاً اثر شيء .

أو تكون زق المتاع من زقن الحمل اذا حمله وازقنه اعانه على حمله .

ز ك ر زوكر — وقالوا زوكره اذا خدعه وغشه ولبّس عليه .

والزواكرة في اللغة من يتلبس فيظهر النسك والعبادة ويبطن الفسق والفساد كذا في مستدرك التاج ونسبه الى المقري في نفح الطيب . وقالوا شبع وزنكر أي امتلأ شبعاً وهي من زكر الاناء اذا ملأه زيدت فيها النون .

ز ك ن الزَّكْنَنَة — الزَّكْنَنَة عند العامة هي صوت الطائر وتغريده يقولون زكنن العصفور اذا ترنم وغرّد وأرى انها محرفة عن الزقزقة وزقزقة الطائر صوته عند الصباح عن الليث .

ز ك ك الزكزكة — الزِّكْزِكَة : طائر وهو أصغر العصافير وهو في اللغة السُّكْسُكَة بالسين المهملة ويُسمى الصعوة والوصع وتسميه العامة « السُوَيْئَة » وأرى أنها محرفة من الصعوة .

ويقولون زَكْزَكَهُ اذا جسَّه في مواضع الاحساس الشديد في جسمه كأسفل خاصرتيه او اخمص قدميه وفصيحها الدغدغة قالت العامة فيها دغدغة ثم قالت زكزكة .

ز ل ط الزَّلَط — الزَّلَط عند العامة حصيات تكون ما بين حجم حبَّة اللوز الى ما يملأ الكف قد املاسَّت جوانبها بجريان الماء عليها فذهبت حروفها وتدملكت ويقولون زلط الطعام اذا ابتلعه من غير مضغ ومن أمثالهم لكثرة الأكل وسرعته « يا زَلَط سلِّم على البَلْع » .

وجاء في مستدرك التاج « ومما يستدرك عليه (اي على صاحب القاموس) الزَّلَط محركة الحصى الصغار مثل حصى الجمرات ويشبَّه بها الفول الذي لم يدش وهي عامية وكذا قولهم زلط اللقمة زلطاً اذا ابتلعها من غير مضغ . اهـ . ثم نسب الى شيخه ابي عبد الله الطيِّب الفاسي ان زلط عربية الاشتقاق ولم تسمع من العرب فهي مولَّدة .

وأنا أرى ان الزَّلَط للحصى مأخوذ من الزَّلَق بمعنى الأملس والتعاقب بين الطاء والقاف معروف في الفصيح مثل احاط به العذاب وحاق وحلق رأسه وحلطه وأما زلط بمعنى بلع فهي من سرط الطعام والتعاقب بين حرفيها معروف وقد تقدم له شواهد .

وقالت العامة زلّطه وتركه مزلّطاً وتركه بالزُلط اي عارياً وتزلطت الغاسلة بثياب العري وهو مأخوذ من الزَلَط أي المملاس .

أو من الصَلْت أي الخفيف اللباس كما في كتب الأئمة أو من سلت الشيء اذا أماطه . والسُلت ضرب من الشعير مجرد من القشر .

ز ل غ ط الزلغوطة — وقالوا زَلْغَطت المرأة وسمعتُ زلاغيط النساء وأصلها الزغردة وفسرها اهل اللغة بانها هدير للابل تردده في حلوقها كما في اللسان قال في التاج ومنه زغردة النساء عند الافراح . واصل المادة الزغد وهو في أصل معناه العصر .زغد البعير يزْغَد زغْداً هدر هديراً كأنه يعصره أو يقلعه وزغد سقاءه عصره حتى يخرج الزبد من فمه .ويقال زغد البعير وزغرد وزغدَب بمعنى واحد وهو الهدير يتقلع من صدره او حلقه . وكذلك زغردة النساء هي اصوات تعصرها في حناجرها وتخرجها مضغوطاً عليها والظاهر ان العامة قالت في زغرد زرغد ثم أبدلت اللام مكان الراء والطاء مكان الدال .

ز ل ق الزَلِق — وقالوا فلان زَلِق لِبق اي خفيف الحركة سريع الانفلات لا يعلق في شرك وهو من الزَلَق اي المملاس .وفي اللغة يقال للغلام النزّ الخفيف زملوق وزمالِق لا يكاد يقبض عليه من طلبَه لخفته في عدوه وروغانه كذا قال الأزهري وسمعه من بعض العرب وهو الزُمَلِق والزُمَّلِق أيضاً .

والزمَّلِق الخفيف الطائش وأنشد الليث :

ان الزبير زلِق زملَّق

وكأن الميم زائدة وهو قول الجوهري .

النبطية : (جبل عاملة) احمد رضا

بغية الطلب في تاريخ حلب

لابن العديم

كمال الدين ابو القاسم عمر بن احمد المعروف بابن العديم المتوفى سنة ٦٦٠ من بيت عريق في العلم والأدب بحلب ، وهو واسطة عقدهم وأجلهم . وتاريخه المعروف بغية الطلب في تاريخ حلب يضارع تاريخ بغداد للخطيب البغدادي وتاريخ دمشق لابن عساكر ، ترجم فيه لكل من نزل حلب او أقام بها مدة او مرَّ بها ، وروى أخباره بالسند على طريقة المحدثين . قال ابن كثير : انه يقرب من اربعين مجلداً .

والكتاب لا يزال مخطوطاً في أجزاء مبعثرة في دور الكتب بالشرق والغرب ، وفي ما يلي أمكنة وجوده .

في الآستانة

يوجد منه فيها ثمانية أجزاء في مكتبة السلطان احمد الثالث في سراي طوب قبو تحت عنوان تاريخ حلب لابن العديم بخطه رقمها ٢٩٢٥ اطلع على هذه المكتبة صديقنا العلامة الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي فكان في جملة ما رآه فيها هذه الأجزاء الثمانية ونقل عنده من كل جزء اسم أول وآخر من ترجم فيه مع عدد أوراق كل جزء وقد كتب لنا ذلك بخطه حين مروره بحلب عائداً من الآستانة سنة ١٣٥٥ ﻫ واليك ذلك .

الجزء	المترجمون	عدد الأوراق
١	احمد بن جعفر — احمد بن عبد الوارث	٢٥٢
٢	احمد بن محمد — اسحق بن منصور	٣٠٠

الجزء	المترجمون	عدد الأوراق
٣	اسحق المذكور — امية بن عبد الله	٣١٣ (١)
٤	الحسين بن عبد الله — خالد بن برمك	٣٤٠
٥	خالد بن الحرث — دعبل	٣٤٤
٦	راجح بن اسماعيل — زنكي	٢٢٠
٧	زهدم بن الحرث — سعيد سلام	٣٠٤ (٢)
٨	ابو ابراهيم الى آخر الكنى الى ثلثي الألقاب	٢٧٠ (٣) يعوزه الأخير ومن الوسط ١٢ جزءاً

في باريس

كان السيد وجيه الكيلاني أحد أدباء دمشق كتب لي بتاريخ ١١ ذي القعدة سنة ١٣٢٩ أنه يوجد في مكتبة الأمة في باريس مجلدان من بغية الطلب في تاريخ حلب رقمها ٢١٣٨ ثم كتب اليّ الصديق السيد عبد الغفور المسوتي الحلبي المحامي أثناء وجوده في باريس جواباً على كتاب أرسلته اليه وكتابه مؤرخ في ٨ تشرين الأول سنة ١٩٣١ ما نصه :

لا يوجد في مكتبة الأمة تحت رقم ٢١٣٨ الا مجلد واحد يبتدئ بترجمة اسحق بن منصور وينتهي بترجمة امية بن عبد الله الأموي ·

عدد أوراق الجلد ٢٠٨ طول الورقة ٢٧ سنتمتراً وعرضها ١٨ وفي كل صفحة ٣٥ سطراً نقل هذا المخطوط في القاهرة عام ٨١٤ وفقاً لمخطوط المؤلف ·

الصفحة الأولى من المجلد (بسم الله الرحمن الرحيم وبه توفيقي · ثم يوجد كلمة لم تقرأ به (٤) أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي قال أخبرنا ابو زريق قال اخبرنا

(١) سيأتيك ان هذا الجزء يوجد أيضاً في مكتبة الأمة بباريس .
(٢) « « « « « « في احدى مكاتب الموصل .
(٣) « « « « « « في مكتبة لوندرة .
(٤) ربما كانت هذه الكلمة: حدثنا أو أخبرنا لأن ابا اليمن زيد بن الحسن الكندي هو شيخ المؤلف .

احمد بن علي قال اخبرنا محمد بن احمد بن يعقوب قال اخبرنا محمد بن نعيم العبسي قال اخبرني عبد الله بن جعفر عن ابي حاتم السلمي أنه سأل مسلم بن الحجاج عن اسحق بن منصور الخ ٠

الصفحة الأخيرة ٢٠٧ لأن ورقة ٢٠٨ فارغة لم يكتب عليها شيء وبهما ينتهي المجلد وقتل يومئذ يعني يوم قديد سنة ثلاثين ومائة امية بن عبد الله بن عمر ابن عثمان ٠ تم الجزء المبارك (الكلمة هذه غير مفهومة تماماً) من نسخة المصنف المكتنية بخطه رحمه الله في رابع عشر رمضان المعظم قدره وشأنه تمام اربع عشرة وثمانمائة بالقاهرة المحروسة حرسها الله وحماها الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وحسبنا الله ونعم الوكيل ٠

وفي أول ورقة على اليمين يوجد ملاحظات لاتينية من يد [1]

وتاريخها ١٧٣٦ على الشمال ٠من كتب مسعود بن ابراهيم

وتحت الختم يقرأ ملكه أضعف العبادراجي عفو ربه المنجي الحاج شمس الدين ابن الحاج احمد بن صبحي الحلبي غفر الله له والى والديه وذلك بمدينة قسطنطينية لا زالت بالخيرات ملية في شهر شوال المبارك سنة الف وخمس وثلاثين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم السلام ٠

ويوجد في احدى مكاتب باريس (لا أدري في مكتبة الامة ام في غيرها) مجلد منه ترجمه الى الافرنسية ابلوش وطبع سنة ١٩٠٠ في مطبعة (ليرو) في (٢٥٥) صفحة استحضر منه نسخة الوجيه اندره ماركوبلي احد وجهاء الايطاليين المتوطنين بحلب وقد اطلعني عليه وترجم لي عبارات منه وحوى هذا المجلد من سنة ٥٤٠ الى سنة ٦٤٠ اعني الى قبل وفاة المؤلف بعشرين عاماً ٠ وفي اول هذا المجلد ترجمة نور الدين الشهيد وذكر ماله من الآثار ٠ وفي آخره ترجمة جمال الدولة اقبال الخاتوني حينما اتى الى حلب

---

(١) هنا كلمات تعسر قراءتها ٠

ومما يجدر ذكره هنا أن الافرنسيين قد عنوا بجمع ما كتبه مؤرخو الاسلام عن الحروب الصليبية في عشرة مجلدات ضخمة مع ترجمة ذلك الى اللغة الافرنسية رأيتها في المكتبة اليسوعية في بيروت ورأيت منها سبعة عند الخواجة هانري ماركوبلي قرنب المتقدم الذكر ذكرت تحت عنوان (منتخبات من تاريخ حلب لكمال الدين) حوادث حلب من سنة ٤٩٠ الى سنة ٥٤١ وهي السنة التي توفي فيها زنكي والد نور الدين الشهيد وهي في ٥٧ ورقة ثم ذكروا بعدها تحت عنوان منتخبات من بغية الطلب ترجمة اسماعيل بن بوري المتوفى سنة ٥٢٩ وترجمة اسماعيل بن نور الدين الشهيد المتوفى سنة ٥٧٧ وترجمة آق سنقر بن عبد الله سنة ٤٨٧ وترجمة آق سنقر البرسقي المتوفى سنة ٥٢٠ وترجمة آلب ارسلان بن رضوان المتوفى سنة ٥٠٨ وهي في ١٩ ورقة وقد أثبت على ما في القطعتين في محالها مما له علاقة بحلب وقد وجدت فيهما من التفضيل ما لم أجده في غيرهما .

وكتب لي المستشرق العلامة سالم الكرنكوي ان في المكتبة العمومية في باريس نسخة من مختصر البغية في مجلد واحد قديم العهد فاتني الآن تاريخها ولكنه قبل السبعمائة اه . ولعل هذا المختصر هو (زبدة الحلب في تاريخ حلب) للمصنف ابن العديم او هو المجلد المتقدم الذكر .

في لوندرة

وفي المتحف البريطاني في لوندرة الجزء الذي قبل الجزء الأخير رقمه ٢٣٣٤ وهو يشتمل على الكنى والألقاب كتب الي بذلك العلامة الكرنكوي وليس فيه تاريخ كتابته وهو في ١٧٠ ورقة بالقطع الوسط .

في الآستانة أيضاً ومصر وبطرسبرج

ويوجد ثلاثة مجلدات منه فيها أربعة عشر جزءاً متتابعة بخط المؤلف في مكتبة أياصوفيا في الآستانة رقمها ٣٠٣٦

وقد نقلت دار الكتب المصرية هذه المجلدات الثلاثة بالتصوير الشمسي ·

واليك ما قالته في فهرستها في حرف الباء (صفحة ٥٨) من الجزء الخامس :

بغية الطلب في تاريخ حلب تأليف العلامة المؤرخ كمال الدين ابي حفص عمر ابن عبد العزيز[1] بن احمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن ابي جرادة العقيلي الحنفي المعروف بابن العديم الحلبي المولود سنة ٥٨٦ المتوفى سنة ٦٦٠ وهو كتاب جامع لتاريخ حلب يتضمن تخطيط مدنها وذكر أنهارها وبحيراتها وبحارها وخلجانها وجزرها وجبالها وذكر أعيانها وفضلائها وأخبارها وحوادثها وما ورد فيها من الأشعار · ويؤخذ مما كتبه صاحب كشف الظنون على ذيل هذا الكتاب المسمى الزبد والضرب انه انتهى فيه الى آخر سنة ٦٥٠ هـ الموجود منه اربعة عشر جزءاً متتابعة في ثلاثة مجلدات · وهي المجلد الأول وينتهي الى أثناء الجزء السادس ويتضمن الكلام على انطاكية وثغور الشام في صدر الاسلام وفيما كانت العرب تؤرخ به قبل الاسلام وفي ذكر بحر الروم واتجاهاته والبلاد الواقعة عليه · وفي ذكر البحر الهندي والشرقي والبحيرات الموجودة في أعمال حلب وذكر منتزهاتها وجبالها وآثارها القديمة ومزاراتها وقبور الأولياء والصالحين والمواطن الشريفة والطلسمات والغرائب وبيان حالتها الدولية وما وصلت اليه في زمنه

ثم الكلام على قنسرين وانطاكية وأول من بناها وما جاء من الآثار في ذمها ثم تكلم على المدن التالية لحلب وما بقي منها عامراً الى زمنه وما عفت عليه الآثار كمدينة بالس ورصافة هشام ومعرة النعمان · وفي اللوحة الثانية منه ترجمة الشريف الادريسي صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ونبذة من سفره واخرى من شعر ابي الخطاب محمد بن محمد بن احمد البطائحي وفي اللوحة الثالثة فصل في فوائد التاريخ وفي اللوحة الرابعة ترجمة المؤلف وفي اللوحة الخامسة بعد اسم

---

(١) ذكر عبد العزيز بعد عمر سهو من واضع الفهرس فان ابا عمر اسمه احمد ·

الكتاب ما نصه : يقول كاتب هذه الأحرف فقير عفو ربه تعالى محمد بن محمد ابن محمد الحمدي الحنفي عامله الله بلطفه الخفي . انه يروي تاريخ حلب للصاحب كمال الدين عمر بن احمد المعروف بابن ابي جرادة وبابن العديم عن الشيخ تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر المقريزي مؤرخ الديار المصرية عن ناصر الدين محمد الحدادي عن الحافظ شرف الدين عبد المؤمن ابن خلف الدمياطي عن مصنفه الصاحب كمال الدين بن العديم .

والمجلد الثاني يبتدئ من حيث انتهى السابق وينتهي الى اثناء الجزء العاشر في فضايل الشام ويتضمن الكلام على معرة مصرين وكفر طاب وحماة والمصيصة وآذنة وطرسوس وبزاعة والباب ونهر الذهب وصفين وما بين هذه المدن من الأميال مع ذكر فضائلها وما حدث فيها .

والمجلد الثالث يبتدئ من حيث انتهى السابق وينتهي الى آخر الجزء الرابع عشر ويتضمن ذكر فتح الصحابة رضي الله عنهم مدينة حلب وحمص وبعلبك وغيرها . مأخوذة بالتصوير الشمسي عن نسخة مخطوطة بخط المؤلف محفوظة بمكتبة (آياصوفية) بالآستانة اهـ .

وجاء في كتاب تذكرة النوادر من المخطوطات العربية الذي رتبته ادارة مطبعة المعارف النظامية في حيدر آباد الدكن (الهند) المطبوع عام ١٣٥٠ هـ في صفحة ٨٦ .

ان هذه المجلدات الثلاثة تحت رقم ٣٠٣٦ (كما قدمته) وفيه بعد ذلك ما نصه :

ونسخة أخرى منقولة عن نسخة المؤلف في متحف بطرسبرج . وفي الذيل ان ذلك نقل عن مجلة المعارف ج ٢٤ ص ١٤١ (١)

(١) الناشر لذلك في مجلة المعارف هو صديقنا العلامة الميمني الراجكوتي أخبرني بذلك حين مروره بحلب قادماً من الآستانة .

في الموصل ثم في حلب

في كتاب مخطوطات الموصل تأليف الطبيب الفاضل داود الچلبي الموصلي ص ١٢١ تحت رقم ١٥ في ذكر المخطوطات التي في المدرسة الحسنية ويقال لها مدرسة حسن باشا . تاريخ ابن العديم الحلبي قطعة منه تبدأ بقوله زهدم بن الحارث كان بدابق حين ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وسمع خطبته ورواها عنه محمد بن عثمان . وينتهي بقوله سعيد بن سلام وقيل سعيد بن سالم ابو عثمان ابن سعيد المغربي الصوفي .

طول المجلد ٢٧ وعرضه ١٧ سنتمتراً عدد أوراقه ٢٠١ في كل صفحة ٢٥ سطراً وقد كتبتُ للطبيب المومأ اليه في استنساخ هذا المجلد فتفضل بذلك جزاه الله خيراً وهو الآن عندي . وهو في ٣٧٩ صفحة كبيرة كل صفحة ٢٢ سطراً وقد قرأته من اوله الى آخره في أثناء سنة ١٣٥٠ هـ وصححت فيه كلمات كثيرة حرفها الناسخ ولم يزل فيه بقية من الأغلاط وقد تقدم ان هذا الجزء في سراي طوب قبو بخط المؤلف ومجموع ما فيه من التراجم ١٥٣ ترجمة وفيه من التراجم ما لا يوجد في غيره من معرة النعمان وحدها نحو العشرين ما بين عالم وشاعر لم نجد لهم ترجمة في غير هذا الكتاب ومن جملة رجال هذا الجزء ترجمة تاج الدين ابي اليمن زيد بن الحسن الكندي الذي نشر ترجمته في المجلد الحادي والعشرين في الجزء الخامس ص٢٤٨ من مجلة المجمع صديقنا الأستاذ الفاضل الشيخ محمد احمد دهمان الا ان في ترجمته هنا زيادات كثيرة وقد أطال فيها وهو شيخه وقد أكثر من الأخذ عنه فهو يعرفه حق المعرفة وترجمته في ١١ صفحة وذكر له من جملة شعره قصيدة طويلة في ٤٩ بيتاً مطلعها :

هل أنت راحم عبرة وتولهِ ومجير صب عند مأمنه دُهي
هيهات يرحم قاتلٌ مقتوله وسنانه في القلب غير مُنَهنِهِ
من بلّ من داء الغرام فانني مذ حل بي مرض الهوى لم انقه

وفيها ما يزيل اشكال الصديق حيث يقول ولا نعلم في اي سنة من سني حياته تحول من المذهب الحنبلي الى المذهب الحنفي . فقد قال ابن العديم ولما مات شيخه ابو محمد المقري سبط ابي منصور قام مقامه في مسجده وأم الناس اياماً وله نيف وعشرون سنة ثم انه سافر عن بغداد في سنة ثلاث واربعين (وخمسمائة) ودخل همدان وأقام بها سنتين يتفقه على مذهب ابي حنيفة رحمة الله عليه على سعد الرازي بمدرسة السلطان طغرل اه وليس في ترجمته هنا ما يفيد انه تفقه على المذهب الحنبلي على شيخه ابي محمد المقري ولعل الأستاذ رأى ذلك في بعض المصادر التي نقل عنها .

ونرى الكمال ابن العديم كثيراً ما يروي في هذا الجزء عن شيخه التاج الكندي بسنده هذا ما وقفت عليه من اجزاء هذا التاريخ العظيم وأنا متابع البحث عنه من اكثر من اربعين سنة الى الآن .

وأرجو ممن يقف على شيء منه غير الأجزاء التي ذكرتها ان يتحفنا به على صفحات مجلة المجمع خدمة للعلم والأدب ونحن له من الشاكرين والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً .

(حلب) محمد راغب الطباخ

العدد في اللغة العربية

— ٤ —

المعدول عن جهته من العدد مذكراً ومؤنثاً

وسبب منعه من الصرف

أقدم في هذا الموضوع خلاصة ما أورده ابن سيده في المخصص (ص ١١٩ ج ١٧) فأقول:

« المعدول عن جهته من العدد يمنع التصريف (الاجراء في لغة ابن سيده) ويكون المذكر والمؤنث بلفظ واحد تقول أدخلوا أحاد أحاد وأنت تعني واحداً واحداً أو واحدة واحدة وثناء ثناء وثلاث ثلاث ورباع رباع وقال الخليل أنه بمنزلة أخَر وكان حقهم أن يقولوا واحداً واحداً فغيّرت الصيغة فترك صرفه وقال أنه لا يصرف في النكرة لأنه نكرة توصف به نكرة ولا يقصد بصيغة المعدول عدد المعدود وإنما الهيئة التي كان عليها من حيث المرافقة والعدة: تقول: جاء القوم مثنى مثنى أي اثنين اثنين ولو كانوا ألوفاً ».

وذكر في سبب منعه من الصرف أربعة أقاويل: (القول الأول) أن المانع له من الصرف الوصفية والعدل؛ (الثاني) أنه عدل في اللفظ وفي المعنى فصار كأن فيه عدلين: عدل اللفظ من واحد الى أحاد وعدل المعنى من العدة الى وصف الهيئة العددية مع عدم التحديد في عدة العدد المشتق منه؛ (الثالث) أنه عدل وأن عدله وقع من غير جهة الفعل لأن باب العدل حقه أن يكون للمعارف وهذا للنكرات؛ (الرابع) أنه معدول وأنه جمع لأنه بالعدل قد صار أكثر من العدة الأولى.

وفي المعدول لغتان (أي له صيغتان) فُعال ومَفْعَل كقولك أُحاد ومَوْحد وقال قوم منهم الزجّاج أن القياس لا يمنع من اشتقاق هذه الصيغة من الآحاد البسيطة حتى العشرة فتقول عُشار ومَعْشر .

وقال بعض النحويين أن هذه الألفاظ معرفة وخالفهم آخرون واستدلوا على تنكيرها بقوله تعالى : « أولي أجنحة مثنى وثُلاث ورُباع » .

وذكر ابو اسحاق أن المانع لهذه الألفاظ من الصرف هو العدل عن الفاظ الاثنين والثلاثة والأربعة من جهة والتأنيث من جهة أخرى وقال اصحاب ابن سيده ان المانع له من الصرف علتان انه عدل عن تأنيث وأنه نكرة والنكرة أصل الأشياء وخالفهم ابن سيده وقال كونه نكرة كان ينبغي أن يخففه لأن النكرة تخفف ولا تعد فرعاً ومن الغريب أن قوماً ادعوا أن هذه الألفاظ معرفة مع أنها وصف للنكرات وعلل أبو علي منع الصرف في العدل بأن العدل، يكون نوعاً من الثقل لأنه يخالف سائر المشتقات من أنك تلفظ بالكلمة وتريد بها معنى كلمة في لفظ آخر وقال أنه ليس هناك من عدل في المعنى بل العدل في اللفظ فقط لأنك تريد بلفظة مثنى نفس المعنى المعدول عن لفظة « اثنين اثنين » ولو وجد الثقل بسبب العدل عن المعنى لما كان سبباً في المنع من الصرف وذلك ملاحظ في بقية المشتقات . وقال إنه لا يجوز اجتماع عدلين فالقول بأن المانع من الصرف في هذه الأعداد عدل عن اللفظ وعدل عن التأنيث خطأ لأن اللفظ لا يعدل الا مرة واحدة والعدل لم يحفظ عن اللفظتين معاً اثنين اثنين وما شابهها وإنما حصل عن واحدة منها وإنما تفيد اللفظة بعد عدلها معنى اللفظتين معاً وذكر أنها معدولة عنها من قبيل التمثيل وجميع المعدولات ألفاظ مفردة كما أن المعدول عنها كذلك والقول بأنه معدول ومعدول عن مؤنث في هذا الباب خطأ لأن الألفاظ المعدولة تطلق على المذكر والمؤنث على السواء والعدل عن النكرة يستوي مع العدل عن المعرفة في المنع من الصرف اذا انضم اليه سبب

اخر والمانع الحقيقي في رأي ابن سيده لهذه الألفاظ من الصرف هو الوصفية والعدل .

وقال الفرّاء إن العرب لا تجاوز رباع غير أن الكميت قد قال :

« فلم يستريثوك حتى رميت فوق الرجال خصالا عُشارا »

وقال ابن سيده إن الفرّاء جعل عشار مخرج ثُلاث وهذا مما لا يقاس عليه وقال الفرّاء في مثلث ومثنى ومربع : « إن أردت به مذهب المصدر لا مذهب الصرف جرى قولك ثنيتهم مثنى وثلثتهم مثلثا وربعتهم مربعا » .

هذه خلاصة ما ورد في العدل عن ابن سيده في مخصصه والذي يعنينا منها في الدراسة هو أن هذه الألفاظ المعدولة وردت عن العرب من أحاد الى رُباع ومن مَوْحد الى مربع وأن النحويين أجازوا قياساً أن يشتق من ألفاظ الأعداد حتى العشرة عن أوزانها وأن هذه الألفاظ المعدولة تكون ممنوعة من الصرف وأنه يستوي فيها المذكر والمؤنث وما سوى ذلك منطق وفلسفة لا حاجة لنا به وإنما قد قدمته كمثال على دراسة النحويين المنطقية لأبحاث النحو .

الأبعاض والكسور وألفاظها ومشتقات هذه الألفاظ

سبق أن ذكرت في مقدمة بحث العدد هذا ان العرب استعملوا ألفاظ النصف والثلث والربع والخمس وهكذا حتى العشر منذ الجاهلية وأن كثيراً من الفاظ هذه الكسور قد وردت في القرآن ولا سيما في آيات الميراث وذكر ابن سيده (المخصص ج ١٧ ص ١٢٩) أنه وردت في نصف لغة رديئة قال بعضهم أنها عامية هي نَصْف واشتق من النصف نصَفتُ الشيء أي جعلته نصفين والشطر النصف والجمع شطور والتشطير التنصيف .

ويقال في الثلث ثليث وهكذا في البقية إلى عُشَيْر بمعنى عشر والجمع أثلاث الى أعشار . وقال أبو زيد لم يعرفوا الخميس ولا الربيع ولا الثليث وقال غيره : السبيع السابع والنصيف النصف وقال ابن دُرَيْد أنه مكيال في قول الشاعر :

« لم يغذُها مُدٌّ ولا نصيف »

وقد أوردت في باب الصفات العددية الترتيبية أفعالاً تدل على القسمة لكل كسر من الكسور البسيطة فتقول خَمَسْتُ الغلال إذا أخذتُ خمسها وهكذا وذكرت الفرق بين مضارع هذه الأفعال حينما تدل على الكسور ومضارعها حينما تدل على رتبة العدد فيما يخص الأفعال التي لامها حرف العين فليرجع اليه هناك .

كلمات نيّف وبضع وبضعة واستعمالاتها في اللغة العربية

ذكر في التصريح على التوضيح (ص ٢٧٤ ج ٤) أن كلمة النيّف من ناف ينوف بمعنى «زاد يزيد» قال أبو زيد هو النسعة فما دونها وقال ابو جعفر النحاس في شرح المعلقات : النيّف من العدد ما جاوز العقد الى الثلاثة هذا قول أهل اللغة وفي الصحاح والقاموس كل ما زاد على العقد فهو نيّف حتى يبلغ العقد الثاني والعقد ما كان من مرتبة العشرات أو المئات أو الألوف» .

وقال الصبان (ص ٥٢ ج ٤ من شرحه على الأشموني) : «قال في شرح الكافية : لبضعة وبضع حكم تسعة وتسع في الإفراد والتركيب وعطف عشرين وأخواته عليه نحو : لبثت بضعة أعوام وبضع سنين وعندي بضعة عشر غلاماً وبضع عشرة أمة وبضعة وعشرون كتاباً وبضع وعشرون صحيفة ويراد ببضعة من ثلاثة الى تسعة وببضع من ثلاث الى تسع وقال إن الفرق ما بين النيّف وبضع أن نيّف لا يختلف لفظها في المذكر عن المؤنث وأنها لا تستعمل الا مع العقود .

التأريخ بالليالي والأيام

ذكر في شرح الصبان (ص ٥٦ ج ٤) أنه يؤرخ بالليالي لسبقها فحق المؤرخ أن يقول في أول الشهر كتب لأول ليلة منه أو لغرّته أو مهلّه أو مستهلّه ثم يقول كتب لليلة خلت ثم لليلتين خلتا ثم لثلاث خلَوْن الى عشر الى النصف من كذا أو انتصافه ثم لأربع عشرة بقيت ثم لآخر ليلة منه وهكذا ما بينهما

ويقال لخمس عشرة خلت أو بقيت وبخصوص آخر ليلة لآخر ليلة منه او سراره او سرره ثم لآخر يوم منه او سلخه او انسلاخه وقد تخلف النون التاء (أي نون النسوة وتاء التأنيث) وبالعكس» [فيقال لسبع عشرة ليلة مضين أو خلون أو مضت وخلت وهكذا» . وذكر غير الأشموني أن الأولى أن يقال لليلة كذا خلت او ليوم كذا خلا من أول الشهر حتى آخره وذلك لأنه لا يعلم عدة الشهر القمري بالضبط فعندما تقول لثلاث ليالٍ بقين فأنت غير واثق من ذلك لأن الشهر قد يكون تسعة وعشرين يوماً وقد يكون ثلاثين .

كنايات العدد : كَمْ وكأيّن وكذا والتمييز معها

قال ابن عقيل : يُستفهم عن العدد بـ «كم» ويكون تمييزها بعدها منصوباً وقد يكون مستتراً مفهوماً من الكلام ككم صمت أي كم يوماً وقد يكون مجروراً بمن محذوفة اذا كانت كم نفسها مجرورة مثل بكم درهم اشتريته فإن لم يدخل عليها حرف جر وجب نصبه ، ودخول حرف الجر على كم دليل اسميتها وهي اسم لعدد مبهم ولذلك احتاجت الى تمييز يفسرها .

واذا كانت كم خبرية أي للتكثير تُميّز بجمع مجرور كتمييز عشرة أو بمفرد مجرور كتمييز مائة مثل : «كم غلمانٍ ملكت وكم درهم أنفقت» .

وكم لها صدر الكلام استفهامية كانت أو خبرية وذلك لأن فيها معنى الاستفهام او التعجب وهما يطلبان الصدارة وقال صاحب التصريح إن كم الاستفهامية وكم الخبرية تشتركان في كونهما كنايتين عن عدد مجهول الجنس والمقدار والحقيقة والكمية وكونهما مبنيّتين لمشابهتهما الحرف في المعنى وفي الوضع وكون البناء فيهما على السكون وفي لزوم التصدير وفي الاحتياج الى التمييز وهي خمسة أمور .

وقال إنهما تفترقان في خمسة أمور : ١) تمييز كم الاستفهامية منصوب مفرد والكوفيون يجيزون جمعه والأصح مذهب البصريين ويؤول الجمع بأنه حال والتمييز محذوف وقال الأخفش يجوز جمعه إن كان السؤال عن الجماعات تقول :

كم غلاماً لك إذا أردت أصنافاً من الغلمان ، وأما نصبه ففيه ثلاثة أقوال : أنه لازم وأنه يجوز جره حملاً على كم الخبرية وانه يجوز جره بتقدير من محذوفة إن جرت كم بحرف جر ويكون حرف الجر في رأي سيبويه عوضاً عن من المحذوفة وذهب الزجّاج الى أن جرّ مميزها إنما هو بإضافة كم اليه وردّ مذهبه هذا ابن خروف لأن كم بمنزلة عدد مركب فلا تضاف] بينما تمييز الخبرية مجرور [قال بعضهم بإضافتها اليه وقال الفراء بتقدير من محذوفة لكثرة دخول من على المميز فإذا حذفت فلكثرة تداولها ويكون مميزها مفرداً ويكون جمعاً والإفراد أكثر في الاستعمال وأبلغ في المعنى من الجمع حتى إن بعضهم ادعى أن الجمع على نية معنى الواحد والمفرد في الحقيقة إنما يدل على الجمع « كم قوم جاؤوني أو كم رجل جاءني »] .

(الثاني) : ان الخبرية تختص بالزمان الماضي لأن معنى التكثير والتقليل يكون فيما عرف حده والمستقبل مجهول ويجوز في الاستفهامية كم عبداً ستشتريه لأن الاستفهام لتعيين المجهول .

(الثالث) : الاستفهامية تتطلب جواباً بعكس الخبرية

(الرابع) : المتكلم بالخبرية يحتمل الصدق والكذب بعكس الاستفهامية

(الخامس) : المبدل من الخبرية لا يقترن بهمزة الاستفهام لأنه خبر بخلاف المبدل من الاستفهامية يقال : « كم مالك أعشرون أم ثلاثون » .

ويروى أن تميماً تجيز نصب مميز الخبرية مفرداً ولذلك قرئت عمة بالنصب والجر مع التنوين في بيت الفرزدق :

كم عمة لك ياجرير وخالة فدعاء قد حلبت علي عشاري

وقيل كم هنا استفهام تهكم .

ونرى هنا أثر المنطق واضحاً في بيان الاتفاق والافتراق بين اللفظتين وعدم الاقتصار على الناحية العملية المفيدة في استعمال كم في حالتيها : الاستفهامية والخبرية .

وزاد الأشموني (ص ٥٩ ج ٤) في أمور اشترا كما أنهما تشتركان في كون مميز كلٍّ منهما يجوز حذفه إذا فهم من السياق خلافاً — لمن زعم منع حذف تمييز كم الخبرية — وأنهما لا يعمل فيهما ما قبلهما إلا المضاف وحرف الجر وأنهما على حد واحد في وجوه الاعراب ثم ذكر وجوه اعرابهما فقال أن كم بقسميها إن تقدم عليها حرف جر أو مضاف فهي مجرورة وإلا فإن كانت كناية عن مصدر أو ظرف فهي منصوبة على المصدر أو على الظرف وإلا فإن لم يلها فعل أو وليها وهو لازم أو رافع ضميرها او سببيها فهي مبتدأ ووليها فعل متعد ولم يأخذ مفعوله فهي مفعوله وإن أخذه فهي مبتدأ إلا ان يكون ضميراً يعود عليها ففيها الابتداء والنصب على الاشتغال (ص ٦١ ج ٤)

وقال (ص ٥٩ ج ٤) فيما يختص بكم الخبرية : « شرط جر تمييز كم الخبرية الاتصال فإن فصل نصب حملاً على الاستفهامية فإن ذلك جائز فيها في السعة وقد جاء مجروراً مع الفصل بظرف او مجرور كقوله :

« كم دون مية موماة يهال لها   إذا تيممها الخريت ذو الجلد »

وقوله : « كم بجود مقرف نال العلا   وكريم بخله قد وضعه »

والصحيح اختصاصه بالشعر ومثله فصل تمييز العدد المركب وشبهه وقد مر وذهب الكوفيون إلى جوازه في الاختيار وقيل ان كان الفصل بناقص نحو كم اليوم جائع أتاني وكم بك مأخوذ جاءني جاز وإن كان بتام لا يجوز وهو مذهب يونس فإن كان الفصل بجملة كقوله « كم بالتي منهم فضلاً على عدم » أو بظرف وجار ومجرور معاً كقوله :

« تؤم سناناً وكم دونه   من الأرض محدوداً بأغمارها »

تعين النصب قال المصنف : وهو مذهب سيبويه » .

وقال ابن عقيل أن (كأيّ) مثل كم في الدلالة على التكثير ومميزها منصوب أو مجرور بمن وهو الأكثر : « وكأيٍّ من نبي قاتل معه » وأن لها صدر الكلام لأنها تستعمل للاستفهام أو التعجب .

وجاء في حاشية يس أن كأين فيها خمس لغات وأن ابن مالك قال في الكافية الشافية:

«وفي كأين قيل كائن وكئن وهكذا كأين وكيئن فاستبن»

وقال إن نونها تنوين في الأصل فمنعت من الاضافة نظراً للأصل (الدنوشري)

وقال في الأشموني (ج ٤ ص ٦٩) أن تمييز كأين منصوب بخلاف كم الخبرية فتقول كأيّن رجلاً رأيت ومنه قوله :

« وكائن لنا فضلاً عليكم ومنة قديماً ولا تدرون مأمن منعم »

وقوله :

« اطرد اليأس بالرجاء فكائن آلماً حمّ عسره بعد يسر »

وتقول كأين من رجل وقد جاءت في القرآن الكريم مصحوبة بمن وقال الصبان إن الأشموني يقول بأن كأين تشارك كم في معنى الاستفهام وهو نادر ولم يثبته إلا ابن قتيبة وابن عصفور والمصنف واستدل له بقول أبي بن كعب لابن مسعود «كأين تقرأ سورة الاحزاب آية فقال ثلاثاً وسبعين» .

وقال في التصريح على التوضيح أن « كأين » بمنزلة كم الخبرية في خمسة أمور : التكثير والإبهام ولزوم التصدير والبناء وانجرار التمييز إلا أن جرّها بمن ظاهرة لا بالاضافة بخلاف كم قال تعالى : « وكأين من دابة لا تحمل رزقها » وقد ينصب تمييزها تقول : « اطرد اليأس بالرجاء الخ : سبق البيت » وأنها تخالف كأيّن كم في أمور منها : أنها مركبة من كاف التشبيه وأي المنونة وكم بسيطة على الأصح وقيل مركبة من الكاف وما الاستفهامية ثم حذفت الفها لدخول الجار وسكنت ميمها للتخفيف لثقل الكلمة بالتركيب ومنها أنها لا تقع استفهامية عند الجمهور خلافاً لابن قتيبة وابن عصفور وابن مالك ومنها أنها لا تقع مجرورة خلافاً لابن قتيبة وابن عصفور فانهما أجازا بكأيّن تبيع هذا الثوب ومنها ان خبرها لا يقع مفرداً (لا يكون الا جملة) .

وقال ابن عقيل أن كذا مثل كم في الدلالة على التكثير وأن مميزها يكون منصوباً كملكت كذا درهماً وأنها قد تستعمل مركبة ايضاً زيادة عن استعمالها مفردة مثل ملكت كذا كذا درهماً ومعطوفاً عليها مثل ملكت كذا وكذا درهماً ولا يكون لكذا صدر الكلام بل تكون متوسطه مثل ملكت كذا درهماً وعلة ذلك أنها لا تستعمل إلا في التقرير فلا تكون استفهامية ولا تعجبية وذكر في شرح الاشموني (ص ٦٢ ج ٤) ان ابن خروف زعم أنهم لم يقولوا كذا درهماً ولا كذا كذا درهماً بدون عطف وذكر الناظم «أي ابن مالك» ان ذلك مسموع ولكنه قليل وعبارة التسهيل : «وقل ورود كذا مفرداً ومكرراً بلا واو» . وقال ان الكوفيين أجازوا ان يقال كذا ثوب وكذا أثواب بغير تكرار ولا عطف قياساً على العدد الصحيح ولذلك قال فقهاؤهم أنه يلزمه في كذا درهم مائة (لأن مميزها مفرد مجرور مثل مميز المائة) وبقوله كذا دراهم (ثلاثة) وبقوله كذا كذا درهماً أحد عشر وبقوله كذا درهماً عشرون وبقوله كذا كذا درهماً احد وعشرون حملاً على المحقق من نظائرهن من العدد الصريح ووافقهم على هذه التفاصيل جماعة من البصريين منهم المبرد وجماعة من المتأخرين (ذكرهم الأشموني) وقال في التصريح على التوضيح ان كذا توافق كأين في أربعة أمور : التركيب فإنها مركبة من كاف التشبيه وذا الاشارية والبناء والإبهام والافتقار الى التمييز بمفرد وتخالفها في ثلاثة أمور أحدها أنه يجب في تمييزها النصب فلا يجوز جرها بمن اتفاقاً ولا بالإضافة لأن عجزها اسم لم يكن له قبل التركيب نصيب من الاضافة فأبقي على ما كان عليه خلافاً للكوفيين : أجازوا في غير تكرار ولا عطف أن يقال كذا ثوب وكذا أثواب بالجر قياساً على العدد الصريح وقال الزجاج يجوز الجر على ضرب من الحكاية وقال الحوفي على البدل من ذا والثاني أنها ليس لها الصدر والثالث أنها لا تستعمل غالباً إلا معطوفاً عليها كقوله :

«عد النفس نعمي بعد بؤساك ذاكراً كذا وكذا لطفانه نسي الجهد»

وقال الزرقاني في كذا: «وقد تكون لغير العدد نحو قال فلان كذا».

* * *

تذييل وتعليق على بحث العدد

بهذا أكون قد انتهيت من كتابة ما وددت كتابته في بحث العدد وبينت الصفة البارزة التي يتصف بها علماء النحو في كتابة علم العدد وغيره من أبحاث النحو وهي عدم دراستهم الموضوع دراسة كما ينبغي من حيث إحصاء التراكيب التي وردت عن العرب واستنتاج القواعد منها وضم ما تنتجه الحاجة والتطور في لغات الحديث العربية إذا احتاج الأمر لتكون اللغة حية سائرة مع الزمن ولتبقى كذلك بل جمدوا علم النحو بشكل قواعد عربية أخضعوها للمنطق والفلسفة حيناً وللهوى والرأي الذي لا يستند إلى موجهات معقولة حيناً آخر وتعنتوا وتعمقوا حيث لا يحتاج الأمر الى تعنت وتعمق كما أنهم لم يولوا وجههم حين تدريسها شطر الطريق المجدي في إفادة الطلاب بان يمرنوهم عملياً على استعمال الأساليب العربية وكان ذلك منهم لحاجة في نفس يعقوب قضاها وإنهم لذوو علم وقد ذكرتها في ثنايا البحث قبل الآن وهي تتلخص في الطمع المادي وروح التنافس العلمي القائم على غير بصيرة والذي لا يتوخى الحقيقة المجردة والإخلاص للعلم في أثناء البحث ويتجلى هذا بصورة خاصة في الخلاف الذي قام بين علماء البصرة وعلماء الكوفة في علم النحو خاصة بله غيره من العلوم فكان هم كل من الفريقين ان يخالف القواعد التي أوجدها الآخر بقواعد جديدة أو إضعافها بإيراد شذوذات لا يقبلها الذوق بل كثيراً ما كانوا يخترعون الأبيات ليستشهدوا بها على قاعدة خاطئة علم الله وأولو العلم أنهم لفقوها واحتنكوها لتضليل طلابهم ولا بد لنا نحن الآن إذا أردنا ان ننهج السبيل القويم في دراسة وتدريس

القواعد والكلام بصحة ودقة ان ننفض غبار الفلسفة والمنطق والهوى والتمحك عن أبحاث علم النحو وهذا يتطلب جهوداً قد لا ينهض بها جماعة أو جيل وخير من هذا عندي أن نستقرئ النصوص التي نعتقد بصحتها كالقرآن وما نسلم بصحته من الحديث والآثار وأشعار العرب [على أنه ليس من رأيي الاستشهاد بالشعر في وضع القواعد لكثرة الاحتياج الى الضرورات فيه] وأخبارهم فنستنبط من اللغات الغالبة فيها قواعد نبعد الطلاب عن أن يحفظوها عن ظهر قلب بل يراعونها بكثرة الاستعمال ونرجو أن يصل علماء العربية إلى هذا قريباً والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل ·

مراجع بحث « العدد في علم النحو »

دائرة المعارف الاسلامية « باللغة الفرنسية » بحث عدد ADAD

شرح الصبان على الأشموني « الجزء الرابع »

التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري مع حاشية « يس » } الجزء الرابع

شرح المفصل للزمخشري : الجزء السادس

المخصص لابن سيده : الجزء السابع عشر

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ·

فهرس الأبحاث

نعيم الحمصي

مخطوطات ومطبوعات

يقظة العرب

ألفه جورج انطونيوس ونقله الى العربية علي حيدر الركابي

يقع الكتاب في خمس وخمسين صفحة واربعمائة . وهو مطبوع طبعاً حسناً على ورق صقيل مزين بمصورات جغرافية ، توضح كثيراً من الأبحاث .

ويقظة العرب كتاب يدل اسمه عليه ، يستهدف على ما قال مؤلفه في مقدمته : (سرد حكاية وتوضيح مغزاها ، وهو لا يرمي الى تدوين التاريخ النهائي والمفصل للحركة العربية ، بل الى رسم الخطوط الكبرى لأصول تلك الحركة ونموها ، والمشاكل الرئيسية التي جابهتها وذلك بعرض متصل للوقائع يتخلله شيء من التحليل . . .)

قال : (ولم تسرد هذه الحكاية سرداً كاملاً قبل الآن ، فقد نشر وصف لبعض مراحل القضية العربية هنا وهناك إلا انني لم أعثر في جميع اللغات التي أعرفها على بحث يتناول تلك القضية من أولها ؛ اي منذ ان حركت العرب عوامل اليقظة قبل مئة سنة حتى يومنا هذا . كما انني لا اعلم بوجود كتاب يعتمد في سرد وقائعه المصادر العربية والأجنبية على سواء . . . . ولهذا رأيت أن المجال واسع لتأليف كتاب يستند الى المصدرين معاً . وان مزيجاً مركباً يجمع بين المصادر والتفاسير العربية وبين الاسناد الغربية لا بد من ان يؤدي الى اظهار الحركة العربية وما رافقها من مسائل في بحث جلي وقوي) .

وبعد المقدمة ، تأتي كلمة المعرب : يعرف بها المؤلف والكتاب تعريفاً صحيحاً . ويقول : (قد يجد القارئ في بعض استنتاجات المؤلف وآرائه ، ما يختلف كثيراً أو قليلاً عن افكاره هو ، ولا سيما عند بحثه لمقدمات الحركة العربية . ولكن

القارئ بغفر هذا ايضاً بالنظر لما يحويه الكتاب من تحليل قيم وآراء محكمة في المواضيع الرئيسية التي تهم العرب ولا سيما في موضوع فلسطين) .

(لقد اعترض البعض على تعريب الكتاب بحجة ان العرب عالمون بقضيتهم وليسوا بحاجة الى من يشرحها لهم ، وانه ان نفع قراء الانكليزية فهو لن ينفع قراء العربية . على انني لم التفت الى هذا الاعتراض ليقيني بأن العرب غير عالمين بقضيتهم فهم إذاً محتاجون الى من يشرحها لهم ولا سيما على يد استاذ كجورج انطونيوس . الذي لا يكتفي بأن يضع امامهم صورة كاملة عن حركة لم يروها قبلاً بل انه يعلمهم كذلك الفرق بين أسلوب الخطابة في الدفاع عن قضيتهم وبين الأسلوب العلمي المادي . فلئن نجح الأول في تهييج الجماهير في حالات خاصة ولمدة محدودة فان الثاني ذو أثر نافذ وباقٍ على الدهر) .

وبعد ذلك يجيء الباب الأول وعنوانه (البذور الأولى) وقد جعل المؤلف فجر حركة العرب القومية في ديار الشام سنة ١٨٤٧ يوم أسست (جمعية أدبية متواضعة في بيروت يرعاها الأمير كان) .

ولا يرى المؤلف في الثورات والاضطرابات التي قام بها فخر الدين بالشام ، والوهابيون في جزيرة العرب ـ والحروب التي شنّها محمد علي على السلطان التركي ـ جزءاً من قصة اليقظة التي يرويها ـ لأنها في رأيه : (حركات متفرقة ناشئة عن دوافع خاصة ولم تكن خطوات منتظمة في سير القومية العربية المتوثبة الى الأمام ـ ولهذا وجب وضعها في المقام الثاني من الأهمية) .

وفي هذا الباب يصف المؤلف كيف : (رافق الدعوة الى الاسلام طريقة في التوسع كتب لها ان تؤدي الى فتح كان من أروع المشاهد في تاريخ الفتوحات العالمية . فان قوى الإسلام التي خرجت من قلب الجزيرة اثر وفاة النبي محمد دفعت في كل جهة تستطيع الوصول اليها بطريق البر . ففي الشمال اكتسحت الشام وتقدمت الى الأناضول حيث هدّدت القسطنطينية ، و الشرق فتحت

العراق وفارس والقسم الأكبر من بلاد الأفغان ـ وعبرت نهر جيحون فدخلت البلاد المعروفة باسم تركستان ، وفي الغرب استولت على مصر وسواحل شمالي افريقية بكاملها حتى وصلت الى شاطئ الأطلانطي ، ثم انطلقت شمالاً عند جبل طارق فاكتسحت اسبانية ثم اجتازت البرنس ودخلت فرنسة فاستولت على افينيون وكركزون وناربون وبوردو . وفي برهة من الزمن لم تعد المئة سنة بعد وفاة محمد قامت امبراطورية عربية تمتد دون انقطاع من شبه جزيرة ايبريه في الغرب الى سواحل البحر المتوسط الجنوبية فشواطئ نهر السند وبحر الخزر في الشرق . وفي القرون التي عقبت ذلك كان الطرفان الشرقي والغربي لهذه الامبراطورية يتراوحان بين مد وجزر . ولكن الزمن الذي لبثه العرب ضمن هذه الحدود المترامية كان كافياً لطبع هذه البلاد بطابع عربي دائم . لقد سطر العرب في حكمهم صفحة باهرة في تاريخ البشرية ، ولم تكن عظمتهم قائمة على انهم فتحوا تلك الأجزاء الواسعة من العالم المعروف ، بل على انهم وهبوها حضارة جديدة) .

ويقرر المؤلف — استناداً على مقال نشره الأستاذ ماسينيون في مجلة العالم الاسلامي : ان ما يقرب من ثلثي سكان فلسطين الحضر المسلمين هم من دم عربي صاف والنسبة اكثر من ذلك في شرق الأردن .

ويقول المؤلف : (ان العرب هم الأكثرية الساحقة من سكان البلاد العربية ، من تحدر منهم من اصل عربي صاف ، ومن لم يتحدر ، غمرتهم الموجة العربية جميعاً فاستعربوا تماماً وباتت عاداتهم وتقاليدهم مسكوبة في قالب عربي .... وتضم كلمة العرب النصارى والمسلمين . »

ويتناول المؤلف في كتابه حركة محمد علي وابنه ابراهيم باسهاب ، ويشير الى حركة الوهابيين ، والى أثر الارساليات الأجنبية ؛ وينوه بأثر رجالات العرب كاليازجي والبستاني . والمستعربين أمثال فانديك واسمث والى ما أنشئ من جمعيات علمية وأدبية .

وألمَّ المؤلف بالاضطرابات التي وقعت عام ١٨٦٠ فذكر أسبابها ونتائجها بتفصيل قد يحتاج الى تمحيص أعمق مما ذكره المؤلف . نضرب على ذلك مثلاً ما زعمه من ان هذه الاضطرابات (عملت على الحد من سلطة الكهنة السياسية فكانت لذلك وبالاً عليهم كما انها ساهمت الى حد بعيد في القضاء على النظام الاقطاعي) أما انها ساهمت في القضاء على النظام الاقطاعي ، فنعم . واما انها حدت من سلطة الكهنة السياسية ، فلا[1] . اذ هي التي خلقت سلطة للاكليروس لم تكن له قبل . وأخطأ في اسباب الفتن وفي معرفة موقديها ، كما أخطأ في اعتقاده ان التعليم في المعاهد التركية كان باللغة العربية ، على خلاف ما كان في المدارس الأجنبية . والحقيقة ان اللغة العربية كانت أكثر إهمالاً في المدارس التركية منها في المدارس الأجنبية .

وفي الباب الرابع تناول المؤلف الاستبداد الحميدي : (١٨٧٦ — ١٩٠٨) فأشار الى الأحداث التي وقعت في أيام عبد الحميد من داخلية وخارجية ، ووصف رجاله والمشروعات التي كانت في أيامه .

وعاد في الباب الخامس الى الحركة العربية من سنة (١٨٦٨ الى ١٩٠٨) وكيف نشأت الجمعيات السرية التي كانت تدعو الى الاستقلال العربي ، وما رافقها من نهضة علمية وأدبية والرجال الذين عملوا لها .

وفي الباب السادس تحدث عن الجمعيتين : العربية الفتاة ، وتركيا الفتاة : (١٩٠٨ و ١٩١٣) والحروب والثورات التي قامت في ذلك العهد ، والرجال الذين عرفوا فيه

وجعل عنوان الباب السابع : (الحرب والجهاد سنة ١٩١٤) لوصف الثورة العربية ـ التي قام بها الحسين بن علي وهي الثورة التي افتتحت بحق عهد الاستقلال العربي ـ وصفاً مسهباً .

---

(١) كان البطريرك الماروني نفسه الى ما قبل سنة ١٨٦٠ يلجأ الى مشايخ بني معروف ليتوسطوا له — حتى في أموره وقضاياه الخاصة — لدى الباشا . راجع تاريخ بكفيا للشيخ ادمون بليبل ، ووثائق دير الأحمر ، ومحاضرتنا عن بني معروف .

وفي الباب الثامن : بيان للمؤامرة التي دبرها رجال العرب على الحكم التركي .

وفي الباب التاسع : ضمان بريطانية لهذا الاستقلال ، وما كان من مفاوضات بينها وبين الشريف ، ثم ما كان من مراوغتها واحتيالها في تفسير هذا الضمان .

وفي الباب العاشر وما بعده الى السادس عشر : حديث الثورة العربية ، ونتائجها ؛ والعهود المتناقضة التي قطعت للعرب ، والتسوية التي عقبت الحرب ، والأقطار العربية ، والانتداب عليها .

والكتاب على ما تدل فصوله والمقاطع التي استشهدنا بها ، جزيل الفائدة ، لا يستغني عنه عربي يعنى بوطنه وتاريخه ، وحبذا لو ان المعرب كان اكثر عناية بلغة هذا الكتاب المفيد .

غير ان ذلك لا يقلل كثيراً من شكر المعرب على ما أسداه من خير لأمته ، ونستمطر الرحمات على جدث المؤلف ، فقد خلّد التاريخ العربي له اسمه في صفحة المحسنين .

عارف النكدي

رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة

تأليف ابي علي الحسين بن محمد المعروف بابن الفراء

يقع الكتاب مع فهارسه وجداول مصادره في مئتي صفحة . حققه الأستاذ صلاح الدين المنجد وجعله جزءاً أول لرسالة ألفها « في (الدبلوماسية) : الرسل والسفراء في بلاد الغرب وبلاد العرب » .

أما كتاب ابن الفراء : (رسل الملوك) فموضوعه كما يدل عليه اسمه : (من يصلح للسفارة والرسالة ، ومن أمر بارسال رسول ومن ينهى عن ذلك . وكيف ينبغي لمن ارسل الى ملك ان يعمل من الاحتياط لنفسه ولمن ارسله . ومن ذُم من الرسل ومن حُمد) .

استهل المؤلف كتابه بما جاء في كتاب الله من ذكر الرسل ؛ ثم اسماء رسل الرسول ، ثم ما قيل في الرسول وفي الكتاب : (الكتاب يد والرسول لسان) .

وفي الكتاب ذكر لكثير من آداب الرسول وما يجب ان يتحلى به : (اختر لرسالتك في هدنتك وصلحك ، ومهامك ومناظرتك والنيابة عنك ، رجلاً حصيفاً بليغاً ، حولاً قلباً قليل الغفلة منتهز الفرصة ذا رأي جزل ، وقول فصل ، ولسان سليط ، وقلب حديد ، فطناً لطائف التدبير ، ومستقلاً لما ترجو او تحاول بالحزامة واصابة الرأي .... حاضر الفصاحة ، مبندر العبارة ، ظاهر الطلاقة ، وثاباً على الحجج ، مبرماً لما نقض خصمك ، ناقضاً لما ابرم يجعل الباطل في شخص الحق ، والحق في شخص الباطل ، .... محتالاً في محاورته ومكائده ، جامعاً مع هذا العلم الفرائض والسنن ، والأحكام والسير ، ليحتذي مثال من سلف فيما يورده ويصدره ، عالماً بأحوال الخراج والحسابات وسائر الأعمال ، ليناظر كلاً بحسب ما يراه من صوابه وخطائه . وليكن من اهل الشرف والبيوتات ، ذا همة عالية ، فانه لا بد مقتفٍ آثار اوليته ، محب لمناقبها ، مساوٍ لأهله فيها ...)

الى غير ذلك من الصفات التي رأوا ان تجتمع للرسول . وفيه : قالوا رسول الرجل مكان رأيه ، وكتابه مكان عقله .

وقال الشاعر :

تخيّر رسولك ان الرسول يدل على عقل من ارسله
تراه اذا كان ذا حكمة يبلّغ احسن ما حمله
ليبرم منتقضات الأمور ويفتح أبوابها المقفله
ويرجع ان كان ذا غرةٍ عليه الأمور التي هنّ له

وقيل لعبد الله بن العباس : «ما منع علياً رضي الله عنه ان يرسلك يوم الحكمين ؟ فقال : منعه والله حاجز القدر ، ومحنة الابتلاء . ووالله لو وجّهني لجلست في مدارج أنفاسه ، ناقضاً لما ابرم ، ومبرماً لما نقض ، اسفّ اذا طار ، واطير اذا اسفّ . ولكن مضى قدر ، وبقي أسف . والآخرة خير لأمير المؤمنين .»

وفصول الكتاب عامرة بالنصائح ، جامعة لبليغ القول ، وبالغ الحكمة .

أما الجزء الثاني فيحتوي على فصول وأبواب ، فيها تعريف للسفير ، وبحث في السفارة والسفراء عند القدامى من الفرس والمصريين والعبرانيين واليونان . وفي القرون الوسطى وما بعدها . وتصنيف للرسل والسفراء . وذكر للأعمال التي يقومون بها ، ولما لهم من حقوق وعليهم من واجبات . والصفات التي يتحلون بها . وكلام عن السفراء وعن رفضهم ، وعن أوراق اعتمادهم ، ومراسم استقبالهم ، وحصانتهم ، ومميزاتهم ، والرسل والسفراء عند العرب ، وتحديد لغوي للرسول والسفير ، وانتقاء السفراء من حيث الخُلق والخَلق ، الى غير ذلك من الأبحاث القيمة التي عاناها الأستاذ المنجد بعلم وفهم ، وتدقيق وتمحيص .

فالشكر له على ما حقق ، وعلى ما ألف .

ع . ن



الخلافة

تأليف : السير توماس آرنولد

أستاذ اللغة العربية بجامعة لندن

ترجمة : جميل معلّى

يبذل كثير من المستشرقين جهدهم فيما يكتبونه عن الإسلام وأهله ، وفيما يستنبطونه ويعلقونه على الأطوار التاريخية التي مرت به ، وكتاب السير توماس آرنولد من هذا النوع ، فقد وصف الخلافة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ، وفي زمن الأمويين والعباسيين ، وعرض الى تأسيسها في القاهرة ، والى علاقات الخلفاء العباسيين بالأمراء الآخرين في العالم الاسلامي ثم وصف المؤلف الخلافة أيام أسس السلاطين من آل عثمان الملك ، وقد أعادوا للخلافة قوتها وفتوتها ، ومدوا ظلالها في الشرق والغرب ، ثم طرأ عليها الضعف والانحلال فأفل نجمها وزال .

لكن كثيراً من المستشرقين حتى المنصفين منهم تقع لهم أغلاط فيما يكتبون عن

العرب والمسلمين لضعفهم في لغة القرآن ، ولبعدهم عن روح الاسلام ومقاصده ، وستأتي شواهد ذلك من هذا الكتاب .

أما ما يشكر عليه السير توماس فهو تفريقه بين منصب الخليفة في الاسلام ومنصب البابا في النصرانية ، وأن مهمة الأول الدينية لا تحتاج الى الحصول على صفة روحية معينة كما يقرن ذلك في عقيدة الكهنوت المسيحي ، وقد ضل الباحثون ضلالاً كبيراً لعدم إدراكهم فقدان الكهنوت في الاسلام ، فالعقيدة الإسلامية تضمن علاقة بين المرء وخالقه مختلفة كل الاختلاف عما يعلمه نظام ديني يحوي عقيدة التجسد .

قال : « وبناء عليه فليس ثمة انفصال بين الشريعة والدولة في العالم الاسلامي ، هذا الأمر الذي كان مصدر نزاع عظيم في المسيحية » (راجع ص ١ — ٦ وهو الفصل الأول من كتابه) .

وقد أصاب السير توماس ببيان هذا الفرق بين الخليفة الروحي غير المسلم الذي يشرع ويحلل ويحرم وبين الخليفة المسلم الذي لا يدعي أنه ينفرد بتلقي الشريعة عن الله ، أو أن له حق الأثرة بالتشريع ، ولا يدعي أنه مؤيد بالعصمة ، بل لا نعرف في الاسلام أقل حق يمتاز به أكبر خليفة عن أصغر واحد من الرعية ، وليس الإمام إلا حافظاً ومنفذاً للأحكام العادلة ، المأخوذة أو المستنبطة من النصوص الشرعية العامة ، تحت مراقبة أولي الأمر وهم أهل الحل والعقد والشورى في الاسلام ، ويبقى له هذا الأمر ، وتجب طاعته فيه ، وإعانته عليه مدة استقامته كما أمر ، فاذا اعوج وجب تقويمه بالكلام أو بحد الحسام ، يؤيد ذلك قول عمر (رض) « إن رأيتم في اعوجاجاً فقوموني بألسنتكم » قالوا : بل نقومك بسيوفنا ، فاذا لم يرجع الى الحق وجب خلعه ، ما لم تترتب على ذلك مفسدة ، أكبر من مفسدة بقائه .

وأما أغلاطه (غير المطبعية) في القرآن فكثيرة منها قوله في ص ١٦

« بقوله تعالى : وثأرنا عليهم وأصبحا كلاهما إماماً جلياً » كذا ! فهل في الدنيا مسلم يقول إن هذه آية قرآنية ؟ وما أدري كيف غفل المترجم ، وصاحب المقدمة — وكلاهما مسلم — عن هذه الجملة ، وما المراد منها يا ترى ؟

وفي ص ١٦ ايضاً : ففي سورة البقرة الآية ١١٨ : قال إني جاعلك إماماً » وهي « للناس إماماً » الآية ١٢٤

وفي ص ٢١ : ليستخلفهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلكم » وهي « ليستخلفنهم (بنون التوكيد) في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم »

وفي ص ٦٤ « تعطي الملك لمن تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وترفع من تشاء ، وتذل من تشاء ، إنك على كل شيء قدير » آل عمران الآية ٢٥ . والآية الكريمة هي : « تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير » الآية ٢٦

وفي ص ٥٣ (واتقوا الله) : « فاتقو الله » . (« وانفعوا خيراً لأنفسهم » : « وأنفقوا خيراً لأنفسكم ») وهي الآية ١٦ من سورة التغابن . وفي ص ٥٣ (جاشوا خلال الديار) : « جاسوا » .

وفي ص ٧٥ (وهو الذي جعلكم خلائف على الأرض) « خلائف الأرض » الأنعام ١٦٥ (وفي ص ٨٠ و ٩٣ و ٩٤ « وجعلناكم خلائف على الأرض » والصواب « ثم جعلناكم خلائف في الأرض » وقد قال عن هذه الآية في ص ٩٤ من كتابه : (الأنعام الآية ١٦٥) وإنما هي في (يونس الآية ١٤) وآية الأنعام : « وهو الذي جعلكم خلائف الأرض » كما تقدم .

والمؤلف غير ملوم في هذه الأغلاط لأنه أعجمي ، وإنما اللوم المترجم لأنه عربي ، وهو يشير أحياناً الى السورة والآية ، لكنه لا يرجع اليهما ، ولو فتح كتاب « المرشد الى آيات القرآن الكريم » ، لوجد الآية التي يفتش عنها بأيسر ما يمكن من الوقت ، ولكن هذا البلاء عم ، فانا قلّ أن نقرأ في هذه الصحف

المنشَّرة آية صحيحة ، وما ينبغي ان يكون ذلك ، بل يجب على الكتاب والمترجمين أن يكونوا من أشد الناس ضبطاً وعناية بهذا الوحي الكريم ، الذي « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » .

واليك شواهد غلطه في الحديث وتحريفه للكلم : قال في ص ٤ فعبدٌ او بدوي او شاب أحلس ابن زنا يمكنه ان يؤم الناس) وكتب في ذيل الصفحة ما يأتي : (١) البخاري المجلد الأول الصفحة ـ ١٨١ ـ السطر ٤ ـ ٥ وكنز العلماء المجلد الرابع رقم ـ ٢٧٠ ـ ١ هـ (وفي جدول الخطأ والصواب ٢٧٠٠)

وقد عدنا الى البخاري فوجدنا الحديث في كتاب الأحكام من المجلد الرابع ج (٧) طبعة استانبول ونصه : اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة » فحرف الحديث ونقل عن موضعه وبدل لفظة زبيبة بابن زنا !! .. فيا للعجب ؛ وأين هذا من ذاك .

وأما كتاب كنز العلماء الذي يشير اليه وينقل عنه كثيراً ، فلا نعرفه ، وإنما المشهور : كنز العمال ، ومنتخبه المسمى بمنتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، وهو المطبوع على هامش مسند الإمام احمد والمشتمل على اثنين وثلاثين ألف حديث خالية عن التكرار ، والحديث فيه بلفظ زبيبة (لا ابن زنا) وعزاه الى البخاري ، واحمد وابن ماجه (ج ٣ ص ١٤٦) .

هذا وان في ص ٢٤ و ٢٥ احاديث أخرى في الخلافة والإمارة ، منقولة من الكتاب المسمى (كنز العمال) معدودة بأرقامه المسلسلة .

وهنا نذكر الأستاذ المترجم بأنه إذا كانت أمانة الترجمة تقضي بالمحافظة على الأصل ولو كان محرفاً ، فإن أمانة العلم والاسلام توجب تصحيح الآيات والأحاديث المترجمة : على القرآن الكريم وكتب السنة المعتمدة ، كما فعل الأستاذ المدقق الأمين محمد فؤاد عبد الباقي في كتاب : مفتاح كنوز السنة الذي وضعه بالانكليزية الدكتور : ا . ي . فنسنك ، بل يجب الرجوع إلى الأصول والمصادر العربية في كل ما ينقله الأجانب عنها اتقاء لهذا التحريف العجيب .

ولننتقل الآن إلى الأغلاط التاريخية : قال ص ٣ : ولكنه (أي الحديث) دوِّن في الكتب الدينية في القرن الثالث الهجري ·

أقول « بل المعروف أن الخلافة لما أفضت إلى الإمام العادل عمر بن عبد العزيز كتب – على رأس المائة – إلى عامله وقاضيه في المدينة أبي بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم : انظر ما كان من حديث رسول الله (ﷺ) فاكتبه ، فإني خفت دروس العلم ، وذهاب العلماء ، وأوصاه أن يكتب له ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية التي توفيت سنة ٩٨ وكذلك كتب الى عماله في أمهات المدن الاسلامية بجمع الحديث وهذا مبدأ تدوين السنة ·

وقال ص ١٠ إن أثر المصالح الدينية كان ضئيلاً في وعي الجيوش العربية الفاتحة التي اكتسحت سوريا وفلسطين والعراق وفارس ، إذ لم يكن هذا التوسع للعرق العربي سوى هجرة شعب نشيط قوي ساقه الجوع والحاجة إلى مغادرة صحاريه القاحلة الخ ·

وهذا خطأ تاريخي أيضاً : فقد كانت المهمة الأولى والهدف الأسمى للعرب نشر الدعوة الدينية ، وبث الأمن في البلاد ، ورفع لواء العدل بين الجميع ، أرأيت ذلك الصحابي الجليل ، والقائد العظيم خالد بن الوليد ، رضي الله عنه ألم يردّ على أهل حمص أموالهم ، إذ اضطر أن يعود بجيشه الى اليرموك ؟ وقالوا : قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم ، فقال أهل حمص : لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعن جند هرقل عن مدينة حمص إلا أن نغلب ونجهد ، فأغلقوا الأبواب وحرسوها ، وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود ، فلما هزمت الروم وظهر المسلمون عليهم ، فتحوا مدنهم واستقبلوهم بمظاهر الفرح وأدوا لهم الخراج · أو لم يقل الامام العادل عمر بن عبد العزيز : إن الله بعث محمداً هادياً ولم يبعثه جابياً · وقال يحي بن سعيد : بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات افريقية فاقتضيتها ولم نجد من يأخذها · فهل

في هذه الأمم الغنية والدول القوية وهي شعوب الحضارة والمدنية في هذا العصر أمثال من ذكرنا ؟ أولئك آبائي فجئني بمثلهم .

وما ذكره السير توماس في ص ٧٦ ـ ٨٣ من ألقاب الخليفة ومنها خليفة الخالق المختار ، وظل الله على الأرض ، وخليفة الله في طول الأرض وعرضها الخ . فالمؤلف يستعرض الخلافة في كتابه هذا في جميع أطوارها التاريخية ، وهذا الدور من أدوار التقهقر والخذلان ، أيام تغلغل نفوذ الأعاجم — الذين لم يرسخوا في الاسلام رسوخ أهله العرب فيه — فتعطلت احكام الخلافة ، وعادت اسماً بلا مسمى ، ولفظاً بلا معنى ، وطفق المتملقون والمستجدون من الشعراء يكيلون المدح لمن سموهم خلفاء المسلمين جزافاً ، وانتهى الأمر باجتياح التتار بلاد المسلمين ، والقضاء على الخلافة الاسلامية العربية ، أما الخلافة ايام ازدهارها واعتزاز العرب والمسلمين بها فكان الخلفاء في ذلك العهد الميمون يأبى عليهم ورعهم أن يسمعوا هذا الغلو ويقروه ، ولما قال رجل للخليفة الصالح الأموي عمر بن عبد العزيز : يا خليفة الله في الأرض . قال له عمر : مه ، فلست كذلك . وفي كتاب الخلافة مواضع كثيرة للبحث ، ومواقف ومجالات للنظر والنقد ، لو أردنا تقييدها وتفنيدها لاستغرق ذلك حجم نصف (الخلافة) على الأقل ، كإيراد ما جاء به المؤلف من ذكر الإمامة والخلافة ، وتحقيق معناهما والمراد منهما في آيات من القرآن الحكيم ، وكدعواه أن علماء المسلمين أنفسهم اعترفوا اعترافاً صريحاً بأن بعض الأحاديث التي تزعم أنها من نفس مأثور كلام النبي كانت تزويراً واضحاً ، ولكن عندما نسقت معالم مجموعاتها نهائياً في القرن الثالث الهجري ثبتت دون ما سؤال ، واعتبرت مما لا يقبل اي مناقشة او جدل (ص ٣ و ٤) وما ندري من أين جاءه العلم بهذا الزعم حتى بنى عليه هذا الحكم الجائر ، فان الأحاديث وأسانيدها منسقة أتم تنسيق ، وواضح فيها الصحيح والضعيف والمكذوب ، وعذر المؤلف وأمثاله ، عجمتهم وغربتهم عن الاسلام وأهله ، ويا رحمتا لشباننا الذين يحملون

إلينا هذه المعلومات الطريفة ، ويحاولون فينا الاصلاح بالتغيير والتبديل ، وينصبون أنفسهم موازين للجرح والتعديل ! !

وقول المؤلف في أواخر كتابه ص ١١٢ قبل ملاحقه الخمسة : « ويبدو أنه لا أمل مباشر لجماعة سياسية أن تؤسس في العالم الاسلامي تحت زعامة الخليفة في الظروف الراهنة كما تطلب العقيدة الاسلامية » فالجواب أن الأمل كان ضعيفاً أيام ظهر كتاب الخلافة سنة ١٩٢٤ بعد ان مزقت الدول القوية بلاد العرب والمسلمين شر ممزق ، أما الآن فان الله تعالى قيض للاسلام حماة ودعاة في الشرق والغرب ، وأنشئت جامعة الدول العربية ، ودولة الباكستان الهندية ، وبدأ ينقشع عن محيا العروبة والاسلام ما علق به من تضليلات الشعوبية والشيوعية الهدامتين ولله الحمد .

وقال متعجباً : ولم تزل نظرية الخلافة تجد انصاراً لها بين علماء الدين الذين يتغاضون عن ظروف العالم المتبدلة ، ويشرحون عقيدة الخلافة كما لو أنهم لا يزالون يعيشون في القرن التاسع الميلادي » .

لقد اخرت نقل هذه الكلمة عنه ، وإن وردت في طلائع كتابه ، لنستدل بها على مقصوده منه ، وهو ان هذه الخلافة التي انشئت لحراسة الدين وسياسة الدنيا ، لن تعود الينا من بعد ان قضي عليها مرة اخرى ، وانك تجد هذا المعنى واضحاً في كثير من فصول هذا الكتاب .

ونحن نكتفي بايراد كلة مجملة في وصف الخلافة يتبين منها أنها تفضل غيرها من الحكومات المدنية في القرن العشرين : إن الخلافة في الاسلام هي روح الديموقراطية الحرة ، لأنها تستمد قوانينها من كتاب الله الحكيم ، وسنة النبي الكريم ، ومن مميزات هذه الحكومة الاسلامية على سائر الحكومات النيابية المدنية ، ان قوانينها مبنيّة على الفضيلة والعدل « لا ضرر ، ولا ضرار » بخلاف هذه القوانين التي تبيح كثيراً من الضرر بالنفس والعقل والعرض والمال ، ومن مميزاتها الرجوع

عند تنازع اولي الحل والعقد ، الى كتاب الله تعالى وسنة النبي (ﷺ) وهما الأصلان اللذان تسلم الأمة لحكمها تسليماً ، والقول في كل مصلحة لما كان اهدى سبيلاً ، وادنى الى المصلحة العامة ، بخلاف المجالس القانونية التي كثيراً ما تحكم الاكثرية فيها بما يملي عليها الهوى والظلم ، او المصلحة الخاصة ، وتخالف الحق الصريح مخالفة ظاهرة ، فلا هي معتقدة بصحة حكمها ، ولا الاقلية المنصفة مقتنعة بفساد رأيها ، ولكنها تكون مغلوبة للاكثرية (كقرار الاكثرية المزعومة في منظمة الأمم المتحدة ، القاضي بتقسيم فلسطين بين اهلها والمعتدين عليهم ! !)

هذا وقد طبع الكتاب في دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر بدمشق ، وليس في الترجمة غموض ولا التباس ، وانما نرجو من المترجم ان يعود الى مصادر الكتاب العربية في الطبعة الثانية إن شاء الله لتطمئن النفس بصحة النقل .

محمد بهجة البيطار

علم الأمراض الباطنة (الجزء السادس)

تأليف الدكتور حسني سبح

ان مؤلف هذا الكتاب أشهر من أن يعرّف فهو رئيس الجامعة السورية واستاذ الأمراض الباطنة وسريرياتها في كلية الطب بدمشق وعَلَم من أعلام الطب في سورية وقد انتخبه المجمع العلمي العربي عضواً له تقديراً لعلمه ومنزلته الثقافية الرفيعة .

والمؤلف الذي نحن في صدده هو الحلقة السادسة من موسوعة طبية باشر المؤلف طبعها فأنجز منها خمسة مجلدات ضخمة وهو اليوم يتحفنا بالمجلد السادس منها وموضوعه « امراض جهاز البول والدم » فلا يبقى لاكتمال هذه الموسوعة الا المجلد السابع الذي يبحث في التغذية والغدد الصم ولا نغالي اذا قلنا ان هذه المؤلفات تحفة ثمينة بل قلادة نفيسة في جيد لغة الضاد .

ان من يلقي نظرة عجلى على ما يقوم به الأستاذ سبح من الأعمال الكثيرة يعجب اشدّ العجب لعظمة هذه الأعمال وقصر الوقت الذي تنجز فيه ولكنه متى درس حياة هذا الرجل العالم العامل ووقف على سير اعماله قلّ عجبه فان الأستاذ سبح لا يضيع دقيقة واحدة من يومه الا ويستخدمها في العمل النافع المجدي ، فهو ينظم ساعات عمله تنظيماً دقيقاً فيقوم برئاسة الجامعة السورية وما تتطلبه ادارتها الواسعة من الوقت بعد ان افتتحت فيها كليات اربع جديدة ، ويرأس الدروس السريرية الباطنة في كلية الطب ، ويلبي طلبات مرضاه الكثيرين الذين يتهافتون على عيادته للاستفادة من علمه الوافر ، ويصرف ساعات ليله وصباحه الباكر في التأليف والمطالعة . يقوم الأستاذ سبح بهذه الأعمال المرهقة مثابراً عليها منذ عدة سنوات بدون ملل او كلل فلا عجب اذا ما اتحفنا في كل مدة بثمرة يانعة من ثمار جدّه .

وهذا المؤلف الذي نتصفحه هو احدى هذه الثمار الأخيرة فهو يقع في زهاء ستمائة صفحة وقد طبع في مطبعة الجامعة السورية طبعاً متقناً على ورق صقيل رغماً من غلاء الورق وزين بسبعة واربعين رسماً وأردف بمعجم للمصطلحات الطبية التي وردت فيه . ويشتمل هذا الكتاب على الأبحاث التالية :

١ً — كليّات في امراض جهاز البول مشتملة على لمحة تشريحية وفيزيولوجية لهذا الجهاز ، وعلى استقصاء الكليتين والطرق البولية سريرياً وشعاعياً ، وعلى التناذرات الكلوية البولية من وذمة وبيلات آحينية ودموية وخضابية وقيحية وبوال وبوالة وإبالة (اي انقطاع البول) وأسر (اي انحباس البول) واوريميا وفرط التوتر الشرياني الكلوي وغير ذلك .

٢ً — امراض الكليتين وتشتمل على احتقان الكليتين والتهاباتها الحادة والمزمنة وتنكساتها وسلها وأورامها الخبيثة والسليمة ثم على امراض الحويضة والكؤوس والرمال البولية وعلل المثانة والاحليل اجمالاً .

٣ — امراض الدم والأعضاء المولدة له التي تشتمل على ابحاث عديدة جزيلة الفائدة ·

وقد دوّنت في هذا الكتاب احدث النظريات وطرائق المعالجات فجاء بما فيه من ابحاث ومستحدثات مماثلاً لأرقى المؤلفات الأعجمية في يومنا · وقد أردف الكتاب بفهرس مرتب على حروف المعجم فسهل به الوصول الى البحث الذي يريده المطالع بدون اي عناء ·

فالله نسأل ان يطيل حياة زميلنا العلامة النشيط ليتحف خزانة الكتب العربية آونة بعد اخرى بهذه الدرر الغالية ·

الدكتور مرشد خاطر

موجز علم الأمراض الباطنة (الجزء الأول)

لمؤلفيه الدكتورين حسني سبح وبشير العظمة

لم نكد نكتب كلمتنا في تقريظ الجزء السادس من كتاب الأمراض الباطنة حتى بعث الينا المجمع العلمي العربي بمؤلف ضخم هو الجزء الأول من موجز علم الأمراض الباطنة لنقول كلمتنا فيه · وكأني بالأستاذ سبح لم يكتف بوقف نفسه على اعلاء شأن الطب وتزيين خزانة الكتب العربية بمؤلفاته النفيسة بل اراد ان ينفخ روح الجدّ والعمل والتأليف في زملائه ومساعديه فوقع اختياره على شابّ من أحدّ الشبان ذكاء وأشدّهم جَلَداً وأوسعهم علماً هو الدكتور بشير العظمة الأستاذ المرشح للأمراض الباطنة في كلية الطب وبدأ الأستاذ اليمنى في هذه الشعبة فأدخله هذا المعترك وشجّعه على المضي في شقّ هذا الطريق الوعر الذي تكتنفه الأشواك فكان موفقاً في اختياره · وبرهاننا هذا الكتاب النفيس الضخم الذي نتصفحه معجبين بما فيه من اتقان وغزارة مادة وايجاز حتى كأن الأبحاث فيه قد استخلصت خلاصاتها او كدّست ذراتها فقلّ كلامها وكبر مدلولها · وقد كان عجبنا كبيراً بعد ان وقع نظرنا على تاريخ طبع هذا المجلد وطبع الجزء السادس من الأمراض الباطنة ورأينا انهما أنجزا في سنة

واحدة . اننا نكبر همة الأستاذ سبح التي لا تعرف الكلل ونثني الثناء العاطر على همة زميلنا الشاب الأستاذ عظمة التي نتمنى لها الازدياد المطرد لتكون مماثلة لهمة أستاذه وشريكه في التأليف .

ان وفاء هذا الكتاب حقه من التقريظ يتطلب تسويد عدد عديد من الصفحات لا يتسع لها صدر هذه المجلة ويكفينا ان نقول فيه انه تحفة نادرة قلَّ ان وقعت العين على ما يماثلها في لغة الضاد سواء أبإتقان اللغة التي صيغ بها أم بجمال الأبحاث التي تضمنها ام بجودة الطباعة والرسوم والورق الصقيل الذي نُسجت منه بردتُه واننا نكتفي بالقول ان هذا الكتاب يضمُّ بين دفتيه خلاصة مجلدات ثلاثة من موسوعة الأمراض الباطنة التي ألفها الأستاذ سبح وكثيراً من الأبحاث الجديدة التي لم تنشر في الكتب السابقة . فهو يشتمل على الأمراض الانتانية والطفيلية والأمراض الناجمة عن العوامل الحكمية والكيماوية وامراض التغذية وامراض جهاز الهضم ويقع في ١١٠٧ صفحات من قطع الثمن على الرغم من دقة الأحرف المطبعية ومن الاقتضاب في الكتابة . وقد زيّن بثمانين رسماً وصدِّر بفهرس عام للمواد .

اننا نرجو الاَّ يطول الوقت فنرى الجزء الثاني من هذا الكتاب النفيس تتداوله أيدي الطلبة ويتصفحه الزملاء المتعطشون الى أبحاثه الماتعة .

الدكتور م . خ

علم الأمراض الباطنة (الجزء الخامس)

امراض جهاز الدوران تأليف الدكتور حسني سبح

مطبعة الجامعة السورية سنة ١٣٦٣ — ١٩٤٤

عدد صفحاته ٧٧٢

هو الحلقة الخامسة من ذلك العقد الفريد في الأمراض الباطنة الذي بدأ صوغه الزميل الفاضل الدكتور حسني سبح عميد الجامعة السورية واستاذ الأمراض الباطنة

وسريرياتها ورئيس المعهد الطبي العربي منذ سنة ١٩٣٥ وتترقب العربية اتمامه لتضيفه الى تلك الحلي الطريفة التي يتحلى بها جيد لغتها العلمية في هذا العهد الانشائي الذهبي من نهضتها الحديثة ·

بحث فيه المؤلف في كليات امراض جهاز الدوران من حيث التشريح والفزلوجيا واسباب علل القلب والاعراض الوظيفية لعلل جهاز الدوران وفحص القلب سريرياً وشعاعياً والتخطيط القلبي الكهربائي والأسس العامة لمداواة علل الدوران ثم بحث في امراض القلب وامراض الشغاف وآفات المصاريع واضطراب نظم القلب وامراض العروق الشريانية والوريدية والشعرية وذلك بلغة سهلة فصيحة · وفي الكتاب رسوم حسنة الوضوح وهو حسن الطبع جيد الورق على الرغم من ظرف الحرب العصيب الذي ظهر فيه · وقد اعتذر المؤلف لعدم اضافة معجم لغوي الى الكتاب شأنه في الأجزاء السابقة واعداً تلافي هذا النقص في الجزئين التاليين ·

الدكتور أسعد الحكيم

من عمر ابو ريشه (شعر)

نشرته دار مجلة الأديب ، طبع في مطبعة الكشاف ببيروت عام ١٩٤٧
وضع رسومه الأستاذ الفريد بخاش ، يقع في ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير

هو مجموعة أشعار للأستاذ عمر ابو ريشه مفعمة بدقة الحس ، وقوة الخيال وروعة الفن · فقد أوتي صاحبها من قوة الخيال وبراعة التصوير ما جعله يبدل المرئيات ويقلبها الى صور رمزية يفوح منها شذا الحب والحنين · فكأن الطبيعة عنده مسرح صور متحركة او رمز سحري لرؤى أحلامه العذبة · فهو لا يرى في الأشياء الا نفسه ، ولا يجد في حياة الأكوان الا ما يجده في نفسه من الفرح ، والحزن ، والرغبة ، والأمل ، والقلق ، والشك ، واليأس · لقد عرف نضارة الحياة وذاق حلاوتها ومرارتها ، ولكن بشفتيه لا بشفتي غيره ، وأدرك

معبر البشرية ، وعرف بؤسها وشقاءها ، ولكن بشعوره وعاطفته ، لا بعقله . الطبيعة بأسرها رمز لما يشعر به ، أو هي صورة محسوسة للتعبير عما في نفسه من الآمال والأحلام .

وهو في ذلك يقول :-

لمن الأرض ان سلاها بنوها وتناسوا سخاءها المتانا
وهبتنا من قلبها خفقة الفا ب وشدت بساعديها قوانا
فهي مرآتنا ومرآة مسرا نا ومرآة سخطنا ورضانا

* * *

عالم الوهم نحن صغنا رؤاه واردناه ان يكون فكانا
لست تستطيع ان تكون الهاً فان اسطعت فلتكن انسانا

فنحن نخلق عالم الوهم ونصوغ رؤاه ، ونحصر أرواحنا ونغسل بها الطبيعة فتصبح الأرض مرآة لنفوسنا كما تصبح تحت تراءة لها وتغدو الأشكال والحركات والظلال والنسمات رمزاً حسياً لأفكارنا وعواطفنا وشكوكنا وآلامنا .

ان في هذا الشعر ظاهرة من الألم والقلق والتشاؤم ، وموجه من الأنفة والكبرياء والعنفوان ، وفيه موسيقى لفظية وألحان تذكرنا بالشعر المحض او الشعر المطلق الذي يثير العواطف بقوالبه وألفاظه ، ويوحي الى النفس بالصور والأحلام وفيه سخط على الحاضر ، والتفات الى الماضي ، وتطلع الى المستقبل ، وشباب غض ، ووطنية صادقة ، وايمان بالحب ، واخلاص للمثل الأعلى .

جميل صليبا

الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة

تأليف سليم حسن، وهو في جزئين، الأول في (٤١٣) صفحة، والثاني في (٢٣٨) صفحة من القطع المتوسط، طبع في القاهرة.

جمع المؤلف في الجزء الأول القصص والحكم والتأملات والرسائل في الأدب الفرعوني، وخص الجزء الثاني بالدراما والشعر المصري القديم وفنونه.

لقد سبق المؤلف كثيرون من علماء الغرب الى معالجة هذا الموضوع والتوسع في دراسته، غير ان دراساتهم كانت مشتتة في مصادر مبعثرة ولغات أجنبية متعددة، جعلت الاحاطة بها عسيراً بل متعذراً على غير من لا يحسن هذه اللغات او بعضها، ولذلك نجد العرب - ما خلا نفر قليل منهم - غرباء عن هذا الموضوع لا يعرفون عن دقائق تاريخ الشعب المصري القديم الا النذر اليسير، مع انهم أقرب الناس صلة بتاريخ هذا الشعب وأحوجهم الى معرفة دخائله والوقوف على فجر نهضته الأدبية. فقد جاء هذا الكتاب خير منجد لمن امتنعت عنهم الأصول، فوفر على الباحث العربي عناء البحث والطواف، إذ اودع فيه الأستاذ المؤلف أهم ما وعته المصادر الأجنبية معززة بدراساته الخاصة وابحاثه، فهو في مجموعة من أمتع الكتب التي من نوعه وأوفرها مادة وأدقها تحقيقاً، سد به ثلمة في مصادرنا العربية طالما شكونا فراغها وتطلعنا الى أسرارها. جمع لنا الأستاذ في كتابه هذا مادة غزيرة صورت لنا احسن تصوير ناحية شيقة من الأدب الشرقي القديم الذي ازدهر في مصر قبل خمس آلاف سنة ومنها أشرق على العالم القديم بنوره حاملاً له أساليب فنونه.

نشر الأثريون هذا الأدب منذ عشرات السنين بعد ان استخرجوه من جوف الأرض حيث كان يرقد في اطلال المعابد وظلمات القبور. فنشكر للأستاذ المؤلف عنايته وجهده.

جعفر الحسني

ارشاد الأعارب الى تنسيق الكتب في المكاتب

بقلم الفيكنت فيليب دي طرازي

عدد صفحاته ٣٧٨ ، بقطع متوسط

طبع بمطبعة جوزف صيقلي في بيروت سنة ١٩٤٧

يبحث هذا الكتاب في تنسيق دور الكتب ويشتمل على ثلاثة أبواب :

يبحث الباب الأول في أبحاث عامة في تنسيق العلوم والكتب ، ويحتوي على المباحث الآتية : نشأة المعارف البشرية ، تنسيق العلوم ، تنسيق الكتب ، فهارس الكتاب والكتب عند العرب ، وتنسيق العلوم وتطبيقه على الكتب العربية .

ويبحث الباب الثاني في التنسيق العربي ، ويحتوي على المباحث الآتية : استنباط التنسيق العشري [1] ، تنسيق مواضيع العلوم ، مواد اقسام المعارف البشرية ، نظام التنسيق العشري ، تشعب المعارف البشرية وتسلسل ارقام التنسيق ، مباني العلوم وقابليتها للزيادة والتوسع ، اغراض جداول التنسيق العشري وانواعها ، انواع الفهارس الكتابية ، اصول استعمال التنسيق العشري ، وتعديل التنسيق العشري .

ويبحث الباب الثالث في جداول التنسيق العشري فالقسم المرقم بصفر يحتوي على الكليات (التآليف العامة) ويشتمل على المباحث الآتيه : علم الكتب ، دور الكتب ، الموسوعات العامة ، المعاجم العامة ، مجموعات الأبحاث العامة ، النشريات

---

(١) يراد بالتنسيق العشري ترتيب الكتب طبقاً لموادها بواسطة ارقام محدودة ومعينة وضعت للدلالة عليها دون النظر الى شكل الكتاب أو مؤلفه أو اللغة التي كتب فيها ، ويرتكز ترتيب الكتب على أساس الاتجاه بطريقة تسلسل مواضيع العلوم من العام الى الخاص ومن الكل الى الجزء ومن الجنس الى النوع ، وغاية التنسيق العشري هو التخصص بكل موضوع من مواضيع المعارف البشرية والتقريب بين المواضيع المتشابهة وقد حصرها التنسيق العشري في عشرة أقسام مرقة من الصفر الى التسعة ولهذه الأقسام أبواب وفصول وأجزاء يمثل كل مادة من موادها رقم خاص وضع للدلالة عليه ويستقل به عن سواه ، وتسير هذه الأرقام بطريقة تسلسل الأعداد من الأقل الى الأكثر بعكس المواضيع التي تتسلسل من الأكبر الى الأصغر فكل رقم من أرقام التنسيق مدون ازاء مادته ابتداء من الآحاد فالعشرات فالمئات فالألوف .

الدورية العامة ، الجمعيات العلمية العامة ، المتاحف ، الصحافة ، الصحف ، مجاميع التآليف العامة ، مجموعات مواضيع متنوعة ، والكتب النادرة والنفيسة .

ويحتوي القسم المرقم بـ (١) على الفلسفة ، ويشتمل على المباحث الآتية : الفلسفة العامة ، علم المعقولات العام ، علم المعقولات الخاص ، علائق العقل والجسم ، المذاهب الفلسفية ، علم النفس ، المنطق ، علم الآداب أو الأخلاق ، الفلاسفة القدماء ، والفلاسفة الحديثين .

ويحتوي القسم المرقم بـ (٢) على الدين ، ويشتمل على المباحث الآتية : الدين عامة ، دراسة الأديان والمقارنة بينها ، الدين الطبيعي ، الدين المسيحي ، الدين الاسلامي ، الدين الاسرائيلي ، البوذية ، المجوسية ، الصائبة ، والأديان الأخرى .

ويحتوي القسم المرقم بـ (٣) على العلوم الاجتماعية ، ويشتمل على المباحث الآتية : العلوم الاجتماعية عامة ، الاحصاء ، السياسة ، الاقتصاد السياسي والاجتماعي ، الشرائع ، الادارة العامة ، الجمعيات والمعاهد الاجتماعية ، التربية والتعليم ، التجارة ، والأزياء .

ويحتوي القسم المرقم بـ (٤) على اللغات ، ويشتمل على المباحث الآتية : اللغات عامة ، دراسة اللغات والمقارنة بينها ، اللغة العربية ، اللغة الفرنسية ، اللغة الايطالية ، اللغة الاسبانية ، اللغة الانكليزية ، اللغة اللاتينية ، واللغة اليونانية ، واللغات الأخرى .

ويحتوي القسم المرقم بـ (٥) على العلوم الطبيعية ، ويشتمل على المباحث الآتية : العلوم الطبيعية عامة ، الرياضيات ، علم الفلك ، الطبيعيات ، الكيمياء ، علم طبقات الأرض ، علم الأحافير ، علم الحياة ، علم النبات ، وعلم الحيوان .

ويحتوي القسم المرقم بـ (٦) على العلوم العملية ، ويشتمل على العلوم العملية عامة ، الطب ، الهندسة ، الزراعة ، التدبير المنزلي ، الكيمياء الصناعية ، الصناعات العملية ، المهن والحرف الصناعية ، والبناء .

ويحتوي القسم المرقم بـ (٧) على الفنون الجميلة ويشتمل على المباحث الآتية : الفنون الجميلة عامة ، فن تنظيم البلدان ، هندسة البناء ، النحت ، الرسم والزخرفة ، التصوير اليدوي ، النقش ، التصوير الشمسي ، الموسيقى ، والملاهي .

ويحتوي القسم المرقم بـ (٨) على آداب اللغات ويشتمل على المباحث الآتية : الآداب عامة ، الفنون الأدبية ، الأدب العربي ، الأدب الفرنسي ، الأدب الايطالي ، الأدب الاسباني ، الأدب الانكليزي ، الأدب اللاتيني ، الأدب اليوناني ، والآداب الأخرى .

ويحتوي القسم المرقم بـ (٩) على التاريخ ، ويشتمل على المباحث الآتية : التاريخ عامة ، الجغرافيا ، التراجم ، التاريخ القديم ، التاريخ الحديث ، اوربا ، آسيا ، افريقية ، اميركا الشمالية ، اميركا الجنوبية ، واوقيانوسيا والأقطار القطبية .

وبالختام فقد أحسن الفيكنت دي طرازي باخراجه هذا السفر النفيس الذي كانت اللغة العربية تفتقر اليه ، فأضاف بذلك الى آثاره القيمة ، هذا الأثر الذي سيعود بالنفع العميم على الخزائن العربية ومنسقيها ، فيلهجون بالشكر الجزيل والثناء العاطر على واضعه الكريم .

عمر رضا كحالة

آراء وأنباء

أعضاء مراسلون جدد

انتخب المجمع العلمي العربي في ٣ تشرين الثاني سنة ١٩٤٨ ثمانية أعضاء مراسلين هم الأساتذة :

الأب ا ٠ س ٠ مرمرجي الدومنكي	(القدس)
الدكتور احمد زكي بك	(القاهرة)
« صبحي المحمصاني	(بيروت)
« عمر فروخ	«
الأستاذ عمر ابو ريشة	(حلب)
الدكتور مصطفى جواد	(بغداد)
الأستاذ احمد حامد الصراف	«
« كوركيس عواد	«

وقد صدرت مراسيم تعيينهم في ١٠ شباط سنة ١٩٤٨



أديب العربية الأجلّ محمد اسعاف النشاشيبي

لا نعرف السنة التي ولد فيها أديب العربية الأجلّ محمد اسعاف النشاشيبي ٠ والمذكور في أوراق الحكومة سنة ١٨٩٠ م ، وهي دون ما يرويه معاصروه ٠ وذكر أحدهم سنة ١٣٠٠ هـ = ١٨٨٢ م ٠

ووالده عثمان بن سليمان النشاشيبي من أبرز رجالات عصره ذكاءً وعلماً وبسطة مالٍ ٠ وقد تقلّب في مناصب الدولة حتى أصبح عضواً في مجلس المبعوثان في

الآستانة . ووالدته ابنة الحاج مصطفى أبو غوش الملقب بملك البر ، وابنة عمة أبيه عثمان .



ورث الأجلّ عن أبيه مزاجه العصبي الناري ، وميله الى الأدب ، وجلّ ثروته . ونشأ في عصر كان فيه المتعلمون قليلين ، غاية مطلبهم الفقه واللغة والخط والحساب . وعرفت بيت المقدس في ذلك العهد حلقة من الشيوخ ينتظم فيها السادة : محمد جار الله ، وعارف الحسيني ، وموسى عقل ، وأسعد الإمام ، وراغب الخالدي ، وكامل الحسيني المفتي ، وعثمان النشاشيبي ، ورشيد النشاشيبي ، وعبد السلام الحسيني وغيرهم . وكان هؤلاء الشيوخ يتقارضون الشعر ويتذاكرون الأدب ومسائل الفقه في دواوينهم . ولعلّ الأجلّ ارتاد الحلقة مراراً وسمع نوادر اللغة والأدب ورأى الكتب النفيسة في خزانة والده وخزائن الشيوخ ، وإن لم يع من هذه وتلك إلاّ «الانطباعات» .

وبعد أن أتمّ دروسه في المكاتب المعروف حالها في ذلك العهد اقترح الشيخ راغب الخالدي على أبيه أن يرسله الى المدرسة البطريكية في بيروت ففعل . ولبث زهاء أربع سنوات يتلقى العلم على الشيخ عبد الله البستاني والشيخ محي الدين الخياط والشيخ مصطفى الغلاييني وغيرهم من أساتذة المعهد ، فتذوق الأدب على نحو لم يكن مألوفاً في بلده ، وشغفته العربية بأسرارها الدقيقة وألفاظها الأنيقة وأساليبها المحكمة . وكأن البستاني أورثه حبّه الأدب القديم وبغضه أساليب المحدثين وكلفه بالبحث عن أصول المفردات . وألمّ بالفرنسية إلماماً حسناً أعانه

على قراءة بعض الكتب العلمية والصحف كالطان والعالمين . ورأى العربية على نور لغة أجنبية مهما دقت ورقت لا تبلغ شأو لغته ، وهي التي « أتقنها الإتقان وأبدعها الإبداع . قد جمعت الحسن كله في نظام . وبذت جميع لغات الأنام . فالتجوّد فيها مخاصرها حيثما سارت ، والتنوق فيها معانقها أنّى دارت . وإذا تنافرت اللغات يوماً وتساجلت جاءت فتاة الجزيرة سيدة عقيلة وجئن إماء .. وهي لغة (الكتاب) ولغة الإعراب ، ولغة الإيجاز اذا ابتغيت الإيجاز ، ولغة الإطناب إن تُرد الاطناب فهيهات هيهات أن تماشيها في الفصاحة والبلاغة لغة أو يجاريها في البيان لسان» (من كلمة له عنوانها سبيكة العسجد في لغة محمد) .

وعاد الأجلّ إلى بلده شاباً يافعاً لم يتجاوز العقد الثاني ، مزهوّاً بعلمه معجباً بأدبه شكيراً على أقرانه ، عاد وبيده قصيدة مطبوعة بماء الذهب في وداع مدرسته . وما كان للقوم يعرفون أدباً . ومع ما تحلى به والده من أدب وذكاء فقد أراد ابنه على أن يكون عوناً له على إدارة أملاكه الواسعة وأمواله الطائلة . فارتطم رأس الأجل بصخرة صماء وعانى آلاماً مبرحة . وزاده شقاء بؤس أمته واستخذاؤها ، فنظم قصيدة في أربعة وعشرين بيتاً استهلها بقوله :

العرب مات شعورهم فاندبه دهرك باكيا
ولّى فولّى بعده أنسي وساء مآليا

قد كنت أطمع أن أرى وطني بهيجاً زاهيا
فوجدته من كل علم(م) أو علاء خاليا
فرثيته وندبته وسكبت دمعي غاليا

فسطلقني يا ابن المكرا م وبغيتي ومراميا
أين تصبح العرب الأفاضل سادة ومواليا

وجاء الدستور سنة ١٩٠٨ وارتفع الكابوس وانطلقت الألسنة من عقالها واستقبله الأجل بقصيدة طويلة استهلها بقوله :

أخطري اليوم في الربوع اختيالا لا تخافي من العدو اغتيالا

وظهرت عدة مجلات ، وصال الأجل بقلمه ينظم حيناً وينثر حيناً آخر . وأصدر المرحوم حنا العيسى – شقيق الكاتب السيد يوسف العيسى صاحب الفيحاء الدمشقية – مجلة الأصمعي في بيت المقدس ، فالتقى ثلاثة أصدقاء ، الأجل والعيسى والاستاذ خليل السكاكيني في ندوة صغيرة . ولقبوا الأجل بأبي الفضل لولعه بمقامات البديع ، والسكاكيني بأبي الطيب لكلفه بالمتنبي ، والعيسى بأبي سعيد لإصدار الأصمعي ، وتولى الأجل رئاسة تحريرها نيابة عن صاحبها مدة وجيزة . وأصدر الأستاذ خليل بيدس سنة ١٩٠٨ – ١٩٠٩ مجلة النفائس ، وعمرت زهاء تسع سنوات ، ولم يخل مجلد منها من شعر الأجل أو نثره . وصدرت سنة ١٩١٢ مجلة المنهل في بيت المقدس فكان من كتابها . وكتب في عدد من الصحف العربية في مصر وسوريا .

وأعظم أثر للأجل في هذه المرحلة كتاب صغير الحجم نشره سنة ١٩١٢ في مجلة النفائس بعنوان (أمثال أبي تمام) جمع فيه أمثاله كما جمع من قبل الصاحب بن عباد أمثال المتنبي ، وقرأ من أجله اربعمائة كتاب من كتب الأدب وغيره من الفنون . وعده طائفة من الأساتذة المحققين « خير كتاب بدا في الأدب العربي في هذا العصر » . وأثر هذا الكتاب في توجيه الأجل نحو الأدب القديم والعناية بمصادره النادرة في تلك الحين والبحث والتنقيب في أمهات المعاجم ، كما أثر في أسلوبه . فقد كان يرجو أن يصنع في النثر ما صنع ابو تمام في الشعر . وهذا سر تفرده بأسلوبه العجيب . . . .

وأعجب ما رأيت من شعره في هذا الدور قصيدة في سبعة وعشرين بيتاً عنوانها (فلسطين والاستعمار الأجنبي) جاء فيها :

يا فتاة الحيّ جودي بالدماء بدل الدمع اذا رمت البكاء
فلقد وأت فلسطين ولم يبق يا أخت العلى غير ذماء
إنها أوطانكم فاستيقظوا لا تبيعوها لقوم دخلاء
كيف ترجون حياة بعدها ونعيماً وهناء وصفاء

وفي غمرة الحرب عكف الأجلّ على القراءة بجلد عجيب ، وكان لا يبرح بيته أياماً وليالي مكرهاً . ومن آثاره قصيدة قبّح فيها سيرة الترك الجائرة مطلعها :

لئن ساس أبناء المغول قبيلةً نأى الخير عنها والبلاء أقاما

وقبيل نهاية الحرب انضمّ الى أساتذة الكلية الصلاحية التي أنشأها جمال باشا في بيت المقدس بادارة المرحوم رستم بك حيدر ، وألقى أولى محاضراته بعنوان (كلمة في سير العلم وسيرتنا معه) حثّ فيها على طلب العلم في الغرب . وفي هذه المحاضرة نضج أسلوب الأجل ونضج . ومن قرأها ووازنها بسائر آثاره بعدُ رأى وحدة الأسلوب ووحدة الفكر والرسالة .

وبعد الحرب الكبرى — الأولى — انصرف الأجلّ الى التعليم ونشر رسالته في حب العرب والعربية بصوت عربيّ فصيح وجرأة كانت على خصوم العربية كحدّ السكين . وانتقل من التعليم الى التفتيش الى أن أضحى مفتشاً للغة العربية حتى سنة ١٩٢٩ . ومن آثاره في هذه المرحلة (مجموعة النشاشيبي) و (البستان) وفيهما يتجلّى ذوقه الرفيع وتوجيهه القوميّ . و (قلب عربيّ وعقل أوربيّ) ، وهي محاضرة ألقاها في جامعة بيروت الأمريكية سنة ١٩٢٤ ينبئ اسمها عن موضوعها ، و (كلمة في اللغة العربية) وهي دفاع عن العربية لا يدانيه دفاع في الأدب العربي الحديث ، مما أذاع صيته في البلاد العربية عامة والقطر المصري خاصة ، إذ جهر به في جمعية الرابطة الشرقية في القاهرة سنة ١٩٢٤ ، فتهافت الأدباء على لقائه وتعظيمه . ورسالة عنوانها (العربية وشاعرها الأكبر احمد شوقي) وهي خطبة في المهرجان الشوقيّ ، و (العربية والأستاذ الريحاني) .

وبعد ترك إدارة المعارف انقطع الأجل الى القراءة والكتابة والرحلات في مصر والشام . وصدرت عنه رسائل قصيرة في أصلها خطب اقتضتها المناسبات ، (كمقام ابراهيم) و (بيروت والغلاييني) ، ومقالات في موضوعات متنوعة يذيلها حيناً باسمه وأحياناً بأسماء مستعارة . ومن ذلك سلسلة في الردّ على المبشرين ، ونقل الأديب ، خصّ بها مجلة الرسالة الغراء . على أن أعظم أثر تركه في هذه المرحلة هو كتاب (الاسلام الصحيح) . وهو ـ في رأيه ـ أعظم أثر في جهاده الطويل . وكان يقول مداعباً : سيذهب كلّ أثر في هذا الوجود إلاّ الإسلام الصحيح . وقد قرأ في سبيله نحو تسعمائة كتاب في مباحث متشعبة عويصة . وكل من عرف الأجلّ كان يعجب لكتابه هذا . ولكنه في الواقع كتاب في صلب موضوعه ، إذ هو قائم على غربلة النصوص ونقدها وتحقيقها . وقد رأينا كيف بدأ تأليفه بقراء اربعمائة كتاب لشرح أمثال أبي تمام . أما موضوع الكتاب فثورة منبعثة من أعماق روحه ، يسندها علم واسع وتفكير أصيل .

وحين توفي شوقي بكاه الأجل بكلمة بلغ أسلوبه فيها الذروة ، وجاء معه النثر الموزون والشعر المنثور بلا تكلف . وكانت آلامه النفسية في هذه الفترة تملي عليه كلاماً أشبه بالنواح منه بالكلام المألوف ، كما ترى في كلمته (بيروت والغلاييني) و (البطل الخالد صلاح الدين) والقسم الأخير من (الشاعر الأكبر أحمد شوقي) . وخير ما يعبر عن هذه الحالة بيته الذي ارتجله في جلسة مع أمير الشعراء :

لا تلمني بانحراف كان غيري يتكلم

وظل الأجلّ في هذه الفترة يقرأ ويكتب ليلاً ونهاراً . يختفي حيناً ويظهر حيناً آخر ، حتى كان أصدقاؤه لا يعرفون أعائد هو من سفر أم معتكف في البيت .

وترك آثاراً مخطوطة حمل منها ثلاثة الى القاهرة في رحلته الأخيرة ليطبعها . وهي (نقل الأديب) و (أمالي النشاشيبي) و (التفاؤل عند أبي العلاء) . أما

سائر آثاره التي لم تر فهي كتاب الأمة العربية ، وحماسة النشاشيبي وجنة عدن . ولم ينظم الشعر بعد الحرب الكبرى ، ولم يشأ أن يشيع شعره الذي نظمه قبلها على كثرته . لقد أراد أن يكون أديباً من الطراز الأول ، ولم يحلّه شعره هذه المرتبة فزهد فيه غير آسف . وحقق له النثر ما أراد فأجمع الناس على وصفه « بأديب العربية » .

كان الأجلّ أديباً فذاً لا نظير له بين أدباء عصره . وفي رأيي أنه جاهد ليبدع في النثر إبداع صاحبه أبي تمام في الشعر ، فغاص في كثير من أقواله غوصه ، وتأنّق تأنقه ، وحلّى تحليته ، ورمى بتلك القرون الطوال وراء ظهره ليظهر في ثوب القرن الثاني الهجري . ومهما قيل في أدبه فإنه عاد بالإسلام الى القرن الثاني بل الى القرن الأول ، وكان ما أراد دون أن يقصد ما كان . فقد بدأ شاعراً وأديباً منشئاً وناقداً وراوية وانتهى فقيهاً مجتهداً قوي الحجة ناصع البيان . ولكنه من فقهاء المسلمين في صدر الإسلام يتخذون اللغة وسيلة للتفقه في الدين وفهم أسرار القرآن الكريم . على أن شيئاً في الأجلّ لم يتغير ولم يتبدل ، هو حبه للغته حباً منقطع النظير ، وغيرته على وطنه العربيّ الكبير غيرة عديمة المثيل ، في بيئة لا يثبت فيها على حبه هذا إلا من راض نفسه على عذاب كعذاب السعير .

وسافر الأجلّ الى القاهرة شتاء هذا العام ليشرف على طبع مخطوطاته الثلاثة وليتطبب ، وظلّ مع سمّاره يشنّف آذانهم بأدبه العذب ونوادره المطربة الى أن عاجلته المنية فجأة في الساعات الأولى من صباح الخميس الواقع في ٢٢ كانون الثاني . وهكذا انطفأت شعلة كان لها سنى البرق وأريج المسك .

(القدس) اسحق موسى الحسيني

عجائب اللهجات (١)

كان اختلاط العرب في الجاهلية بالأمم المجاورة لجزيرتهم قليلاً اذا قيس باختلاطهم بهم في الاسلام، وفيه فتحت عليهم الأقطار وشاهدوا فيها ما لم يعرفوه من أسباب الغنى والترف وهذا يستلزم للتعبير عنه الفاظاً جديدة ما كان لهم ولا لأجدادهم عهد بمثلها . وإذ كانوا في هذا الدور مأخوذين بدهشة الفتوح لم ينظروا ان كانت تلك الألفاظ عربية صرفاً أو جاءت من احدى اللغات السريانية والنبطية والقبطية والحبشية والسندية والبربرية والفارسية . وربما ظنها بعضهم من لهجة عربية غير لغة قريش وليس لهم مانع من قبولها ما دام الاسلام وحد اللهجات العربية وبلغة قريش أفصح اللهجات نزل القرآن .

وما لبث الداخلون في الاسلام ان أدخلوا ما كان متأصلاً في ألسنتهم من الكلمات فأصبح لكل صقع لهجة اتسعت مع الزمن أي كان لكل قطر بل لكل اقليم لهجة على حيالها ومعظم المولد لا يمت الى الفصحى بسبب والغالب ان الألفاظ الأعجمية التي صاغوها على أساليبهم تكاد تزيد عن الألفاظ التي ابقوها بحالها . وبديهي ان يكون لكل صقع نغمته واصطلاحه وألفاظه واللهجات ابنة السموت والميول على الأغلب وما تحسه من النغمة العذبة في اللهجة المصرية اليوم لا تذوقه في لهجات جبال الشام . نعم ما تشدد العرب او خاصتهم في قبول بعض الألفاظ الأعجمية بادئ بدء تشددهم في اللحن والزراية على من يرتكبه لان الجمهور لا ينتظر في شؤونه اليومية الحافزة صدور ارادة الخاصة في اختيار اللفظ الفلاني دون غيره بل يسارع الى تلقف ما يعرض له بادئ الرأي مؤثراً الطريقة العملية السهلة ويتشرب الألفاظ التي تكاد تكون مرتجلة ترسخ فيه بكثرة التكرار ويغدو من المتعذر نزعها والاستعاضة عنها بمصطلح آخر أتى

(١) كلمة السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي يوم افتتاح الدورة الرابعة عشرة لمجمع فؤاد الأول للغة العربية في غرة ربيع الأول سنة ١٣٦٧ هـ و ١٢ من كانون الثاني ١٩٤٨

على أصول الوضع الصحيح . تساهل أرباب اللغة بادخال بعض المفردات طوعاً أو كرهاً كأنهم رأوا ان لا مندوحة لهم عنها وان خرجت أحياناً عن صيغة لغتهم . ثم تطورت اللهجات بتطور الزمن ، وللزمان سلطانه يثبت ويبني على ما يشاء ، والتحول يجري على مقياس واسع في الشارع وعلى مقياس ضيق في أندية الخاصة وقصور الملوك والأمراء ومعسكرات الجيوش .

أخذت العرب من الأعاجم مئات الألفاظ مما له علاقة بالحياة اليومية أو المصطلحات العلمية ، وكان لكل دولة تولت امر هذه الأمة ان اورثتها الفاظاً منها ما دخل في المعاجم ومنها ما مات بموت الدولة التي وضع في عصرها وسعت الى بثه في الناس ، او سقط من الاستعمال لعدم الحاجة اليه .

فكانت الألفاظ الأعجمية من عهد الأمويين اقل مما جاء مع العباسيين لقرب عهد بني امية بالعربية الفصحى وأخذ بنو العباس من الدخيل بالكبير والصغير أعداهم الفرس للجوار وللاختلاط الوشيج بالشعوب غير العربية حتى خيف على اللغة ان يصبح جزء عظيم منها من غير الأصول العربية . ثم قامت دول الطوائف فكانت الألفاظ الحديثة في مصطلحات الدولة على الأكثر تركية وفارسية ومغولية . وهكذا كان شأن دولتي نور الدين وصلاح الدين ودولتي المماليك البرجية والبحرية ثم دولة العثمانيين . وما يقال في هذه الدول والألفاظ الطارئة عليها يقال في دول صقلية والأندلس والغرب الأقصى والأوسط والأدنى . ولعل الدخيل كان نادراً في أرض الأندلس . وقد توخى الأمويون واضعو اساس دولتها التوحيد في كل شيء حتى ان الرحالة ابن جبير لما رأى كثرة الفرق والمذاهب في هذا الشرق القريب في القرن السادس قال : لا اسلام الا ببلاد الغرب لأنهم على جادة واضحة لا بنيّات لها وما سوى ذلك مما بهذه الجهات الشرقية فأهواء وبدع وفرق ضالة وشيَع ، الا من عصم الله من أهلها . وكان في تفنن الأندلسيين بتعريب اسماء بلاد الأندلس مثالٌ ظاهرٌ من العناية بصيانة اللغة

مما يعبث بها وكانت اللهجة الأندلسية من أجل اللهجات نقلها أهلها بعد الجلاء الى البلاد التي نزلوها : مراكش والجزائر وتونس ومصر والشام ولعلها كانت لقربها من الفصحى اشبه بلهجات اليمن والحجاز . والأندلس استعملت الفاظاً فصيحة ما استعملها العراق ومصر والشام فكان الأندلسيون مثلاً يقولون « القابض » لمن نطلق عليه الجابي او المحصل ويطلقون « المتقبل » لمن نقول له الملتزم او الضامن ويقولون « اهل الأموال » لأرباب الأملاك او الملاك ، ويطلقون « الطومار » على البطاقة .

وهكذا أبقى كل قرن في تضاعيف هذا اللسان قدراً من الألفاظ الدخيلة ولوّن كل لهجة بلون بعض اللهجات المجاورة وغيرها ، ولكل جيل ولكل اقليم لهجة تختلف واحدتها عن الأخرى . وكان العارفون باللغة في كل زمن يردون ما دخل على الفصحى من المولد واذا غلبتهم قوة الدخيل يتساهلون بقبوله ومن جهة اخرى يكتبون الرسائل والكتب في تزييفه . وحاول الغُير على اللغة في كل قرن من قرون الاسلام ان يحيوا الفصحى ويبقوا عليها في الخطاب كما حفظت في الكتاب فكان الجهلة يهزأون بهم ويتغامزون منكرين صنيعهم وأقل ما يقولون في المتكلم بالفصيح ان ينبزوه بأنه يتكلم بالنحوي .

وبعد ان كان مثل الحجاج بن يوسف يحتال على بعض من خرج عليه فيفسد لغته أصبح الخاصة والعامة في القرون التالية يتفاهمون بلغة العوام ولهجتهم بدون نكير ، وسواد العامة اكثر من سواد الخاصة في كل عصر ومصر . وبعد ان كان ينظر الى من فسدت لغته كما ينظر الى من أصيب بمروءته وشرفه أضبح هذا مما لا يؤبه له كثيراً وبعد ان كان الحجاج نفسه ينفي مَن بلده أحد الفصحاء لأنه صارحه بأنه يلحن ، ونفاه لئلا يسري في الملإ رأيه فيسقط من الأنظار .

وقد عرف الحجاج ان رسول الله سمع رجلاً يلحن في كلامه فقال « أرشدوا أخاكم فإنه ضل » وان عمر كتب له احد عماله كتاباً لحن فيه فكتب

اليه تنيم كاتبك سوطاً ، وكان عبد الملك يقول: اللحن في الكلام اقبح من الجُدَري .

عربوا اسماء العلوم في القرن الماضي فكانوا يحرصون على التعبير عن المعنى بأي لفظ عرض لهم ، يهمهم التعبير عن المسمى لا الفصاحة ، ولعل أجدادهم كانوا في مثل هذه الحال يوم نقلوا عن الفرس اسماء الأطعمة فلم يكن لهم متسع من الوقت ليضعوا لها اسماء عربية واغتبطوا ان اهتدوا الى تحضير تلك المآكل اللذيذة فقالوا الفالوذج واللوزينج والجوزنيق واللوزنيق وما بالوا بثقلها وعجمتها . وكان في مكنتهم ان يقولوا اللوزية والجوزية الخ . ولكن كان همهم ان يصيبوا أولاً من هذه الحلواء الشهية . ولو كان واضعو الألفاظ العلمية في بدء النهضة العربية الأخيرة على جانب من معرفة اللغة الفصحى لأطلقوا بادئ بدء الفاظاً فصيحة على المسميات وحالوا دون عناء المجامع اللغوية الحديثة بعض الشيء .

ولعل من اضطروا الى وضع الفاظ عربية مولدة عمدوا الى استعمالها في الأحايين ليؤثر الكلام في العربي القح والعربي الدخيل على السواء ما دام المقصود من الكلام افهام الخواص والعوام ولا نقول ان اللغة كانت تخون الفصحاء فلم يوفقوا الى ايجاد ألفاظ عربية خالصة تقوم مقام الألفاظ الأعجمية بل نقول انهم غلبهم حب السرعة على جميع الاعتبارات وأتوا بما حضرهم واكتفوا بما كان في متناولهم وهم الى ذلك كانوا يعلمون أن مئات من الالفاظ المولدة لا تضر بلغة تحوي مئات الالوف من المفردات الفصيحة ويزيد التسامح في قبول الغريب المولد اذا صيغت اللفظة صياغة عربية لا ينبو عنها ذوق أبناء هذه اللغة .

كتب معاوية رضي الله عنه ايام فتنة صفّين الى قيصر الروم لما بلغه انه ينوي غزو الشام : لئن اتممت على ما بلغني من عزمك لأصالحن صاحبي ولأكونن مقدمته اليك ولأجعلن القسطنطينية البَخْراء حممة سوداء ولانتزعنك من الملك انتزاع الاصطفلينة ولأردنك أريساً من الأرارسة ترعى الدوبل . وفي هذا

الكتاب الموجز على ما نفهم نحن اليوم ثلاثة الفاظ لا نسمعها وهي الدوبل ومعناه الخنزير والاريس وهو الفلاّح والأكّار من أرس فلح والاصطفلينة وهي لغة شامية قديمة لا تستعمل اليوم ومعناها الجزرة التي تؤكل . آثر الخليفة استعمالها على الخروج عن مألوف الأرض التي صدر منها الكتاب .

وكذلك كان من الحجاج بن يوسف لما استحث احد عماله على المسارعة باداء الخراج فقال له من كتاب : فايم الله لتبعثن اليّ بخراج اصفهان كلها او لأجعلنك طوابيق على باب مدينتها والطابق بكسر الباء وفتحها الآجر الكبير فارسي معرب وكذلك الآجر . خاطبه بما شاع ولو قال له لأجعلنك لبنة لما كان لها تلك الرنة ولو كان الكاتب في مصر لاستعاض عن آجر وطابق بلبنة او طوبة .

ومن اللهجات ما راج في قرن وكسد في آخر كانوا يقولون في القديم فندق ، خان ، فأنشأوا يقولون في الزمن الحديث لوكندة هوتيل او اوتيل . وقالوا بيمارستان او مارستان او دار المرضى فشاعت على الألسن اليوم هوسبتاليا او اسبتاليا وقالوا صيدناني وصيدلاني وصيدلي وفرمشاني واجزاجي لصاحب هذه العقاقير والمركبات والمعاجين كما اصطلحوا في كل قطر على اطلاق اسم يغاير ما اصطلح عليه القطر الآخر فللإبانة عن لفظة المشاهرة قالوا الجامكية والمعاش والمعلوم والمقرر والراتب والمرتب وقديماً كانوا يقولون الادرارات والأعطيات . ويقولون في مصر اليوم الجوراب للجوربين وفي لبنان الكلسات وفي مصر كوانتي وفي الشام كفوف اما من يقولون قفاز ج قفافيز فهؤلاء من الذين أنعم الله عليهم وحفظوا من متن الفصحى عشرة آلاف كلمة على الأقل حتى وصلوا الى قفاز . وفي الشام يقولون شلح اواعيه وفي لبنان قلع ثيابه وفي مصر قلع هدومه وتقول الأم لابنتها روحي اتبدلي اي غيري ثيابك .

وقد يعمدون الى استعمال ما كان له اصل في اللغة كالخناشير والطراطير والخنشور الذي لا يعجبك يقابله بالشامية الشرشوح ، سمعت سيدة مصرية تقول

« كلهم خناشير يحزنوا القلب » والطرطور الضعيف الذي لا عمل له وهكذا في المصرية متعنطز متحنشص متنرفز الى مئات غيرها ومنها ماله أصل عربي مثل اطلاقهم لفظ نغنوعة على السيدة ذات الدل والخفر وهي السيدة السمينة جاءت من لغلغ الطعام والفطير زاد في سمنه من لغلغ الطعام ادمه بالسمن والودك · وفي مصر يقولون بص اي انظر وفي لبنان اقشع وفي الشام شوف ·

وقد يختلف كل قطر عن جاره في مدلول اللفظ الواحد وفي صيغة الجموع وغيرها ففي مصر يقولون طقطوقة لذلك الوعاء الصغير الذي يطرحون فيه رماد اللفائف وأعقابها ويطلقون الطقطوقة على الأغنية البلدية والقرينة هي التي تفرق بينهما كما هو الحال في كثير من الألفاظ ولو قلت الطقطوقة لذاك الاناء لضحك الشامي ونظر باهتاً فلا يعرفها تطلق الا على الأغنية وفي الشام يجمعون سيكارة على سيكارات وفي لبنان على سواكير وفي مصر على سكاير ويقولون في الشام وفي مصر طنش بالشين غض الطرف وما بالى وفي مصر لبش تحير وارتبك وفي الشام لبش جمع متاعه وارتحل وفي مصر مخنتف متزين لطيف ومعناها في الشام بخيل مقتصد ·

وكما اختلف مدلول بعض الألفاظ في الأقطار المجاورة تنوسي كثير من الفصيح جملة فكانوا يطلقون على الأرض الكثيرة الخضرة (اليخضور) وعلى الرجل الكثير الكلام (اليهمور) وعلى الرجل الأحمق (اليأنوف) وعلى المثقل بالدين (المفرّح) وعلى كثير الطرب (المطرابة) وعلى من يتكلف الألحان من غير صواب اللعاعة وعلى الخبيث الشرير العارم وكانوا يقولون اخذ ماله كَلاًّ واليوم يقولون كاملاً وفلان لا يؤاكل رغيباً ولا زهيداً والرغيب الكثير الأكل والزهيد القليل الأكل الى مئات غيرها مما لو عادت اليه الحياة وجرت به الألسن لحيي جانب عظيم من الفصح ومات جانب من المولد مع الزمن وضعفت اللهجات وقويت الفصحى او جانب عظيم منها ·

من الصعب تعيين زمان دخول كل لفظة بعينها لأن اللهجات لا ضابط لها ولا هي مدونة بأسرها فمن الواجب وضع معجمات لها كما نراهم في الغرب وضعوا معاجم للألفاظ العامية وأخرى للألفاظ المحرفة ومعاجم للغة أرباب الدعارة واللصوص يعبرون عنها بالفرنسية بكلمات Jargon, Baragouin, Patois, Argot

وفي بعض كتب الجاحظ الفاظ كثيرة من هذا القبيل لا تعترف بها الفصحى وكان تدوين ابي عثمان لها من مزايا لغتنا واتساع صدرها لكل جديد ما سبقت لها معرفته والحمد لله على ان المجمعيين لم يعترضوا على بعض ما وضع مثل ثلاثة الفاظ افرنجية وهي فيلم وترام وسينما فأقروها راضين ومثل مخيم ومصح ومعزل وهي مشتقة من اصل عربي وربما تفننوا واطلقوا أكثر من اسم على مسمى واحد كما وقع للمقدسي البشاري صاحب كتاب احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم مع أمتع كتب الجغرافية عند العرب فقد اسماه الناس خلال رحلته بستة وثلاثين اسماً دعي بها المسكين وخوطب فأطلقوا عليه المقدسي والفلسطيني والمصري والمغربي والخراساني والسلمي والمقرئ والفقيه والصوفي والولي والعابد والزاهد والسياح والوراق والمجلد والتاجر والمذكر والامام والمؤذن والخطيب والغريب والعراقي والبغدادي والشامي والحنفي والمؤدب والبكري والمتفقه والمعلم والفرائضي والأستاذ والدانشمند والشيخ والنشاسته والراكب والرسول ٠

لما ورد مصر ابن جرير الطبري صاحب التاريخ في سنة ٢٥٦ قادماً من العراق نزل على الربيع بن سليمان فأمر من يأخذ له داراً قريبة منه قال وجاءني اصحابه فقالوا : تحتاج الى قصرية وزير وحمارين وسدة فقلت أما القصرية فأنا لا ولد لي وما حللت سراويلي على حرام ولا على حلال قط (يا خسارة) واما الزير فمن الملاهي وليس هذا من شأني واما الحماران فان ابي وهب لي بضاعة أنا استعين بها في طلب العلم فان صرفتها في ثمن حمارين فبأي شيء أطلب ٠ قال : فتبسموا فقلت الى كم يحتاج هذا ؟ فقالوا يحتاج الى درهمين وثلثين فأخذوا ذلك مني

وعلمت انها اشياء متفقة . وجاءوني باجانة وجب للماء واربع خشبات قد شدوا وسطها بشريط وقالوا الزير للماء والقصرية للخبز والحماران والسدة تنام عليها من البراغيث فنفعني ذلك وكثرت البراغيث فكنت اذا جئت نزعت ثيابي وعلقتها على حبل قد شددته واتزرت وصعدت الى السدة ا ه والحماران هنا نطلق عليهما في الشام الجحشان كانا عندنا صغيرين فكبرا وترعرعا هنا على ما يظهر .

يقول أناطول فرانس الألفاظ هي الأفكار واعتقد ان الشعب الأول في العالم هو الذي كان كتاب قواعده اجود من كتاب غيره وقد يهلك الناس بعضهم بعضاً بالفاظ لا يفهمونها فاذا تفاهموا يتعانقون ويتعاطفون .

محمد كرد علي



(مجامعنا اللغوية وأوضاعها [1])

مهما تنوعت الغايات . وتعددت الأهداف في سبيل إنشاء المجامع اللغوية واجتناء ثمراتها فلن يعدو أن يكون الهدفُ الأصلي التوصلَ بها الى سلامة لغة البلاد التي أنشئ المجمع في ربوعها .

وسلامةُ كلّ لغةٍ تكون بتوفر أمرين :

(الأمر الأول) المحافظة على ارثها المميز لها عن غيرها : كنوع تأليف الكلام ، وطرائق ايراده ، وخصوصيات أساليبه ، وروعة بيانه ، مع غرابة ايجازه .

و (الأمر الثاني) لسلامة اللغة زحزحتها عن الجمود ، والأخذُ بها نحو التطور [2] مع تطور أهلها المتكلمين بها : فيجدون فيها المرونة المواتية لهم في التعبير عن أفكارهم ، ومستحدثات حضارتهم ، وبدائع تطورهم .

ويجب التوفيق بين هذين الأمرين جهدَ الطاقة : فلا ندعُ الاستمساك باهداب

---

(١) كلمة الشيخ عبد القادر المغربي نائب رئيس المجمع العلمي العربي التي ألقاها في حفلة افتتاح مؤتمر المجمع اللغوي المصري لعام سنة ١٩٤٨ م

(٢) قال ابن خلدون : (وتطوّروا بطوْر الحضارة والترف الخ) فهو استعمال جائز .

لغتنا الموروثة يقف في سبيل تطورها . ولا نساير التطور . وتدخل اللهجات العامية الى حد أن يطغيا على لغتنا الفصحى، ويعملا على تحطيمها، فتموت وتميتنا معها .

* * *

أدرك هذا عصبة من كبار أدباء مصر ومترجميها منذ أواسط القرن الماضي . وقد لمسوا الخطر في تغلب التطور على اللغة الفصحى ، وخشوا أن يزعزع هذا التطور أركانها . ويسلبها بيانها . ولا سيما بعد ان غزتنا الأمم الأوربية بلغاتها . وارتضخنا من كلماتها ولهجاتها . فلجأوا الى التفكير في الوسائل المؤدية الى وقاية اللغة من هذا الخطر . ودفع شره . وأبرزُ تلك الوسائل التي فكروا فيها . وأبينُها أثراً في سلامة اللغة تأليف مجمع لغوي على شكل المجامع التي يُطلَق عليها اسم (أكاديمي) ، فقد لاحظوا من أمر تلك المجامع ، وما كان لها من السلطان في انتشار لغات أهلها ، ما جعلهم يعتقدون أن تأسيس مجمع على نمطها يصون لغتهم . ويكون له من الثمر الطيب ما كان لتلك المجامع :

فكان لهم في أول الأمر . وفي محاولاتهم الأولى مجمعان وملحق بالمجمعين . وقد أنتجت هذه المجامع نتاجاً . لكنه كان خُداجاً : غيرَ كامل التكوين : فهو لم يكد يولد حتى مات . ولم تكد تتلمظ الشفاه باسمه حتى أعقبه الصُمات .

* * *

فالمجمع الأول أنشئ في سنة ١٨٩٢م وهو المجمع الذي ينسب الى السيد توفيق البكري : إذ كان رئيساً له أو مقرراً كما نقول اليوم .

فوَضعَ هذا المجمعُ طائفةً من الألفاظ العربية رأى أنها أجدر بالاستعمال مما يعناها من الألفاظ الدخيلة ، غير أن هذه الألفاظَ التي وضعها لم يعش منها الا بعضها ، وهذا البعض نازعته الحياة كلماتٌ عربية أخرى هُدي اليها الكتاب بسائق من سلائقهم ، وكانت كلمة (أفوكاتو) أكثرَ هذه الكلمات الإعجمية شيوعاً : فرأى المجمعَ البكري ان يستبدل بها كلمة (مِدره) والمدره هو زعيم

القوم المتكلم باسمهم ، والمنافع عن حقوقهم . غير ان (المدره) ماتت وأماتت معها (الأڤوكاتو) وعاشت بعدهما كلمة (المحامي) التي لم تخطر على بال ذلك المجمع . ومثل كلمتي (اڤوكاتو) و (مدره) اللتين قتلت احداهما صاحبتها ثم قُتلت بعدها كلمة (مرحى) مكان (براڤو) فان الكلمتين ماتتا وخلفها (بخٍ بخٍ) . ولم تقويا هاتان على الحياة أيضاً . وخلف الجميعَ التصفيقُ بالأيدي وقولُ (الله اكبر) في بعض المواطن . وكذلك (نمرة) بالهاء في آخرها مكان (نومرو) (numéro) الأعجمية ماتتا وخلفها كلمتا (رقم وعدد) على ان كلمة (نمرة) بالهاء ما زال فيها رمق حياة يتردد الى اليوم .

ووضع المجمع المذكور (عم صباحاً وعم مساء) مكان قولهم (بونجور وبونسوار) لكنها (أي الجملتين العربية والافرنسية) ماتتا ورجع الناس الى ما ألفوه من كلمات التحية المتبادلة بينهم عند اللقاء .

ووضع المجمع المذكور (الوشاح) مكان (الكوردون) ولا أعلم ما شأنهما في مصر ؟ أميتتان هما ام حيتان ؟ و (المَرْبَ) مكان (الكلوب) ماتتا واستُغني عنهما بالنادي . واحسب ان في (الكلوب) رمقاً من حياة . و (مشجب) مكان (بورت مانتو) ماتتا وخلفهما قول العامة (تعليقة) و (شمّاعة) في بعض البلاد

وهناك كلمات عربية وضعها المجمع البكري لحييتْ وبقي مقابلُها الأعجمي حيّاً معها : مثل (بطاقة) مكان (كارت ڤيزيت) و (شرطي) مكان (بوليس) و (بهو) مكان (صالون) و (معطف) مكان (بالطو) و (قفّاز) مكان (جوانتي) . هذه الكلمات العربيات الخمس من أوضاع المجمع المذكور ، عاشت في الاستعمال من دون أن تقدر على إماتة الأعجميات ، ولم تقدر الأعجميات على إماتتها ، فعشن جميعاً بسلام ووئام .

أما الأعجميات اللواتي قدرن على إماتة مقابلاتها من أوضاع ذلك المجمع فهي : (الموضة) أماتت (الجَديلة) ومعنى الجديلة الشاكلة والطريقة : (كلٌّ يعمل على

شاكلته) وكذا كلمات « شهادة الدراسة » كالبكالوريا فانها أماتت (الحذاقة) و (البالكون) أماتت (الطنف) .

هذه هي كل الكلمات أو جلها التي اراد مجمع البكري إحياءها ، لكنه لم يتخذ الوسائل الكافلة بحياتها وترويج استعمالها بين الجمهور . فماتت أو أوشكت

* * *

ثم أسدل الستار على مجمع سنة ١٨٩٢ م حتى كانت سنة ١٩١٧ م اي بعد خمس وعشرين سنة من المجمع الأول ، فتجددت الرغبة ، واشتدت الحاجة ، الى مجمع لغوي يحمي اللغة ، ويكفل سلامتها ، فأُلف في تلك السنة مجمع اشتهر بنسبته الى لطفي السيد (معالي احمد لطفي باشا رئيس مجمع فؤاد الأول اليوم) فقد كان مقرّراً له . أما رئيسه فكان الشيخ سليم البشري . ومن اعضائه الأحياء اليوم محمد حلمي عيسى باشا وفارس نمر باشا . وارسل اللغوي الكبير الشيخ حمزة فتح الله برسالة الى رئاسة المجمع قال فيها (اعتذر من الانخراط في سلك مجمعكم بسبب قديح نزل ضيفاً ثقيلاً على عيني) والقديح ايها السادة لفظة عربيه فصيحة وضعها الشيخ الوفور مكان (الكاتراكتا) الأعجمية ، وهي العلة التي تسميها العامة (الميّة الزرقا) .

فكان من أوضاع مجمع لطفي السيد طائفةٌ من الألفاظ اللغوية معظمها شديد الغرابة ، فلم تحي ولم تطل حياة المجمع بعدها .

فمن تلك الألفاظ (الوَنّ) مكان (الساجات) او (الصاجات) وهي الصنوج . ومنها (الوَثَل) الحبل الغليظ من الليف مكان (السَلَب) و (المرمول) مكان (الشوشة) وهي شعر أعلى الرأس . والبطيخ (المُعَزقِل) والبيض (المُعَزقِل) مكان ما يقوله العامة للدلالة على فسادهما . و (الماصر) مكان (الجمرك) و (البَيْزارة) مكان (النبّوت) و (الكليل) مكان الفول (المدمّس) الى غير ذلك مما حامت حوله الشكوك ، وتولّته الألسنة بالنقد ، قال الناقدون : جعل المجمعُ (الوَثَل)

مكان (السَلب) مع ان السلب من فصيح اللغة كالوثل . (والونّ) اي الصنج مكان (الساجات) في لغة العامة مع ان (الونّ) دخيل ليس بعربي و (الصنج) اجدر منه بالاستعمال . و (البَيْزارة) مكان النبوت مع ان النبّوت في اللغة معناه الفرع من الشجرة ، ومنه تخذ النبابيت في العادة . و (المليل) مكان (المدمّس) مع ان المدمّس ليست قبطية كما زعموا وانما هي عربية : من فعل دمّسه اذا دفنه ، وكذلك الحال في جرار الفول المدمس .

ومهما يكن من امر فان الفاظ مجمع (١٩١٧ م) والفاظ المجمع السابق لم تكتب لها الحياة لأسباب منها ما يرجع الى طبيعة اللفظ . ومنها ما يرجع الى التغافل عن الطرق المؤدية الى استعمال تلك الألفاظ واستمالة انظار الجمهور اليها .

* * *

هذان هما المجمعان ، أما الملحق بهما فهو ما كان مني ومن المرحوم احمد تيمور باشا : تحادثنا يوماً في موضوع إحياء الألفاظ الفصيحة ، وإدالتها من الألفاظ العامية والدخيلة ، وتواصفنا مبلغ الخطر على لغة القرآن من جرائها . وقلنا ان فئة أهل الأدب التي تعمل على إحياء الفصيح انما تنتقي الألفاظ الفصيحة ، وتعرضها على الجمهور عرْضاً : لا فرق بين عرضها على طريقتهم وبين عرضها مسرودةً في معاجم اللغة : اي انها ما كانت تتوسل بوسيلةٍ ما إلى ترديدها في لغة الصحافة والخطابة والكتابة والدواوين . واتفقنا على انه لا بد من استعمالها وتداولها على الألسنة وأسنة الأقلام ، حتى تحيى وتؤتي أُكُلها .

وهذا ما جعله رحمه الله ينتقي عشرين كلمة من فصيح اللغة وينشرها في المؤيد (سنة ١٩٠٨ م) وينصح باستعمالها : فمن تلك الكلمات كلمة (الوهنين) عوض ناظر العمارة و (الجوسق) عوض (الكشك) و (اللفام) مكان (اليشمق) و (السَكْبة) للطاقية و (الفرّوج) للقفطان . و (السواد) للباس التشريفة أو اللباس الرسمي ،

و(الصبير) للسردين و(البرندج) لبوية الجزم، و(طاقة) الورد مكان (صحبة الورد)، و(المعبر) مكان المعدية الخ .

وأشار علي رحمه الله أن أكتب مقالاً في المؤيد بعنوان (تمرين على الكلمات المشرين) فكتبته وجعلته بشكل كتاب الى صديق، وصفت له فيه شيئاً من أحوال الناس في القاهرة لذاك العهد . واستعملت فيه تلك الكلمات المشرين وها كم أيها السادة فقرات من ذلك الكتاب :

« كيفما تجولت في انحاء القاهرة رأيت عمارة تشيد وبجانبها جوسق يقيم فيه الوهين للإشراف على ذلك البناء . والنساء يستعملن البرقع اللهم الا نساء الخاصة فيستعملن اللفام . والعامة يضعون على رؤوسهم السكبة، والطبقة التي هي فوق العامة يلبسون الفرنج ويسمونه القفطان . والموظفون يلبسون السواد في التشريفات الخ .

ولكن هل (أفاد التمرين على الكلمات العشرين) شيئاً ؟ لا لعمري ! ولماذا ؟ لأنه لم يشاركني احد من الكتاب ولا الصحفيين في استعمال تلك الألفاظ والاحتيال لها، فلم يعش منها شيء . لكن قال لي بعضهم ان كلمة النقل إحدى الكلمات العشرين التي وضعت مكان كلمة (المازة) — مستعملة اليوم بين أدباء أهل الكيف .

* * *

هذه هي المجامع الأولى أو المحاولات الأولى في وضع الفصيح واحيائه . وقد أشبهت كلمات تلك المحاولات أطفالاً ولدوا لغير تمام . أو في بيئة وخمة . فلم يوافقهم هواؤها ولا ماؤها . فجعلوا يموتون الواحد بعد الآخر، ولم يفلت منهم سوى بضعة أطفال بقوا احياء لخاصة في اجسامهم لا في بيئاتهم .

وربما كان معظم السبب في عدم نجح المجامع الأولى أنها قامت بنفسها من دون أن تعضدها الحكومات حتى اذا عضدتها . وأمدتها بالمال والنظم والقوانين .

ومهّدت بين يديها اسباب الحياة نهض الجمعان : المجمع العلمي العربي بدمشق سنة ١٩١٨ م ومجمع فؤاد الأول في مصر سنة ١٩٣٤ م وقضى مجمع دمشق زهاء ثلاثين سنة يعمل على سلامة اللغة العربية ووَضعَ طائفةً من المصطلحات حَيي بعضها ومات معظمها . وماليَ لا أقول ان معظم السبب في ذلك الموت انصراف المسؤولين عن الأوضاع الجديدة وعن الزام رجال معاهدهم ودواوينهم وسائر مصالحهم باستعمالها ، ولو فعلوا لحييت تلك الأوضاع . ولازداد نشاط المجمع في الجمع . والتتبّع والوضع . ولكان نصيب الجمهور من الغبطة به ما كان من نصيبي ونصيب صديق لي من موظفي الحكومة السورية :

كان هذا الموظفُ رئيسَ مهندسي وزارة النافعة أو الأشغال العامة كما تقول اليوم : قصدني يوماً وأعرب لي عن حاجته الملحّة الى ألفاظ عربية تقوم مقام الفاظ افرنسية يستعملها المهندسون والمقاولون في فتح الشوارع وتسويتها ورصفها . فأجبته الى طلبه . وشرعنا في العمل غير أني كنت أحياناً أُظهر اليأس من نجاح هذه المحاولة الجديدة في وضع الألفاظ المطلوبة ، وانها ستموت كما ماتت اخواتها ، فقال لا تيأس وسترى ما يكون مني ومنها ، حتى اذا وضعتُ الكلمات وراقتْ لدى المهندس تناولها وأدخلها في مخابراته الرسمية . ومعلملاته الورقية . والزم المطيفين به ، من كتاب ومهندسين وعمال باستعمالها . وهي اليوم تدور على أفواههم . وأسنة أقلامهم ، كما يحققنه منهم .

وهاكم ايها السادة أمثلةً من تلك الأوضاع الهندسية المذكورة :

صندوق الطريق وقالَب الطريق يريدون حفرته المستطيلة ، وبالافرنسية (Ouverture de la forme de la route) وضعتُ له كلمة (قرار الطريق) .

وهذا القرار يلقى فيه (الدبش) والدبش كلمة عامية وبالافرنسية (Blocage) وضعت لها كلمة (الرَّصَف) ، وما يدق به الرصف يسمّى (المرصافة) ، ثم يصب من فوق (الرَّصَف) الجحص ، والجحص كلمة عامية وهي بالافرنسية (Pierre cassé)

وقد وضعتُ لها كلمة (الحصَب) ، وبعد ذلك يدحلون الرَصَف والحصَب بالمِدحلة ، وهي كلمة عامية ، وبالافرنسية (cylindre) ويسمى العمل بها دحلاً (cylindrage) فوضعت مكان (الدَحْل) كلمة (الدَحْو) وآلته (مدحاة) وجمعها (مداحي) . وهكذا الى آخر الاصطلاحات الافرنسية التي اقترح المهندس استبدال غيرها بها .

* * *

ومحصّل ما انتهى اليه بحثي هذا أيها السادة أن الألفاظ الفصيحة التي حاول المحاولون الأولون إحياءها منذ أكثر من نصف قرن بلغت زهاء مئة لفظة : منها ما عاش بالأمل ، المجرد عن العمل ، وهو الأكثر ، فكأنه لم يعش ، ومنها ما عاش بالأمل ، المقرون بالعمل ، وهي الأوضاع القليلة التي أُدخلت في المعاملات وتناولها الجمهور بالاستعمال .

* * *

أما مجمعنا هذا ، أعني مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، فقد جرى الى أبعد شوط في وضع المصطلحات . وبذّ كل مجمع سواه في هذا المسعى الحميد . حتى أصبحت اوضاعه تعدّ بالألوف . وحتى نَثَر بذورها في مهبّ كل ريح . وفرّقها في كل ناحية من نواحي حياتنا العلمية والفنية والثقافية ، غير ان الجمهور المثقف ما زال يتساءل هنا وهناك . في مصر وخارجها ، عن مصير تلك الأوضاع والمصطلحات ، وعما اذا كانت بذورُها صادفت التربةَ الصالحة . ولَبِناتُها سدّت الثُلمة الواضحة ؟ وانها هل شقّت طريقها يا ترى الى قاعات الدروس ، ومجالات العمل ؟ أو انها ما زالت مشروعاً : يكتنفه السكوت وينتظره الأمل !! .

المغربي

ترتيب السعادات

من الكتب ما تكون طباعته عاملاً على انتشاره ، ومنها ما تكون طباعته سبباً لضياعه فلا هو من المخطوطات المحفوظة نسخه ، ولا من المطبوعات المعروضة للمطالعة والاستفادة منه . ومن هذه كتاب (ترتيب السعادات) الذي نقدم هذه المطالعة عنه .

ومؤلف هذا الكتاب — كما تقول عنه مقدمة الناشر — هو ابو علي احمد ابن محمد بن مسكويه صاحب كتاب « طهارة الاعراق » وقد طبع في طهران بتاريخ صفر ١٣١٤ على هامش كتاب « مكارم الأخلاق » للامام الحسن بن الفضل الطبري . ولم أطلع على طبعة ثانية لهذا الكتاب الذي نحن بصدد عرضه .

واول الكتاب بعد البسملة « الحمد لله الذي عمّ خلقه بنعمه ، وخص اولياءه بخصائص قيمه » وموضوع الكتاب البحث عن اصناف السعادة كما يقول المؤلف : « وانا مبتدئ بذلك بعون الله تعالى واذكر السعادة الموضوعة للانسان ما هي وكيف هي ؟ واما السعادة التي يشترك فيها الناس من حيث هم ناس . وما الذي يصير اليه منها المجتهدون منهم بضروب الاجتهادات ، وهل هي متفقة ام مختلفة ، وهل بعضها تحت بعض حتى يرتقي الى ما هو أسناها مرتبة . وان كانت مرتقية الى واحد فما هو ، وهل وراءه سعادة أخرى غير منتظرة للانسان ولا مطموع فيها ، ام تتناهى السعادات كلها حتى تقف عنده ؟ » .

ثم يبحث المؤلف عن الطريق الموصل الى السعادة وعن امكانه وهل يتفاوت الناس فيه قرباً وبعداً وما مقدار الزمن اللازم للوصول الى السعادة . ويضع توطئة لذلك مقدمة يشبه بها الصناعة بالطبيعة وان كل جزء من اجزاء العمل مهيأ لنوع عمل خاص له . وان للانسان كمالين قريب وبعيد وشبهه بالمطرقة فكمالها القريب /بسط الأجسام الصلبة وكمالها البعيد ان يتم بها صناعة الخاتم مثلاً . وكذلك المعدة فكمالها القريب ان تحوي الطعام وتمده للاغتذاء ، وكمالها

البعيد ان ترد الى الجسم العوض عما يتحلل منه ليتم له البقاء . اما الانسان فكماله القريب صدور الأفعال عنه عن روية وتمييز مرتبة حسب ما يوجبه العقل . وكماله البعيد الكمال الأقصى الذي ضمنه كتابه هذا عنه .

ثم قسم السعادة الى ما هو سعادة مجازاً ، وما هو مظنون سعادة . وما هو سعادة حقيقية . ثم ما هو عام للانسان وغيره وما هو خاص بالانسان مشترك بين كافة افراده ، او مختص بفرد دون غيره . وجعل من القسم العام « المأكل والمشرب وضروب الراحات التي ينال منها الانسان مثل ما يناله الحيوانات منها بل ان شهواتها في المطاعم والمشارب والازدواج اكثر دواماً من الانسان وهي أقوى عليها ، وجهال الناس اقوى في هذه الأسباب من فضلائهم » .

أما القسم الخاص بالانسان المشترك فيه كافة الأفراد (وهو ما ذكر من صدور الأفعال بروية ووفقاً لما يوجبه العقل) فهو موجود لكل انسان ينال منه بقدر رتبته من الانسانية وبدرجة شعوره بالقبح والحسن . وفيه يقال ان فلاناً أكثر انسانيةً من فلان . اما ما يختص به انسان دون آخر من أنواع السعادة فهو الاختصاص العلمي والفني الذي يختص به جماعة من الناس ويتفاوت فيه فرد عن آخر .

ثم ضرب المؤلف المثال لهذا القسم من السعادة بالفقر والغنى وقال « فان سعادة الموسر والفقير وان اختلفتا بحسب الأحوال فهما متفقتان في ترتيب الأفعال . وذلك ان سعادة الموسر تظهر في النفقة وتفريق المال في وجهه ، اعني ان يستعمله حيث يجب وكما يجب وعند من يجب . وسعادة الفقير تظهر في الصبر والتحمل كما ينبغي وعلى الحال التي ينبغي وعند من ينبغي . وكذلك سعادات اصحاب العلوم والصناعات فان سعادة الطبيب الماهر ليست سعادة الكاتب الحاذق ، وسعادة العالم بفنون كثيرة ليست سعادة العالم بفن واحد . اعني انهم وان رتبوا افعالهم فانها مختلفة بحسب موضوعاتهم التي ينظرون فيها » .

وبعد ذلك بيّن المؤلف أن السعادة الخاصة لا تحصل لصاحبها ما لم تحصل السعادة العامة فقال في ذلك «ثم ان لكل واحد من هؤلاء افعالاً تخصه من حيث هو صاحب علم ما او صناعة ما، وافعالا تعمه من حيث هو انسان . وليس تحصل له السعادة الخاصة به الا بعد ان تحصل له السعادة العامة له ولغيره» .

ثم ذكر السعادة القصوى وقال انها ليس منها شيء هو الكمال ولا الغاية . وقسمها الى نوعين : نوع موضوع عرضاً . ونوع موضوع عمقاً . ومثل الأول بالصناعات الموضوعة في بسيط واحد والتي تحصل بمبادئ مختلفة كالتجارة والصياغة . ومثل للثاني بالصناعة المتسلسلة كصناعة السروج فانها تحت صناعة الفروسية وهذه تحت صناعة الحرب ، وهي تحت صناعة الملك وهذه تحت الشرع الذي ينظم السنن ويحفظها لسوق الناس الى السعادة . وعرف السعيد بانه من يوجد ابداً نشيطاً فسيح الأمل قوي الرجاء ساكن الجأش غير مكترث لأمور الدنيا الا بمقدار يسير . وهو جذل مسرور بنفسه لا بغيرها .

وبين ان الطريق للسعادة الابتداء بالدرجة الأولى بان تكون افعالنا جميلة وعوارضنا على ما ينبغي وتمييزنا جيداً صحيحاً . ثم ذكر كيفية تحصيل هذه الوسائل او حصولها وذكر تصانيف ارسطاليس التي رتب فيها المعرفة والتدرج بها والتي هي الطريق الى السعادة وختم بهذا البحث كتابه ذاكراً الزمن الذي يلزم لمن اراد المعرفة فقال «فأما مقدار الزمن الذي يفرض لمن أراد ان يعلم الحكمة على ما رتبه هذا الحكيم المحسن الينا — يعني ارسطاليس — المنعم علينا فعلى مقدار عنايته واهتمامه ، ومعونة الاتفاقات اياه . اعني ان يكون ذكياً حافظاً واجداً للكتب والأستاذ والكفاية في المعيشة ..... ومدة ذلك على التقريب من عشر سنين الى عشرين سنة» .

هذا عرض موجز لكتاب أظهرته المطبعة وأخفته ، أظهرته ولكنها لم تحسن ظهوره فهو مطبوع على هامش كتاب آخر ولكنه عندما ينتهي الكتاب الأصل

تجد الهامش ينزل الى الصفحات الأصلية فيحتل مكان الأصل ويصعد في نفس الوقت الى الهامش فتلاحقه العين في صعوده ونزوله . ومع هذه الإساءة يجد القارئ فيه من اغلاط الطبع وتحريف الكاتب ما يجعله يمل قراءة هامش واحد منه .

وبعد ذلك فاننا نأمل ان يعنى المؤتمر الثقافي العربي ولجان الثقافة العربية الأخرى في تتبع هذه الكتب والتعريف بها وطبعها وأخص منها ماهو موجود في البلاد الاسلامية مما طبع فيها أو خط ، وان يهتم القائمون بأمر الثقافة العربية بجمع هذا الشتات المتفرق واعادته الى موطنه الأول عن طريق النقل بالتصوير او الاستنساخ ، وان تكون مؤسساتنا الخارجية معنية برفع التقارير عن هذه الناحية الهامة .

بعقوبة ـ العراق **احمد جمال الدين**

تصويبات لأغلاط مطبعية

جاءت في هذا العدد من المجلة

صفحة	سطر	غلط	صواب
٢٢٠	٢٣	نجلية	نجيلية
٢٢١	١٨	ويستخرج من صمغ	ويستخرج منه صمغ
٢٢٢	١٢	الخضروات	الخضراوات
٢٢٤	١٠	دوريفيا	درويفيا
٢٢٥	٧	تقابل	مقابل
٢٢٧	١٧	صمغ إيران	صمغ في إيران
٢٢٨	٢٢	إنبق	إنبيق

الصفحة — فهرس الجزء الثاني من المجلد الثالث والعشرين


